كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء

إقرأ وافهم
ملف مفتوح

(الجزء الرابع)



مدارس النقد والتشكيك والرد عليها

سفر التكوين (٢)

(هل أخذ السفر من الأساطير؟)

كنيسة القديسين
مار مرقس والبابا بطرس
خاتم الشهداء - اسكندرية
ت: ٠٣/٥٥٠٨٣٩٥
٠٣/٥٤٨٧٧٢٨

اقرأ وافهم
ملف مفتوح

مدارس النقد والتشكيك والرد عليها

(الجزء الرابع)

(هل أُخذ سفر التكوين من الأساطير)

مراجعة وتقديم

نيافة الحبر الجليل الأنبا بولا أسقف طنطا

إدراكاً للرسالة الهامة التي يقوم بها **الشماس/ حلمى القمص يعقوب** أستاذ مادة «النقد الكتابى» بالإكليريكيات، تتشرف مكتبة تى آجيا دميانة بالمساهمة فى هذه الرسالة العظيمة، وذلك بتولى طباعة هذا المؤلف بسعر التكلفة، وذلك محبة لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية وخدمة لأبنائنا وأحفادنا.

ويجيب هذا الكتاب على تساؤلات الكثيرين:

هل أخذ سفر التكوين من الأساطير؟

ويمثل هذا الكتاب الجزء الرابع من سلسلة ملف مفتوح (مدارس النقد والتشكيك والرد عليها) وقد بذل الأستاذ الفاضل/حلمى القمص يعقوب قصارى جهده فى الرد على هذه التساؤلات والشكوك التى تحوم حول كتابنا المقدس، ليعوضه الله عن تعب محبته فى أورشليم السمائية.

وليثبتنا الله فى الإيمان الأرثوذكسى إلى النفس الأخير.

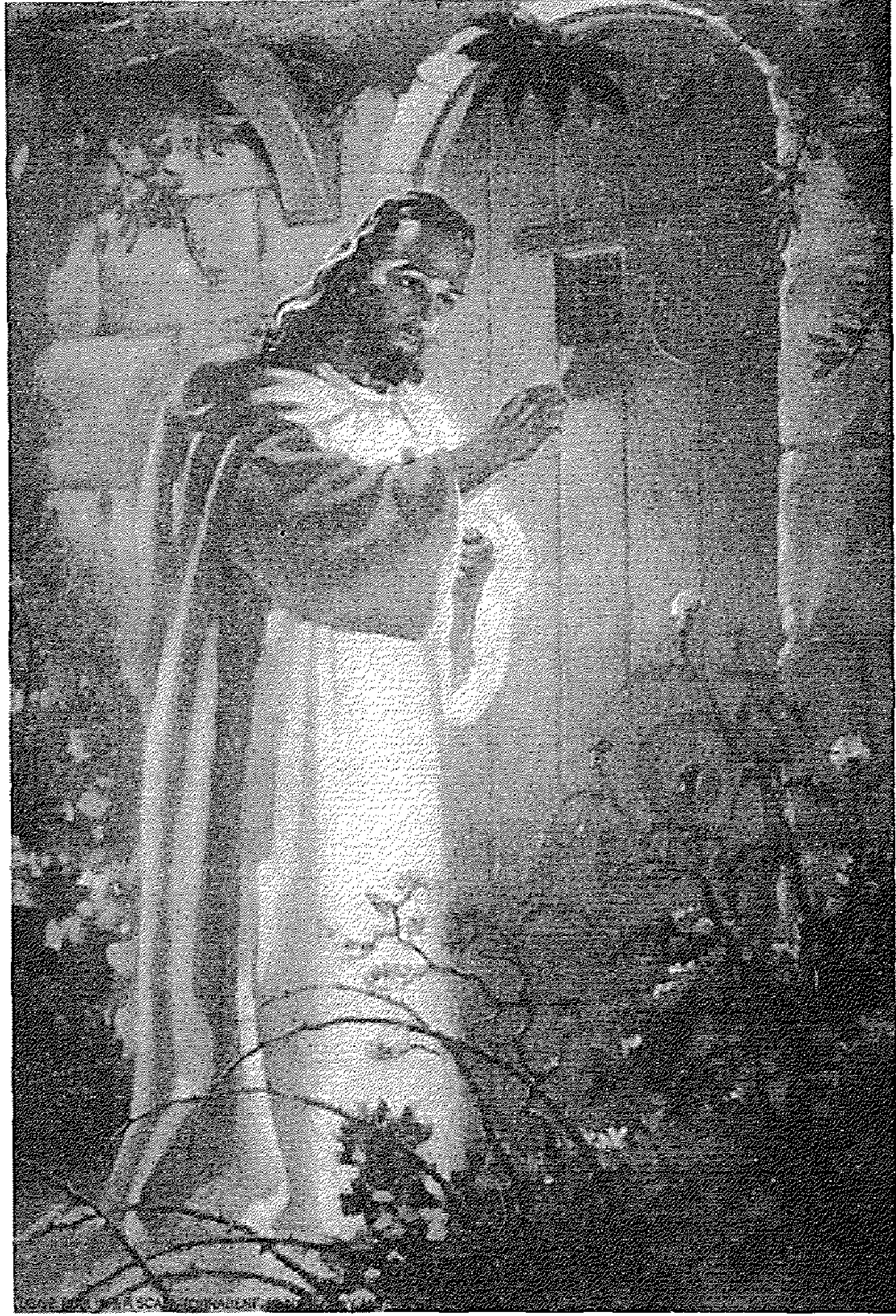
مكتبة تى آجيا دميانة

لصاحبها هانى إدوار

اسم الكتــاب: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها

(الجزء الرابع - هل أخذ سفر التكوين من الأساطير)

الناشر : مكتبه تى أجيا دميانه
الطبعة : الأولى- ٢٠٠٨
المطبعة : إمبريالى عابدين ب\ ٢٣٩١٤٦٧٠
رقم الإيداع : ٤٦٥٠ \ ٢٠٠٨



«هأنذا واقفٌ على البابِ وأقرَعُ. إن سمع أحد
صوتى وفتح البابَ، أدخل إليه وأتعشّى
معه وهو معى» .

(رؤيا ٣: ٢٠)



صاحب الغبطة والقداسة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧



نيافة الحبر الجليل

الأنبـــا باخـوميـوس

مطران البحيرة ومرسى مطروح والخمس المدن الغربية

صاحب الفضل فى ظهور

سلسلة ملف مفتوح (النقد الكتابى) للنور



نيافة الحبر الجليل

الأنبا بولا أسقف طنطا

وأستاذ مادة «العلم والإيمان» بالإكليريكيات والمعاهد الدينية

تقديم

لنيافة الحبر الجليل الأنبا بولا أسقف طنطا

وأستاذ مادة «العلم والإيمان»

بالإكليريكيات والمعاهد الدينية

ويتابع الأخ المبارك الشماس حلمى القمص يعقوب مدرس مادة «النقد الكتابى» بالإكليريكيات بحثه المستفيض الشيق حول الرد على النقد الكتابى ..

فبعد أن وضع مقدمة البحث فى كتابين تعدت صفحاتهما الثمانيمائة صفحة، ناقش فيها آرار مدرسة الإلحاد والرد عليها ..

وطرح آراء مدرسة النقد الأعلى، ولاسيما نظرية المصادر بفروعها المختلفة، والتى تنكر نسبة التوراة لموسى النبى، فرد على حجج أصحاب هذه النظرية، وساق الأدلة الكتابية على أن موسى النبى هو هو كاتب التوراة وليس أحد غيره .. وفتح لنا نافذة لنطل منها على بعض المذاهب وليدة النقد الكتابى مثل المذهب الطبيعى، والأخلاقى، والأسطورى، ولاهوت التحرُّر وغيرهم .. وأكد على المفهوم الصحيح للوحى الإلهى شارحاً نظريات الوحى الخاطئة، مجاوباً على إعتراضات المنادين بالعصمة الجزئية للكتاب المقدَّس «كل الكتاب هو مُوحى به من الله» (٢ تى ٣ : ١٦).

وأوضح الرابطة الوثيقة بين مدارس النقد وإنكار التقليد ..

واستفاض فى رد الهجوم على سفر النشيد، معلناً عن جمال وجلال آياته ومعانية ..

وفنَّد بالتفصيل آراء منكرى المعجزات الكتابية، ورد عليها ..

وتصدى للذين يهاجمون العهد القديم مدَّعين أنه شريعة الغاب، مفصّلاً فضل العهد القديم على البشرية جمعاء، وأيضاً للذين يصفون العهد القديم بأنه إله قاسٍ جزار، موضحاً طول أناة الله على الخطاة.

وتطرق إلى أمور جديدة على فكرنا الأرثوذكسى الأصيل مثل يسوع التاريخ ومسيح الإيمان، والحركة العقلانية التى قادت الإنسان إلى تسيّيد وتأليه العقل، ولاهوت التحرير الذى امتزجت فيه المسيحية مع الماركسية .. إلخ.

لقد وضع الكاتب فى قلبه أن يتناول أسفار الكتاب المقدَّس سفراً سفراً، وعندما بدأ بحثه حول سفر التكوين مريداً أن يرد على الاعتراضات فى كتاب واحد، وإذ بالبحث يتسع أمامه، فيستغرق منه ثلاثة كتب، قمتُ بمراجعة وتقديم الأول منها، والذى دار حول قضيتين فى غاية الأهمية والعمق، وهما أصل الكون وأصل الإنسان.

وهوذا الكتاب التالى يجاوب على تساؤل الكثيرين :

هل أُخذ سفر التكوين من الأساطير؟.

وحوى فى أحشائه شرح لمعنى الأسطورة وعلم الميثولوجيا، وعما إذا كان كتَّاب الأسفار المقدَّسة قد اقتبسوا من أساطير الأولين؟! .. وما هو رأى الكنيسة الكاثوليكية فى هذه القضية؟ .. وهل أخذت التوراة من أدآب وأساطير الفراعنة؟ وهل أخذ موسى التوحيد من إخناتون؟!!

وعرض الكاتب بالتفصيل لأساطير الخلق السومرية، والفرعونية، والبابلية الشهيرة بـ «الإينوما إيليش» ، والفارسية، وأورد ثمانية وعشرين دليلاً يثبت أن سفر التكوين لم يستمد قصة الخلق من أى من هذه الأساطير .. ثم طرح الأساطير التى تدور حول الجنة وأنهارها، وشجرة الحياة، واسم حواء، ودور

الحية فى السقوط، وزواج آدم من ليليت وإنجابه شياطين، وزواج حواء من أحد الشياطين، وبيَّن أنها غريبةِ عن روح الكتاب تماماً ..

وناقش آراء النُقَّاد المدَّعين أن قصة قايين وهابيل صدى لأسطورة الصراع بين المزارع والراعى، أو المجتمع الزراعى والمجتمع الرعوى ..

ودخل فى قصة الطوفان، فعرض الأساطير السومرية، والمصرية، والفارسية، والبابلية الشهيرة بقصة جلجامش، وأوضح مدى اختلافها عما ورد بسفر التكوين من خلال سبعة وعشرين دليلاً ..

وأيضاً تعرَّض لآراء النُقَّاد الكثيرين الذين يدَّعون بأن قصة برج بابل، وقصص الآباء البطاركة الأولين، وقصة سدوم وعمورة، وفكرة الهاوية مستمدة من أساطير الأولين، وأن قصة يوسف مستمدة من أسطورة الأخوين المصرية، ورد على كل هذه الإفتراءات وغيرها.

وأخيراً ختم كتابه هذا بطرح فكرة مبسطة عن سفر آدم الأبوكريفا ..

حقاً أنه مجهود ضخم مميز قام به الباحث المحبوب حلمى القمص يعقوب ..

كم استغرق من وقت طويل وجهد جهيد؟!!

مجهود مبارك نحتاج إليه فى مكتبتنا القبطية، وكلياتنا الإكليريكية، وإننى أتمنى أن تهتم كافة الإكليريكيات بتدريس هذه المادة لطلابها ..

ونحن نصلى من أجل أن يبارك الله هذا العمل، ويمنح الكاتب العمر الطويل، ويمتعه بالصحة والعافية والمزاج الحسن، ويعطيه الصبر وطول الأناة فى

إستكمال هذا المشوار الشاق الطويل، ونحن فى إنتظار المزيد والمزيد بشوق زائد .

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

الأنبا بولا

خادم كرسى طنطا



تصدير للمؤلف

أشكر إلهى الصالح الذى أنعم عليَّ بهذه الفرصة لإستدال سلسلة ملف مفتوح، والخاصة بالرد على النقد الكتابى، ففى الجزء السابق (الثالث) تناولنا (أصل الكون – أصل الإنسان) وفى هذا الجزء الرابع مازلنا ندور فى فلك سفر التكوين، ولم ننته بعد، وبعد أن وعدتك بأن هذا الجزء (الرابع) سيشمل الرد على ما تبقى من إدعاءات باطلة وإنتقادات مغرضة موجهة لسفر التكوين، (هل أُخذ سفر التكوين من الأساطير؟ - أسئلة على الطريق) وجدت أن الكتاب سيكون ضخماً مما يمثل صعوبة للقارئ، لذلك أستميحك ياصديقى لتخصيص هذا الجزء للإجابة عن سؤال رئيسى وهو هل أُخذ سفر التكوين من الأساطير؟ على أن نستكمل هذا البحث (الخاص بسفر التكوين) فى جزء خامس إن شاءت نعمة الرب وعشنا.

وبداية لا يسعنى إلاَّ تقديم شكرى العميق :

لنيافة الحبر الجليل الأنبا بولا أسقف طنطا

الذى تعب معى كثيراً فى مراجعته للكتاب السابق، وهذا الكتاب أيضاً، وحقيقة قد استفدت كثيراً من توجيهاته، وتصحيحه لكافة الأخطاء، بعد أن راجع هذا البحث بالكلمة والحرف بدقة بالغة.

حقاً ما أكثر الكتب التى تهاجم العهد القديم، ولاسيما سفر التكوين سفر البدايات، وما أكثر الإدعاءات بأن الكتاب المقدَّس قد أخذ من أساطير الأولين، فراحوا يربطون بين الأساطير وبين ما ورد فى سفر التكوين من قصص الخلق، والفردوس، والسقوط، وقايين وهابيل، والطوفان، وبرج بابل والآباء البطاركة إبراهيم وإسحق ويعقوب، ودمار مدينتى سدوم وعمورة، والهاوية

والعالـم السفلى، وقصة يوسف ٠٠ إلخ لقد وقعت عيناى على عشرات المراجع التى تهاجم الكتاب المقدَّس على أنه مجموعة خرافات وأساطير، ولم تقع عينى على مرجع واحد يرد على هذه المهاترات، ولذلك نحاول فى هذا الكتاب عرض أكبر عدد من الأساطير التى قالوا أن سفر التكوين أخذ منها، ليرى القارئ ويحكم، وهدفنا الوحيد هو توضيح الحقائق٠

يقول د٠ محمد بيومى مهران «أن الانطباع العام الأول الذى يبقى فى نفس قارئ التوراة ككتاب تاريخ أنها لا تكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص فى جو أسطورى حافل بالإثارة للعقل والمنطق» (١).

ويقول فراس السواح «وقصارى القول أن كتاب التوراة، وهو المأثرة الثقافية الوحيدة للشعب اليهودى، قد نشأ وتطوَّر إنطلاقاً من أرضية ثقافية سورية وبابلية ومصرية ٠٠ لقد بدأت المشابهات بين التوراة وآداب الشرق القديم تظهر، عندما بدأت الحضارات القديمة للمنطقة تتكشف من تحت التراب بواسطة الحفريات الأثرية ٠٠ وأصبح فى وسع القائلين بالمعجزة التوراتية أن يدركوا أن آداب التوراة لم تظهر كاملة النمو، وإنما مدَّت جذورها عميقاً لتشرب نسغ حضارات معاصرة لها وأخرى سابقة عليها، وأن التربة التى أيدت مؤلفى التوراة بمادتهم الأدبية كانت تربة كنعان وآرام وأرض الرافدين» (٢).

وحقاً أن هناك نقاط تشابه وتلاقى بين قصص الكتاب والأساطير، ويرجع السبب فى هذا لوجود أصل واحد لكل قصة، وقد إنتشرت أصول هذه القصص بواسطة نوح وأبنائه سام وحام ويافث فى جميع أرجاء الأرض، ومع مرور الزمن أخذت الشعوب هذه الأصول، وأضافوا إليها ما شاءوا من خرافات فكانت الأساطير، بينما حفظ لنا الكتاب المقدَّس هذه الأحداث نقية

---

(١) تاريخ الشرق الأدنى القديم – تاريخ اليهود (مذكرة كلية الآداب – جامعة الاسكندرية ١٩٧٢م)

(٢) مغامرة العقل الأولى ص ١١٢

كما حدثت بالضبط، لأن روح الله القدوس قد عصم الكاتب أثناء كتابة الأسفار المقدَّسة، فجاءت عصمة الكتاب عصمة كاملة شاملة بلا أدنى خلل، ونحن نؤكد أنه لا يوجد تطابق كامل على الإطلاق بين أى قصة كتابية وبين مثيلاتها مما ورد فى الأساطير المختلفة، ولكن أعين النقاد تسلط الضوء على بعض التشابهات وتغفل تماماً الكثير من الإختلافات.

أليست هناك أموراً عديدة متشابهة بين الديانات المختلفة مثل الصلوات والأصوام والسجود والنذور .. إلخ فهل يعنى هذا أن نخلط الحابل بالنابل، ونقول أن هذا أخذ من ذاك؟! .. كلاً، وبنفس المنطق نقول ليس معنى وجود تشابهات بين الكتاب المقدَّس والأساطير يعنى أن الكتاب أخذ من الأساطير .. شتان بين الحق والباطل !!

شتان بين كتاب واحد فريد صمد أمام هجمات الشيطان وبين أساطير لا تصمد أمام طفل صغير، وهذه الأساطير التى صدقتها البشرية فى طفولتها، هل من المعقول أن يقبلها العقل الآن؟! .. هذا ضرب من المستحيل.

وفى هذا الكتاب نستعرض معاً بصورة مبسطة ومختصرة أكبر عدد من هذه الأساطير، محاولاً على قدر طاقتى أن أمسك القلم عن أى إستفاضة، حتى لا نصرف من وقتنا الثمين أكثر مما ينبغى فى هذه الأساطير، وصدقنى ياصديقى أننى لم أخض غمار هذا التيار إلاَّ حفاظاً على إيمان أولادنا، حتى لا تخدعهم الحيـة القديمة بإدعاءاتها بأن الكتاب المقدَّس حوى فى أحشائه الخرافات والأساطير ، ولنكن مستعدين لمجاوبة كل من يسـألنا عن سـبب الرجـاء الذى فينا، وفى هذا الكتاب نناقش معاً الفصول الآتيـة :

الفصل الأول : تمهيد.

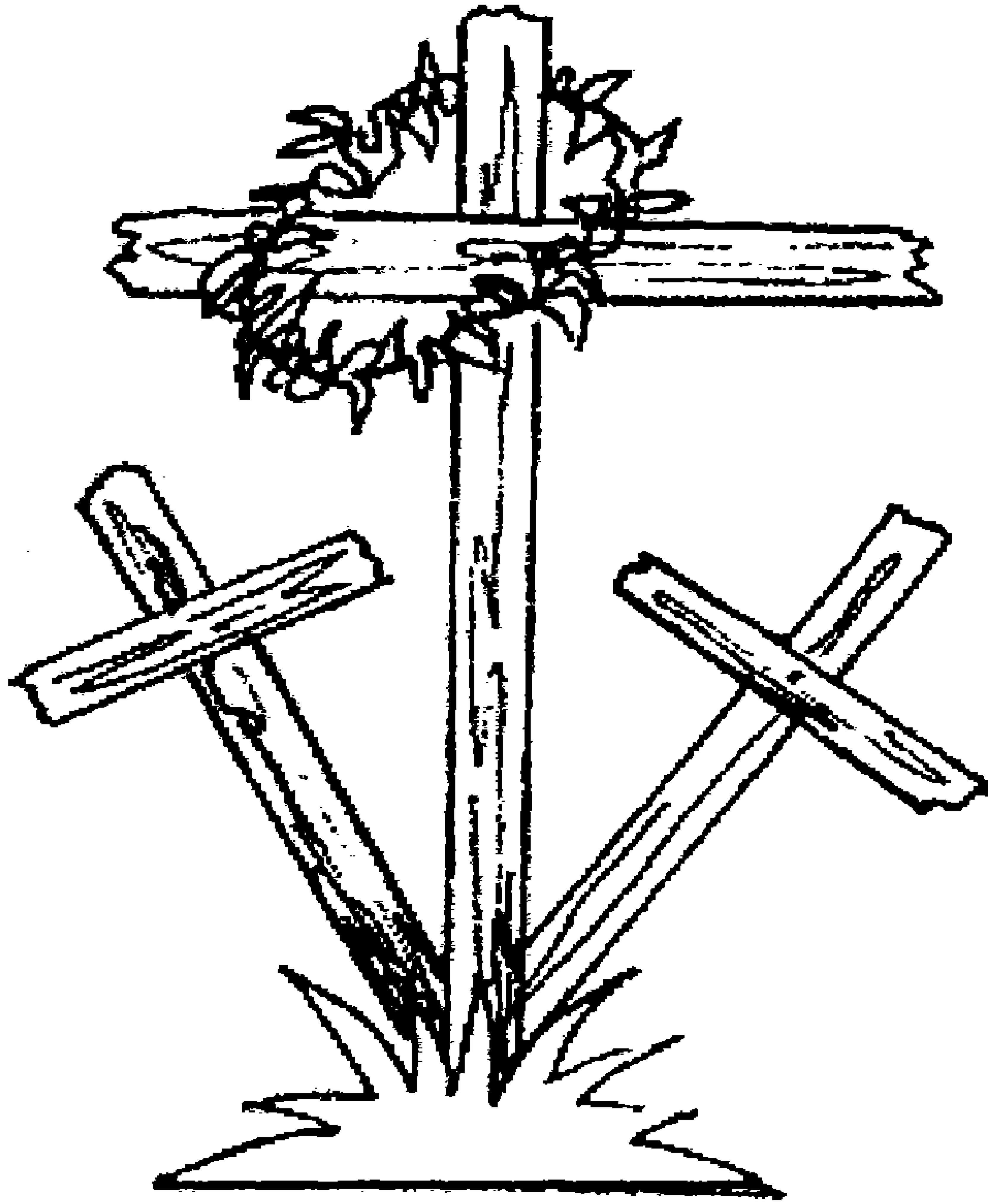
الفصل الثانى : قصة الخلق والأساطير.

الفصل الثالث : قصة السقوط والأساطير.

الفصل الرابـع : قصة الطوفان والأساطير.

الفصل الخامس : قصص الأباء والأساطير.

الفصل السادس : سفر التكوين وأسفار أبو كريفا.



الفصل الأول : تمهيد

بادئ ذى بدء دعنا فى هذا الفصل نطرح الأسئلة الآتية :

س : ما هى الأسطورة؟ وما هى نظرة العلماء لعلم الميثولوجيا؟

س : كيف ولدت الأسطورة؟ وكيف كانت نظرة المفكرين لها؟

س : هـل كاتب الأسفار المقدَّسة إبن عصره إقتبس من معتقدات وأساطير عصره؟ وما هو رأى الكنيسة الكاثوليكية فى هذه القضية؟

س : هل أخذت التوراة من أدب وأساطير الحضارة الفرعونية؟

س : هل أخذ موسى التوحيد من أخناتون؟

س : ما رأيك فى القائلين بأن إستخدام الكاتب التوراتى ما فى الأساطير من معانى لا يتعارض مع فكرة الوحى الإلهى؟ وهل إمتد الوحى الإلهى إلى جميع الأمم أم أنه ..... إقتصر على الأسفار المقدسة فقط؟

س٢٦٦(١) : ما هى الأسطورة؟ وما هى نظرة العلماء لعلم الميثولوجيا؟

ج : الأسطورة وجمعها أساطير وتعرَّف على أنها أباطيل (راجع مختار الصحاح طبعة ١٩٢٦ ص ٢٩٨، والمصباح المنير طبعة مكتبة لبنان ١٩٨٧م) وكلمة أساطير تقابل فى اليونانية «ميثولوجيا» MYTHOLOGY، والشق الأول من الكلمة «ميثو» MYTHO مأخوذ من الكلمة اليونانية MUTHO وتعنى حكاية تقليدية عن الآلهة والأبطال، والشق الثانى LOGY وتعنى علم.

---

(١) ملاحظة : تم مناقشة ٢٦٥ سؤالاً فى الكتب الثلاث السابقة.

ويرى الدكتور سيد القمنى أن الأساطير - فى الفهم الكلاسيكى - **هى مجموعة خرافات وأقاصيص عن الأبطال فى غابر الزمان**، بحسب تخيلات وثقافة العصر الذى صيغت فيه فيقول «وعادة ما نجد فى الأساطير مشاعر إنسانية جياشة أو أحاسيس، وتصوُّرات ومواقف، تطلعنا على فلسفة الإنسان فى الوجود، وعلى محاولاته الفكرية الأولى، والتى تتضمن خلاصة تجاربه وماضيه ·· وعليه فنحن نرى الأسطورة تسجيلاً للوعى الإنسانى واللاوعى فى آن واحد ·· يمكننا المجازفة بالقول أن الأسطورة وإن إشتملت على أحلام وإنفعالات وتصوُّرات وأخيلة، فإنها إشتملت أيضاً على حقائق يمكن أن تنكشف بوضوح إذا عرفنا كيف نفسرها ·· (تعتبر) الأسطورة السجل الأمثل للفكر وواقعه فى مراحله الإبتدائية ·· الأسطورة لا يمكن لأحد أن يدَّعى حق تأليفها، فهى مجهولة الأصل والمؤلف - بل وأحياناً - المنشأ والتاريخ» ·[1]

ويرى البعض أن الأسطورة تختلف عن الخرافة، فقالوا إن الأسطورة هى معالجة شعرية خيالية لمادة تاريخية، بينما لا ترتبط الخرافة بالتاريخ (راجع كمال الصليبى - خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص ٢٥) فالأسطورة تظهر فى نص أدبى جذاب، وغالباً فى أبيات شعرية، وقد قام «هوميروس» الشاعر اليونانى بتدوين معظم أساطير عصره فى الألياذة والأودسه، ويقول د· كارم محمود «يرى» والاس ستيفن «Wallas Steven» أن للأسطورة تلك الخاصية التى تُعزى إلى الشعر» [2]فالأسطورة تعبر عن نفسها بالمبالغة تارة، والإعجاز تارة أخرى، وأيضاً تنزع الأسطورة نحو التمثيل والتشخيص والتجسيم «فالوسيلة المتاحة أمام الأسطورة هى وسيلة التمثيل الحسى، ومن هنا تتخذ الآلهة فى ضوء الأساطير مظهراً إنسانياً» ·[3]

---

(١) الأسطورة والتراث ص ٢٥، ٢٦ ·

(٢) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١٧، ١٨

(٣) المرجع السابق ص ٢٠

ويقول الدكتور عبد الحميد أحمد زايد فى مقدمة ترجمته لكتاب جيمس بريتشارد «يجب أن ننظر إلى الأسطورة بعين غير تلك العين التى ننظر بها إلى الخرافات أو الروايات أو الحكايات، فالأسطورة حقيقة ميتافيزيقية جُسدت، وسوف نرى أن الأقدمين من المصريين والبابليين والفينيقيين وغيرهم من شعوب الشرق الأدنى كانوا لا يكتفون بسرد الأساطير كأقاصيص، بل تجدهم مثلوها على مسارح الحياة فى دور العبادة أو الخلاء، فالبابليون مثَّلوا إنتصار مردوك فى أول السنة الجديدة ليُظهِروا إنتصاره على الفوضى وسميت هذه «ملحمة الخليقة» وهى تنادى بأن الآلهة وقعت فـــى صراع مع بعض الوحوش وقد قهر مردوك أمهم تعامة» (١). لقد إعتقد البابليون أن العالم يعاد تجديد خلقته فى كل عام، وفى فارس كان الملك يقف فى عيد النيروز (رأس السنة الفارسية) يقول : هذا يوم جديد من شهر جديد من سنة جديدة، وأن مـا يلى من الوقـت يجـب تجـديده، وأسطورة عذابـات الإله « تموز» كانت تتلى فى أعياد الربيع٠

ويقول القس صموئيل مشرقى «لكن المدرسة الحديثة أعلنت أن الأسطورة لا تعنى بالضرورة خرافة أو شيئاً لم يحدث بل تعنى لغة خاصة يعبر بها عن حقائق معينة عندما تعجز اللغة العادية أن تتكلم عنها» (٢).

ويرى الأب سهيل قاشا أن **الأسطورة جاءت لتُعبّر عن عجز الإنسان فى تفسير الأمور المحيطة به تفسيراً علمياً**، فتصوَّر أن وراء كل أمر مبهم لم يدركه إلهاً، فقال أن هناك آلهة للنـار، وللرياح، وللشمس، وللقمر، وللنجوم، وللبرق، وللرعد، وللمياه، وللعالم السفلى ٠٠إلخ وأخذ الإنسان ينسج حول هذه الآلهة الوهمية القصص الوهمية التى تناقلها الخلف من السلف حتى صارت أسطورة يعتقد بها الجميع، ويقول الدكتور لانج «لقد كان الناس فى العصور القديمة يقولون قصصهم تبعاً

(١) نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم جـ ١ ص ٦

(٢) مصادر الكتاب المقدَّس ص ٦٠

لنظرتهم الخاصة للأشياء وأسلوبهـم فى تفسير الأمور[1] .. ويقول الدكتور «مويللر» ..«إن الإنسان البدائى لم يكن يفكر كما نفكر نحن، بل ولم يفكر بالطريقة التى نتصوَّر نحن الآن أنه كان يفكـــر بها أيضاً» [2].

حقاً لقد تباينت نظرات المفكرين للأسطورة، فعلى سبيل المثال :

١- هناك من نظروا للأسطورة على أنها خرافة ووهم، حملت جانب فكرى وروحى ضئيل.

٢- هناك من نظروا للأسطورة على أنها تمثل أعمق منجزات الروح الإنسانية، والعقل الإنسانى البكر، الذى لم يخضع للفحص العلمى ولا للعقلية التحليلية.

٣- قال البعض أن الأسطورة هى «علوم عصر ما قبل العلوم» .

٤- قال البعض أن الأسطورة هى تعبير عن الواقع الذى يعيشه الإنسان، فمثلاً الأسطورة البابلية «أينوما إيليش» تظهر الكون على هيئة دولة يحكمها الآلهة حكماً شورياً، وتُتخذ فيها القرارات عن طريق الإقتراع، ولكن رغم أن هؤلاء الآلهة أذكياء وخالدون إلاَّ أنهم يخطئون ويتصارعون ويقتتلون ويُذبحون.

٥- قال بعض فقهاء اللغة أن الأسطورة هى «مرض فى اللغة» وأنها محاولة عقيمة للتعبير بالألفاظ عن أمر لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ.

٦- قــال تايلور أن هناك حضارة بدائية، ولكنه أنكر وجود ما يُسمى بالعقلية البدائية، وقال أن عقلية الإنسان البدائى لا تختلف عن عقلية الإنسان المتحضر (راجـع الأب سهيل قاشـا – أثـر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ٢٣٢، ٢٣٣).

---

(١) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ٢٣٥

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٥

أما عن نظرة الإنسان لعلم الميثولوجيا، فيقول الأستاذ رشدى السيسى أن علم الميثولوجيا «له كافة خصائص العلم وسماته التى تميّزه عن غيره، وتحدد له مساره، وتُقيم له كيانه ٠٠ وقد أقام العلماء والباحثون هذا العلم الحديث على دعائم من أربع نظريات محدَّدة، لا محيص لأى باحث فى هذه الأساطير أن يبسطها ويتفحصها ويأخذ بجميعها أو بأصلها، وهى بترتيب أهميتها كما يلى :

١- **نظرية الأسفار المقدَّسة :** وهى تذهب إلى أن جميع القصص الأسطورية، فى كافة أنحاء العالم، مشتقة من روايات الكتب المقدَّسة، أو بتعبير أكثر دقة، **مستقاة من ذات النبع الإلهى النقى التى أستقت منه أسفار التوراة مضمونها،** ولكن الوقائع الصحيحة أُستترت وتغيَّرت، بل إنحرفت وتشوَّهت بما أقحمه عليها عدو الخير من دنس وإفساد ٠٠ ويقول سير رالف رالى فى كتابه «تاريخ العالم» أن آلهة الأساطير اليونانية «عطارد» Mercury مبتكر الرعى، و «فولكان» Vulcan مبتكر الحدادة، و «أبوللو» Apollo مبتكر الموسيقى، هم بالترتيب أسماء الأعلام التى وردت بأسفار التوراة المقدَّسة «يوبال» Jubal، و «طوبال» Tubal، و« طوبلكايين» Tubal cain، وأن التنين الذى ورد ذكره فى أسطورة التفاحات الذهبية اليونانية هى الحية التى أغوت حواء، وإن بناء برج بابل هو محاولة العمالقة ضد السماء، وغير هذه وتلك من المطابقات المماثلة بين رواية الأسفار المقدَّسة الصحيحة ورواية الأساطير المُحرَّفة المشوَّهة ٠

٢- **النظرة التاريخية :** وهى تذهب إلى أن الأشخاص الذين ورد ذكرهم بالأساطير، كانوا يوماً ما كائنات بشرية حقيقية، وأن الأساطير والروايات الخرافية المنسوبة إليها ليست سوى زيادات وزخارف أُقحمت فى عهود متأخرة ٠٠

٣- **النظرية المجارية :** وهى تفترض أن جميع أساطير الأقدمين مجازية ورمزية، بمعنى أن بعض الحقائق الدينية أو الأدبية أو الفلسفية أو التاريخية

أخـــذت شــكل المجــاز أو الرمــز، ولكن بمــرور الزمن أستوعبها الناس على أساس ظاهرها الحرفى ..

٤- **النظرية الطبيعية :** وبمقتضاها كانت عناصر الهواء والنار والماء هى محط العبادة والدين .. وقد جعل اليونانيون بخيالهم الخصيب، الطبيعة بأكملها مأهولة بكائنات غير مرئية، وزعموا أن كل شئ إبتدأ من الشمس والقمر والبحر، حتى أصــغر ينبــوع ونــهر، كان يحظــى بعنــاية إله معين يرعــاه ويحميــه من كل سوء ..

لقد كان توماس بلفنش Tomas Bulfinch الأمريكى هو أول من عالج موضوع الأساطير بطريقة علمية منظمة ومبسطة، فأصدر فيما بيــن عامى ١٨٥٥، ١٨٦٢م كتبــه الثلاثــة «عصــر الأساطير» و «عصر الفروسية» و«أقاصيص شارلمان» فكان هذا الإنتاج أبسط تمهيد منهجى لعلم الأساطيــر ودراستهــا، وأهميــة مؤلفات بلفنش أن مؤلفهــا توصَّل فيهــا، بدراسات العلميــة المستفيضة، إلــى إثبات ما سبــق أن قرَّره «سيــر رالــف رالى» Sir Ralph Raleigh فى كتابه «تاريخ العالم» فى النصف الثانى من القرن السابع عشر، عن طريق الحدس، من أن جميع الأساطير والقصص الشعبى، بكافة أنحــاء العالم، مشتقة من قصص الأسفار المقدَّسة، وليس العكس كما يزعم «جيمس فريزر» فى كتابه المشوَّش «الفولكلور فى العهد القديم» .. »(١).

ويرى د. سيد القمنى أنه من أشهر الباحثين فى مجال الأسطورة «موللر» K. O. Muller الذى أعتبر أن الأسطورة تصوير لأحداث حقيقية واقعية، ويُسمى هذا المنهج بالمنهج اليوهيمرى، وتابَعه فى نفس المنهج مع بعض الإختلافات الجزئية كل من «جاكسون» Jachson و «أولدن برج» Olden Berg. وقد أعتبر «ماكس موللر» Max Muller أن الأسطورة صورة من صوُر الفكر تحدث بواسطة اللغة، ويعتبر أ. ب. تايلور E. B. Taylar من أشهر

---

(١) مجلة الكرازة فى ١٥/٨/١٩٧٥ ص ٧.٦

مؤسسى المدرسة الأنثروبولوجية والتى تسعى لجمع الأساطير المتشابهة فى مجموعات للوصـول إلـى علـم حقيقى لهذه الأساطير، وأعتبر «هربرت سبنسر» Herbert Spencer صاحب فلسفـة التطـور أن الأساطير نصوص من عبادات الأسلاف (راجع الأسطورة والتراث ص ٣٢، ٣٣)٠

وقد أوضح د٠ سيد القمنى آراء مختلف المدارس فى الأسطورة فقال» إن هذه المدارس فى مجملها تتبع واحداً من مناهج ستة هى :

١- **المنهج اليوهيمرى :** الذى يعد أقدم تلك المناهج، ويرى الأسطورة قصة لأمجاد أبطال أو فضلاء غابرين٠

٢- **المنهج الطبيعى :** الذى يعتبر أبطال الأساطير ظواهر طبيعية تم تشخيصها فى أسطورة أعتبرت بعد ذلك قصة لشخصيات مقدسة٠

٣- **المنهج المجازى :** بمعنى أن الأسطورة قصة مجازية تخفى أعمق معانى الثقافة٠

٤- **المنهج الرمزى :** الذى يرى الأسطورة قصة رمزية تُعبّر عن فلسفة كاملة لعصرها، لذلك يجب دراسة العصور نفسها لفك رموز الأسطورة٠

٥- **المنهج العقلى :** الذى يذهب إلى نشوء الأسطورة نتيجة سوء فهم أو خطأ أرتكبه مجموعة من أفراد فى تفسيرهم أو قراءتهم أو سردهم لرواية أو حادثة أقدم٠

٦- **منهج التحليل النفسى :** الـذى يحتـسب الأسـطورة رمـوزاً لرغبـات غريزية وإنفعالات نفسيه» [1]٠

---

(١) الأسطورة والتراث ص ٣٣، ٣٤

س٢٦٧ : كيف وُلِدت الأسطورة؟ وكيف كانت نظرة المفكرين لها؟

ج : يجب ملاحظة أن الأسطورة تولد بسيطة، ثم تنمو تدريجياً وتتطوَّر، وتتميز الأساطير بالإعادة والتكرار فى الأسلوب فيمكن إختصار الكثير منها فى معان بسيطة، لأن الأسطورة – كمال قال شتراوس – لها تاريخ خاص، كما أنها لا تُولد ولا تُخلق متكاملة بل تتطوَّر تدريجياً من حكاية بسيطة (راجع فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٢٧٥، وناجح المعمورى – أقنعة التوراة ص ٣٠٥)٠

وهناك آراء عديدة مختلفة عن كيفية ولادة ونشأة الأسطورة فهناك من ربطها بالطقوس، وهناك من ربطها بالعادات القَبَلية، وهناك من ربطها بالأحلام ومنطقة اللاشعور الفردى أو الجماعى، وهناك من ربطها بمحاولات الإنسان البدائى لإستكشاف أسرار الكون المحيط به٠

وفيما يلى نعرض لبعض آراء بعض المفكرين فى ولادة الأسطورة :

١- **جيمس فريزر** : ربط فريزر فى كتابه «الغصن الذهبى» بين الأسطورة والطقوس، قائلاً بأنه بعد ممارسة أى طقس لزمن طويل، لا يعرف الناس لماذا كان هذا الطقس، فتأتى الأسطورة لتجيب على تساؤلاتهم، فمثلاً عندما أراد إتباع «ديونيسيوس» تبرير شربهم لدم الثور الحى وأكلهم للحمه نيئاً، إخترعوا أسطورة هجوم التيتان أعداء «زيوس» على «ديونيسيوس» الذى غيَّر شكله إلى شكل ثور، ولكنهم تمكنوا منه، ومزقوا جسده وشربوا دمه وأكلوا لحمه نيئاً٠

٢- **ماليثوفسكى** : عالِم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) الشهير الذى هاجم «جيمس فريزر» وقال أن الأسطورة تنتمى للعالم الواقعى وتهدف لهدف معين، فهى قد نشأت من أجل ترسيخ عادات قَبَلية معينة، أو لتدعيم سيطرة عشيرة ما، أو مساندة لنظام إجتماعى قائم (راجع فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٢)٠

٣- **ليفى برول :** يرى أن الأسطورة تدخل فى منطقة اللامعقول واللامنطق، فيقول د٠ كارم محمود «يذكر ليفى برول أن الفكر الأسطورى هو فكر ما قبل المنطقى ٠٠ فاللامعقول فى الأسطورة جزء لا يتجزأ من بنية الأسطورة٠ ويوضح» كلود ليفى شتراوس «هذا بقوله : يواجه دارس الفكر الأسطورى بموقف يبدو متناقضاً لأول وهلة ٠٠ إذ أنه ليس هناك منطق أو إستمرارية، فأى خاصية يمكن أن تُنسب إلى أى موضوع، وأى علاقة ممكنة يمكن أن تُوجد، فمع الأسطورة يصبح كل شئ ممكناً» [١]٠

كما يقول د٠ كارم محمود أيضاً «ويقــول مؤرخ الديانات» رافاييلى بيتاتسونى «بأن الفكر الأسطورى هو فكر منطقى ولا منطقى، عقلى ولا عقلى فى آن واحد ٠٠ ويشير البعض إلى وجود علاقة ثنائية بين الأسطورة والتاريخ، فسمَح ببعض الخيال فى الوصف التاريخى، كما تسمح (الأسطورة) ببعض الواقعية فى الوصف الأسطورى. ويذكر «الحجاجى» أن الأسطورة ليست مرادفاً للخيال، كما أنها ليست مقابلاً للواقع» [٢]٠

٤- **شلنج Shelling :** يرى أن الأسطورة تخفــى ورائها حقائق ميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) وتمثل فلسفة إنسانية، فيقول د٠ كارم محمود «وقد إعتقد شلمنج أن الأسطورة لها حقيقة قائمة بذاتها، وأنها تخفى بين طياتها نوعاً معيناً من المنطق الذى لا يمكن إرجاعه إلى منطق آخر، ويرى أصحاب هذا الإتجاه أن الأساطير تُفهم فى مجتمعها على أنها قصة حقيقية» [٣] كما يقول أيضاً «وعند شلنج Shelling ظهرت للمرة الأولى فلسفة فى الأسطورة ٠٠ أو بتعبير أدق تمثل (الأسطورة) الفلسفة فى أكمَل صوَّرها، وترى الفلسفة أن كل ما تحمله الأسطورة من صوَّر ورموز إنما لابد أن تحتوى معنى فلسفياً عميقاً» [٤]٠

---

(١) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١٤ ٠

(٢) المرجع السابق ص ١٦

(٣) المرجع السابق ص ١٥

(٤) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١٧

٥- **فرويـد Fryed** : فسر العالِم النفسى اليهودى فرويد الأسطورة فى كتابه «تفسير الأحلام» الذى نُشر سنة ١٩٠٥م تفسيراً نفسياً، فقال أن الأسطورة وليدة المشاعر المكبوتة التى يحتفظ بها الإنسان فى منطقة اللاشعور، ولذلك تجد أحداث الأسطورة لا ترتبط بمكان معين ولا بزمان معين، فهى تدخل فى نطاق اللامكان واللازمان (كان ياما كان فى غابر الأزمان والأيام) ويقول د· كارم محمود عزيز «وإنه إذا إقتربنا من العالم الأسطورى من هذا الجانب فإننا نجده، وفقاً لتعبير» ملتون « Milton محيطاً مظلماً لا متناهياً، ليس له بُعد أو حدود، ونفتقد فيه الطول والعرض والإرتفاع، وكذلك الزمان والمكان» [١]٠

ويرى فرويد أن البطل الأسطورى يقوم بأعمال خارقة للطبيعة هى فى الحقيقة إنعكاس لرغبات الإنسان اللاشعورية وأمانيه المكبوتة، ويقول د· كارم محمود «ويرى فرويد أن البطل فى الأسطورة، حاله كحال صاحب الحُلم، يخضع لتجولات سحرية ويقوم بأفعال خارقة هى إنعكاسات لرغبات وأمانٍ مكبوتة تنطلق من عقالها بعيداً عن رقابة العقل الواعى الذى يمارس دور الحارس على بوابة اللاشعور» [٢]٠

وفـى كتابه «التوتم والتابو» يحكى فرويد عن أسطورة أب له عدد زوجات، فقام الأبناء بقتل أبيهم طمعاً فى زوجاته، ولكن بعد أن قتلوا أبيهم إنتابهم شعور شديد بالندم، فحرَّموا زوجات أبيهم على أنفسهم، ويقول فرويد من هنا جاء تحريم الزواج من زوجات الأباء، بل رأى فرويد أن الأسطورة التى تقف وراء عقيدة الكفارة فى المسيحية هى الإحساس بتوارث الخطية، فهذا الإحساس يعتبر هو «الأساس الكامن وراء مجموعة الأساطير التى تروى عن تضحية الإله الإبن وكأنما يقدم البشر كفارة رمزية عن خطيئتهم الأولى نحو الأب» [٣]٠

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣

(٢) المرجع السابق ص ٢٢

(٣) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٣

٦- **يونــغ** : وهو تلميذ فرويد، وقد إهتم بالأسطورة أكثر من معلمه الذى ربط بيـن الأسطـورة واللاشعور، ولكـن الفـارق أن فـرويد أرجع الأسـطورة إلى «اللاشعور الفردى» ، أى أن مصدر الأسطورة فرد واحد، بينما أرجع يونغ الأسطورة إلى «الشعور الجمعى» أى اللاشعور الخاص بالمجموعة وليس بالفرد، فهى تعبر عن أحلام مجموعة وليس أحلام فرد واحد.

٧- **إريك فروم** Erich Fromm : ويعتبر أحد عمالقة التحليل النفسى، وكتب دراسة كبيرة للأسطورة فى كتابه «اللغة المنسية» The Forgotten Language وقد وافق «فرويد» فى الربط بين الأسطورة والحُلم ولكنه خالفه إذ نظر للأسطورة أو الحُلم على أنهما نتاج العالم اللاعقلانى، فالعقل فى حالة الحُلم يعمل ويفكر بطريقة أخرى غير طريقته وعمله وتفكيره وقت الإستيقاظ (راجع فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٤) وقال أن الأسطورة هى لغة رمزية، فإذا إستطعنا فك رموزها، حينئذ ينفتح أمامنا عالم ملئ بالمعارف.

٨- **ميرسيا إلياد**: يرى أن الأسطورة إرتبطت بالديانات البدائية، ولذلك يصعب تفسيرها بعيداً عن المعتقدات الدينية التى كانت سائدة حينذاك، ويقول د. كارم محمود «يذكر ميرسيا إلياد أن من خصائص الأسطورة أنها قصة مقدَّسة تتكوَّن من أفعال قامت بها كائنات عليا، وتتعلق دائماً بخلق شئ جديد» (١).

ويرى الدكتور سيد القمنى أن الأسطورة وُلدت فى المعابد وصارت جزءاً من بنية الدين فيقـول «ويذهب نفـر من علـماء الميثولوجيـا إلى أن أول الأعمـال الأدبية الأسطورية ولـدت فى المعابـد وهياكل الآلهة، ويعتقد «روبرتسون سميث» W.R.Smith أن الأساطير القديمة كانت بمثابة الاعتقاد الدينى، لأن

---

(١) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١٩

التراث المقدَّس كان يتخذ شكلاً قصصياً يدور حول الآلهة ·· بحيث كانت الأسطورة جزءاً من بنية الدين ·· لكنها لم تتخذ صفة الإلزام، فخضعت لحرية الإنسان مما جعلها عرضة دائمة للتغيُّر» (١).

ويقول فراس السواح أن الأسطورة حكاية مقدَّسة تقليدية تدخل فيها الآلهة أو أنصاف الآلهة، وقد حدثت فى الأزمنة الأولى المقدَّسة، فالأسطورة هى عبارة عن سجل لأعمال الآلهة، وهى حكاية تقليدية لأنها تنتقل من جيل إلى جيل شفاهة، فالأسطورة هى ذاكرة الجماعة، ولها قوة وسيطرة على النفوس التى تؤمن بها، وكانت الأسطورة تتلى فى الإحتفالات الدينية العامة (راجع مغامرة العقل الأولى ص ٢٠)·

س٢٦٨ : هل كاتب الأسفار المقدَّسة إبن عصره إقتبس من معتقدات وأساطير عصره؟ وما هو رأى الكنيسة الكاثوليكية فى هذه القضية؟

يعتقد أصحاب اللاهوت الليبرالى (لاهوت التحرُّر) بأن الأنبياء والرسل، بل والسيد المسيح نفسه، تكلم كل منهم بمعتقدات ومعارف عصره، حتى ولو حوت بعض الأخطاء، وقد تأثر كثير من لاهوتى الكنيسة الكاثوليكية بهذا الإنحراف، فاعترفوا علانية أن موسى لم يكتب التوراة، وأن كتبة الأسفار المقدَّسة أخذوا من أساطير الأولين، كما أنكروا المعجزات الكتابية ·· إلخ· أما نحن فنؤمن بكل ثقة ويقين كامل أن روح الله صادق فى كل ما قاله بفم الأنبياء القديسين والرسل الأطهار، وأن ***«كل الكتاب مُوحى به من الله»*** (٢تى ٣ : ١٦) وقد ***«تكلّم إناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس»*** (٢بط ١ : ٢١) فالكتاب المقدَّس كله جملةً وتفصيلاً معصوم عصمةً كاملةً من أى أخطاء أو شائبة، ونرفض من كل قلوبنا

---

(١) الأسطورة والتراث ص ٢٩

النظرية الجزئية للوحى التى تقول أن ما ورد فى الكتاب من أمور لاهوتية وعقائدية وروحية وتعليمية، فهو معصوم، وما عدا ذلك من أمور تاريخية وجغرافية وعلمية، فهو غير معصوم، أى يحتمل الصواب أو الخطأ، ونحـن نؤكد ونصر ونعلنها بأعلى صوت أن الكتاب كله مُوحى به من الله، وبالتالى الكتاب كله معصوم عصمة كاملة، فالكاتب هو قيثارة وأداة فى يد الروح القدس الذى راح يعزف عليها ٠٠ الكاتب هو بوق فى يد الروح القدس الذى راح يعلن صوت التعليم والإنذار من خلاله، ولذلك فأقوال الكتاب هى أقوال الله، ولا يصح أن ننسب أقل خطأ لأى جزء فى الكتاب، ومن يتجرأ ويفعل هذا فإنه ينسب الخطأ لله ذاته صاحب الكتاب، ومن يعتقد أن الله يمكن أن يخطئ ٠٠ كيف يخلص؟!! وقد قمنا بالشرح التفصيلى لهذه القضية وأظهرنا مخاطرها الجسيمة فى الجزء الثانى من هذه السلسلة (راجع مدارس النقد والتشكيك جـ ٢ ص ١٠٠ – ٢١٤)٠

وللأسف الشديد فإن كثيرين من رجال الكنيسة الكاثوليكية يعتقدون بأن كتبة الأسفار المقدَّسة قد إقتبسوا مما كان سائداً فى عصرهم من أساطير بعد تنقيتها من رائحة الشرك، بل أن البابا لاون الثالث عشر أصدر سنة ١٨٩٣م رسـالة بعنوان "Providentissimus" جاء فيها «ما أراد الكاتب المُلهَم أن يزود الناس بمعلومات عـن أشيـاء لا تنفع للخلاص، ولهذا لم يقم بأبحاث علمية، بل صوَّر (الكاتب المُلهَم) الأمور بالصوُّر والتشابيه التى عرفها أبناء عصره» [١]٠

ويضرب الخورى بولس الفغالى مثلاً على ما نقله الكاتب من أفكار وأساطير عصره فيقـول «كان الشعب يعتبر أن السماء قبة للأرض تشبه قبة المعابد، وأن المياه النازلة شتاء تأتى من خزانات تقع فوق القبة الزرقاء ٠٠ فأخذ الكاتب المُلهَم بهذه الأقوال مُشدّداً على الفكرة الدينية ٠٠ وخلاصة القول أن الكاتب المُلهَم روى لنا قصة الخلق وتنظيم العالم مستعيناً بمعارف أهل زمانه ٠٠ ولهذا يجب علينا أن نقرأ

(١) الخورى بولس الفغالى – سفر التكوين ص ٥٦

الكتاب فنميز بين الحقائق الدينية التى فُوِّض إليه أن ينقلها، والكلمات والصوَر والتعابير التى لجأ إليها ليوصل إلينا هذه الحقائق» [١].

ويتساءل الخورى بولس الفغالى «وهكذا نجد عناصر مشتركة بين نصوص الكتاب المقدَّس وأساطير الشرق القديم عن أصل العالم المائى، عن نظام الكون وخلق الإنسان من تراب الأرض، وعن الجنة وشجرة المعرفة والكروب وسيف الله، فنقول : أو أن النصوص العبرانية إستقت من نصوص أقدم منها عهداً، كنصوص أشور وبابل، أو أن النصوص العبرانية إستقت كما إستقت النصوص الفينيقية والأشورية ٠٠ من ينبوع واحد مشترك ٠٠ وسوف نرى كيف أن الكاتب نقى هذه الأساطير من كل الشوائب لئلا تتعارض وإيمانه بقدرة الله الخلاقة ووحدانيته المطلقة»[٢] ثم يصرح الخورى بولس الفغالى بأن الشعب العبرانى إستقى من معين الأساطير، فيقول «إن الشعب العبرانى يشترك وبقية الشعوب فى المعارف التاريخية والجغرافية والطبيعية، وهو يستقى من معين الأخبار والأساطير التى إنتشرت فى الشرق كله» [٣].

وتصل خطورة الأمر إلى الإدعاء بأن المعارف البشرية التى كانت سائدة لدى الشعوب الوثنية تشبه الطبيعة البشرية للسيد المسيح، التى رغم ما فيها من ضعفات فإنها إتحدت بالطبيعة الإلهية، فيقول الخورى بولس الفغالى «أى ضرر على الوحى والإيمان أن يُصوّر العبرانيون أن النور كائن مستقل عن الشمس، وأن الحيوانات الداجنة خُلقت داجنة، وأن الإنسان تكوَّن من تراب الأرض؟ بهذه الصوَر فكَّر العالم السامى القديم والعبرانيون منهم، فلم يجدوا ما يعارض ديانتهم التوحيدية أو يؤثر على حقيقة الإيمان التى يعلن عنها الكتاب، فأخذوا هذه الصوَر وجعلوها إطاراً لتفكيرهم وإيمانهم. هذا التعبير عن الإيمان بلغة

---

(١) الخورى بولس الفغالى – سفر التكوين ص ٥٦

(٢) المرجع السابق ص ٨١

(٣) المرجع السابق ص ٨٣

الإنسان نسميه تجسُّد الوحى، فكما أن الأقنوام الثانى من الثالوث القدوس إتخذ جسداً من مريم العذراء، مع ما فى هذا الجسد من ضعف، هكذا تتخذ الحقيقة التى يعرفنا إياها الله شكلاً بشريًّاً، وكما نميّز فى يسوع المسيح بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، نميّز بين الحقيقة الدينية والتعبير عن هذه الحقيقة الدينية، فالحقيقة الدينية وحى من الله، والتعبير عنها عمل بشرى» (١).

عندما ما يطالع الإنسان مثل هذه الأقوال يتعجب ويندهش، وهل ما قرره الكتاب المقدَّس من خلقة النور فى اليوم الأول وأن الشمس أخذت قوتها وتأثيرها فى اليوم الرابع يعتبر أسطورة؟! وهل خلقة الإنسان من تراب الأرض يعتبر أسطورة؟! .

ويعود الخورى بولس الفغالى ليوضح مقاصده فى كتاب آخر بأجلى بيان فيقول» لم يكن الكاتب البيبلى (الكتابى) يعرف أكثر من معاصريه فى بلاد الرافدين، أو مصر، أو كنعان. إستعمل مُسطر هذه البلدان ورموزها فذكر الإله الفخارى والجنة العجيبة والشجرة التى تمنع الخلود، والحية التى تتكلم .. تساءل من أين جاء البشر؟ من أين جاء الموت؟ قال أن الحية هى السبب، فدَّل على أنه لا يعرف .. إستعمل ما فى الحضارات المجاورة من أساطير وأدخلها فى نظريته التوحيدية .. تاريخ البدايات هى نظرة إيمان إلى الكون، لا نظرة علم إلى أمور جهلها الكاتب»(٢) ..

عجباً، فلو أن كاتب الأسفار المقدسة جهل ما يحيط به من حقائق علمية، فهل جهلها روح الله أيضاً، ألم يفتح الروح القدس ذهن الكاتب، وقد عصمه من الخطأ حتى لا يكتب إلاَّ الحق وحسب؟!!

---

(١) الخورى بولس الفغالى - سفر التكوين ص ٨٤

(٢) تعرَّف إلى العهد القديم مع الأباء والأنبياء ص ١٢٢، ١٢٣

بل والأمر الأخطر من هذا أن يخلص الخورى بولس الفغالى بنتيجة، وهى أن التوراة قد حوت الأساطير ولذلك شابها الضعف والنقص، فيقول فى كتاب ثالث «وإذ أراد الكاتب أن يُعبّر عن هذه الحقائق الإلهية السامية، لجأ إلى حضارات الشرق ولاسيما ما وجده فى بلاد الرافدين. غير أنه إحتاج أن ينقى الصوُر من كل شرك وتعدد الآلهة، والتوراة بدورها ستحتاج أيضاً إلى تنقية فى الإنجيل، فهى ناقصة وقد جاء المسيح يكملها ويصل بها إلى ذروة التعليم، وهكذا نستطيع القول أن التوراة هى خلاصة حضارة الشـرق القديـم كما أخذتها كلمة الله» (١)٠٠

عجباً ثم عجباً ٠٠ ألم يشبه الخورى بولس الفغالى منذ قليل ما إقتبسه العهد القديم من الأساطير بطبيعة السيد المسيح البشرية؟! فعندما ينتهى هنا إلى أن التوراة (التى إقتبست من أساطير عصرها) قد أصابها الوهن والضعف والنقص، فهل هو يقرر بالتبعية أن طبيعة السيد المسيح البشريـة طبيعـة ناقصـة؟!!! ٠٠ كيف يخلص من يعتقد بأن السيد المسيح قدم جسده كفارة ناقصة؟!!!٠

وما إعتقد به بولس الفغالى إعتقد به الكثيرون من رجال الكنيسة الكاثوليكية، فمثلاً الأب جورج سابا يقول أن كتَّاب الأسفار المقدَّسة «يذكرون الأشياء بحسب مظاهرها، ومذهب زمانهم، وهم يرون الله فى كل شئ، لذا فى الكتاب المقدَّس أمور لا توافق مفهومنا العلمى الحالى، مثل صدور ينابيع المياه ونزول الأمطار»(٢)٠٠ **إن كبار العلماء الذين أمضوا أعمارهم فى البحث أكدوا التوافق التام بين الكتاب المقدَّس كلمة الله وبين العلم الصحيح، لأن كلاهما من الله، فعجباً للأب جورج سابا ولمن نسجوا على منواله !! ٠٠ ألاَّ يدرون أن قولهم أن الكتاب المقدَّس حوى أخطاء علمية = أن الله قد أخطأ !!! ولم يوضح الأب جورج سابا لماذا نرفض أقوال الكتاب المقدَّس عن الينابيع، وعن نزول الأمطار،**

---

(١) البدايات أو مسيرة الإنسان إلى الله ص ٢٧

(٢) على عتبة الكتاب المقدَّس ص ١٥٣

مع أن الكتـاب تفوق على عصره كثيراً عندما ذكر سفر الجامعة (جا ١ : ٧) دورة المياه فى الطبيعة (راجع كتابنا : أسئلة حول صحة الكتاب المقدَّس ص ١٤٣ ـ ١٦٠)٠

س٢٦٩ : هل أخذت التوراة من أدب وأساطير الحضارة الفرعونية؟

يرى «جيمس هنرى برستيد» أن التوراة أخذت من الأدب المصرى القديم فيقول «إن التقدم الإجتماعى والخلقى الناضج الذى أحرزه البشر فى وادى النيل الذى يُعد أقدم من التقدم العبرى بثلاثة آلاف سنة، قد ساهم مساهمة فعالة فى تكوين الأدب العبرى الذى نسميه نحن «التوراة» وعلى ذلك فإن إرثنا الخُلقى مشتق من ماضٍ إنسانى واسع المدى أقدم بدرجة عظيمة من ماضى العبرانيين، وأن هذا الإرث لم ينحدر إلينا من العبرانيين بل جاء عن طريقهم. والواقع أن نهوض الإنسان إلى المُثل الإجتماعية قد حدث قبل أن يبدأ ما يسميه رجال اللاهوت بعصر الوحى بزمن طويل» [(١)].

كمـا يقـول برسـتيد مؤكـداً نفس المعنى «يجب علينا إذاً أن نمهد أذهاننا إلى قول الحقيقة القائـلة بـأن الإرث الخلقى الذى ورثه المجتمع المتمدين الحديث يرجع أصلـه إلى زمن أقـدم بكثير جداً من زمن إستيطان العبرانيين فلسطين، وإن ذلك الإرث قـد وصـل إلينا من عهـد لم يكـن فيــه الأدب العبرانى المـدوَّن فى التوراة قد وُجِد بعد» [(٢)]٠٠

وأيضاً يقول برستيد «فكما أننا نجد الأداب الأوربية الحديثة قد نمت مشبَّعة بما ورثناه من قديم أدب الإغريق والرومان، كذلك كان محتماً أن يتأثر العبرانيون فى فلسطين كـل التأثر فى

(١) ترجمة د٠ سليم حسن – فجر الضمير ص ١٣

(٢) المرجع السابق ص ٣٣، ٣٤

أفكارهم وكتاباتهم بآداب تلك الأمة العظيمة (مصر) التى قبضت على زمام فلسطين ووضعتها تحت سيطرتها الثقافية والسياسية ٠٠ وعلى ذلك فإن تراثنا الخُلقى الدينى العظيم المُلهم الذى إنحدر إلينا من العبرانيين يمكن التسليم بصفة قاطعة بأنه ميراث مزدوج :

فهو أولاً : قد تكوَّن من خبرة بضعة آلاف من السنين مارسها الشرق الأدنى القديم وبخاصة مصر، قبل ظهور الأمة العبرانية٠

وثانياً : أن تلك الخبرة قد رسَّخت قدميها بشكل مدهش وزيد عليها بما إكتسبه العبرانيون أنفسهم من التجارب الإجتماعية المتواصلة، على يد أولئك الأنبياء والحكماء الإسرائيلين» [١]٠

ويقول د٠ محمد بيومى «لقد رأينا فيما سبق أن العبرانيين قد اعتمدوا إلى حد كبير فى أساطيرهم وقوانينهم على الحضارة السومرية والبابلية، أما فى الآداب والأخلاق والدين والتفكير الاجتماعى بوجه عام، فقد اعتمدوا فيه – إلى حد كبير – على الحضارة المصرية ٠٠ فإن الإسرائيليين منذ بدء تاريخهم – كما تصوُّره توراتهم – وحتى السبى البابلى وكتابة التوراة إبانه، لم يبتعدوا أبداً عن التأثير المصرى فى كل المجالات الفكرية والمادية، ومن هنا كان التأثير المصرى فى التوراة وفى العبادات ومجالات الحياة الأخرى الإسرائيلية» [٢]٠

ويرى الخورى بولس الفغالى أن التوراة إغتنت من الأدب المصرى القديم، فيقول «هذا بعض الغنى الذى عرفه الأدب المصرى خلال ثلاثة آلاف سنة. بهذا الأدب تأثر الشرق كله بما فيه الشعب العبرانى. وإن التوراة أخذت الكثير من عالم مصر فاغتنت، وستأخذ من عالم بلاد الرافدين فتجعل كل غنى الشرق القديم فى

---

(١) ترجمة د٠ سليم حسن – فجر الضمير ٤١٠

(٢) تاريخ الشرق الأدنى القديم – تاريخ اليهود (مذكرة كلية الآداب–جامعة الاسكندرية ١٩٧٢م) ص٣٠٦

إطار كلمة الله»[1] وقد أفاض الفغالى فى الربط بين ما جاء فى التوراة وبين ما جاء فى الأساطير الفرعونية (راجع المدخل إلى الكتاب المقدَّس جـ ١ ص ٤١٠ - ٤٣١).

وعلى نفس النهج يقول د. سيد القمنى «يمكن لأى باحث - بقليل من الجهد - أن يجد فى التوراة مآثر مصرية، وأخرى رافدية، وثالثة فينيقية .. ولا يبقى أمام الباحث سوى أن يلقى بنفسه وسط هذه الأحبولة ذات المائة وجه والآلف لون» [2].

ج : ١- نحن نعترف بسمو المبادئ الأدبية التى جاءت فى الحضارة الفرعونية، وهذا يرجع لصوت الضمير الذى أودعه الله فى الإنسان، فمثلاً جاء فى الرواية الأولى من كتاب الموتى، أن المتوفى عند وصوله إلى قاعة الصدق ومثوله أمام الآلهة «يوجه نظره إلى وجه الإله ويقول : سلام عليك أيها الإله العظيم رب الصدق، لقد أتيتُ إليك ياإلهى وجئ بى إلى هنا حتى أرى جمالك. إنى أعرف إسمك، وأعرف أسماء الأثنين والأربعين إلهاً الذين معك فى قاعة الصدق .. أنظر .. إنى لم أرتكب ضد الناس أى خطيئة .. إنى لم آت سوءاً فى مكان الحق .. وإنى لم أعرف أية خطيئة .. إنى لم أرتكب أى شئ خبيث .. وإنى لم أفعل بما يمقته الإله .. وإنى لم أبلغ ضد خادم شراً إلى سيده .. إنى لم أترك أحداً يتضوَّر جوعاً .. ولم أتسبب فى بكاء أى إنسان .. إنى لم أرتكب الزنا .. إنى لم أرتكب خطيئة تدنس نفسى .. إنى لم أخسر مكيال الحبوب .. إنى لم أنقص المقياس .. إنى لم أُنقص مقياس الأرض .. إنى لم أثقل وزن الموازين .. إنى لم أحوّل لسان كفتى الميزان .. إنى لم أغتصب لبناً من فم الطفل .. إنى لم أطرد الماشية من مراعاها .. إنى لم أنصب الشباك لطيور الآلهة .. إنى لم أتصيد السمك من بحيراتهم (أى بحيرات الآلهة) .. إنى لم أمنع

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدَّس جـ ١ ص ٤٣١

(٢) قصة الخلق أو ينابيع سفر التكوين ص ١٤٧

المياه عن أوقاتها ·· إنى لم أصنع سداً للمياه الجارية ·· إنى لم أطفئ النار فى وقتها (أى وقت نفعها) ·· إنى لم أستولى على قطعان هبات المعبد ··» [١]·

٢- لو كان موسى النبى الذى تحكَّم بكل حكمة قدماء المصريين أخذ من الحضارة الفرعونية، فلماذا لم يأخذ تعدد الآلهة، وتزاوجهم، وتناسلهم، وصراعاتهم؟! فقد تزوجت إيزيس من أوزيريس وأنجبت حورس ·

٣- لو أخذ موسى من آداب الحضارة الفرعونية، فلماذا لم يأخذ عنها السحر الذى تفشى فى معظم مظاهر الحياة؟ ·· يصوّر جيمس هنرى برستيد السحر الذى إنتشر فى كل مناحى الحياة فى مصر، فيقول «ومن الصعب أن يفهم العقل الحديث كيف أن مرافق الحياة جميعها قد تسرَّب إليها الإعتقاد فى السحر ·· فكانت الأم لا يمكنها أن تهدئ من روع طفلها المتألم المريض وتجعله يضطجع طلباً للراحة إلاَّ بعد الإستنجاد بالقوة الخفية لتقوم بتخليص الطفل من المرض ومن الحسد ومن سلطان أشباح الشر ·· ونستطيع أن نسمع صوت الأم وهى تنحنى على طفلها وتختلس النظر خلال ذلك الباب المفتوح فى الظلمة المسكونة بقوى الشر هذه، وتقول ·· هل أتيت لتلحق به ضرراً؟ إنى لن أسمح لك بأن تضره ·· هل أتيتِ لتأخذيه؟ إنى لن أسمح لك بأن تأخذيه منى» [٢]·

كما إستخدم المصرى القديم الرقية السحرية التى تثبت براءته أمام محكمة العدل بعد موته، حتى قال برستد «وقد كان فى مقدور الميت أن يحصل حتى على صيغة سحرية شديدة القوة والتأثير لدرجة تجعل» إله الشمس «– الذى يعتبر القوة الحقيقية الكافية وراء تلك المحاكمة – يسقط من سماواته فى النيل إذ لم يُخرج ذلك الميت برئ الساحة تماماً فى المحاكمة»[٣] كما يصف برستيد كتاب الموتى قائلاً أنه ليس «إلاَّ مثالاً آخر لأحكام الطرق السحريَّة بقصد تحسين

(١) جيمس هنرى برستيد – ترجمة د· سليم حسن – فجر الضمير ص ٢٧٢، ٢٧٣

(٢) ترجمة د· سليم حسن – فجر الضمير ص ٢٦٢، ٢٦٣

(٣) المرجع السابق ص ٢٨٣

أحوال الحياة الأخرى، والواقع أن كتاب الموتى نفسه – على وجه عام – ليس إلاَّ مثلاً مركَّباً بعيد المرمى يوضح مدى إعتماد القوم المتزايـد علـى السحـر فى الحياة الأخرى» [1].

وقد إستغل كهنة ذلك العصر الفرصة لإبتزاز أموال الناس، فضاعفوا من أخطار الآخرة وأهوالها، وإدَّعوا أن فى مقدورهم إنقاذ المتوفى عن طريق التعاويذ المختلفة التى تنجيه من فقدان فمه أو رأسه أو قلبه، وتعاويذ أخرى تساعده على إستذكار إسمه، ومنها ما يمنع الماء الذى يشربه من أن يتحول إلى لهيب (راجع فجر الضمير ص ٢٨٧).

٤– كثير من كتبة الأسفار المقدَّسة من البسطاء الذين لم يطَّلعوا على الحضارات الأخرى، ولم يجوبوا الأرض شرقاً وغرباً، ومعلوماتهم عن الحضارة المصرية بسيطة وهامشية، حتى الأنبياء الذين عاشوا فى بابل وقت السبى لم يظهر فى كتاباتهم أى تأثر بالأدب البابلى ولا المعتقدات البابلية، بل جاءت كتاباتهم منسجمة تماماً مع كتابات الأنبياء الأولين الذين لم يذهبوا للسبى، وبذلك نقف خشوعاً أمام كتاب عجيب فريد له روح واحد، بلا أدنى تضـارب ولا تناقض، وروح الله القدوس الذى نطق على أفواه الأنبياء وعزف على قيثاراتهم، لم يكن فقيراً يحتاج للإقتباس من الأدب المصرى القديم أو غيره.

٥– لا يمكن قصر أهمية العهد القديم على الأدب الأخلاقى فقط، ونغفل التاريخ المقدَّس للشعب المختار ومعاملات الله معه، فالعهد القديم يحدثنا عن تاريخ البشرية جمعاء من خلقة فريدة، وحياة فى الفردوس، وسقوط، وإفتقاد الله لنا بالأنبياء. فضلاً عن مئات النبوءات التى وضعها الروح القدس على أفواه الأنبياء تخبرنا عن الخلاص المرتقب .. حقاً إن العهد القديم هو طريـق النفس البشرية لله، وكم حوى من كنوز خلت منها كتب العالم كله؟!

---

(١) ترجمة د. سليم حسن – فجر الضمير ص ٢٨٦

٦- الذين ينكرون الوحى الإلهى فى التوراة مثل برستيد، من السهل عليهم أن يجعلوا الأدب هو محور الكتاب المقدَّس، وينظرون إليه ككتاب أخلاقى فقط، إقتبس من الحضارات المصرية والبابلية وغيرهما، والحقيقة أن عظمة الكتاب المقدَّس تتجلى فى أنه الكتاب الوحيد المُوحى به من الله، فهو كتاب ذو طبيعة مزدوجة، إلهية وبشرية، هو نتاج شركة بين روح الله القدوس ورجال الله الذين دونوه ٠٠ أى حضارة بشرية تطوَّرت بفعل العقل، وأى أدب بشرى هو نتاج العقل وحده. أما الكتاب المقدَّس فيتميز بالجانب الإلهى، ولذلك حوى الأدب الرفيع الراقى بدون أية شوائب، بينما الأدب البشرى شابته النقائص والأخطاء٠

٧- لا يمكن أن نقبل رأى النقاد كأمر مسلَّم به، فمثلاً إعتقد برستيد أن عمر الإنسان على الأرض مليون سنة فيقول «إن الإنسان بصفته أقدم المخلوقات صنعاً للآلات، كان مُجداً فى صنع أسلحة منذ نحو مليون سنة، فى حين أن الضمير لم يبرز فى شكل قوة إجتماعية إلاَّ منذ مدة لا تزيد عن خمسة آلاف سنة»[1] كما يقول «فلا شك إذاً فى أن عصر السلاح يبلغ عمره مليون سنة، مع أن عصر الأخلاق قد شق طريق بدايته البطيئة تدريجياً منذ نحو أربعة آلاف أو خمسة آلاف سنة»[2] ٠٠ لقد إنبهر برستيد بالحضارة الفرعونية لأنها تقدمت فى زمن قصير يُقدَّر بنحو خمسة آلاف سنة، بينما عمر الإنسان على الأرض منذ مليون سنة، دون تقدم، وهذا يخالف الحقيقة، لأن كل عمر الإنسان على الأرض لا يتجاوز سبعة أو ثمانية آلاف سنة، فالعصر الجليدى ساد على الأرض منذ نحو عشرة آلاف سنة فقط ٠

٨- إدَّعى بعض الأخوة المسلمين أن التوراة أُخذت من الحضارة المصرية القديمة لوجود بعض التشابهات بينهما، لماذا لم يطبقوا هذا على القرآن مع وجود تشابهات بينه، وبين الحضارة المصرية، وقد ضرب جيمس هنرى برستيد بعض الأمثلة على تلك التشابهات فقال «يقول ذلك الوزير المسن العاقل (بتاح حتب) إن الزوج الكيِّس هو الذى يجعل زوجته سعيدة أولاً بالمحبة

(١) ترجمة د٠ سليم حسن – فجر الضمير ص ٨

(٢) المرجع السابق ص ١٨

التى تلزمه أن يفسح لها فى قلبه الإعتبار الأول، ثم يأتى بعد ذلك بمستلزمات الجسم من غذاء وملابس، ثم بالكماليات كالعطور والدهان، فنراه يقول { إجعل قلبها فرحاً ما دمت حياً، فهى حقل مثمر لسيدها } وهذه الملاحظة الأخيرة قد سبقت ما جاء فى القرآن المُنزَّل على الرسول محمد صلعم بعد مضى خمسة وثلاثين قرناً، وهو قوله تعالى { نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثهم إن شئتم } (البقرة ٢٢٣)[١] ولم يعلق المترجم (الدكتور سليم حسن) على هذا.

كما يقول برستيد «إن كاتباً فى أحد مخازن الخزانة فى جبانة طيبة» يدعو آمون فيقول : الذى يأتى إلى الصامت، وفى القرآن الكريم «وإذ سألك عبادى عنى فإنى قريب أُجيب دعوة الداعى إذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون» (البقرة ١٨٦) [٢].

ويقول برستيد أيضاً (مقارناً بين بعض ما جاء فى الحضارة الفرعونية وما جاء فى القرآن والأحاديث) إن الحكيم المصرى يحذر إبنه الشاب من المعاملات ذات الوجهين قائلاً «لأن الله يمقت الرجل صاحب القول الكاذب .. وأكبر ما يمقته الرجل ذو القلبين، وجاء ذم المرآة فى القرآن الكريم فى مناسبات منها» فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذى هم يراءون «(الماعون ٣ – ٦) وفى الحديث أيضاً كثير، ومنه : ملعون ذو الوجهين» [٣].

ويعلق نيافة الأنبا بولا أسقف طنطا على هذا قائلاً «إن من يقبل هجوم مثل هؤلاء على الكتاب المقدَّس عليه أن يقبل هجومهم على القرآن الكريم وإذا قبل هذا وذاك فنحن لا نقبله» .

---

(١) ترجمة د. سليم حسن – فجر الضمير ص ١٤٧

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٧

(٣) المرجع السابق ص ٣٥٠، ٣٥١

س٢٧٠ : هل أخذ موسى فكر التوحيد من إخناتون؟

يقـول النقـاد إن «إخناتـون» وزوجته «نفرتيتى» قـد هجرا عبادة الإله «آمون» وكان مركزها مدينة طيبة، ونادوا بعبادة الإله الواحد «أتون» إله هليوبوليس، وجعلوا مركز عبادته فى «تل العمارنة» التى أنشأوها، ومعنى إسمها «أخت آمون أتون» وقد منـع «إخناتون» أى نحت أو تصوير للإله الواحد «أتون» وفى عصره حُطمت كل التماثيل ومحيت من على جدران المعابد كل صوُّر وأسمـاء الآلهة القديمة، وسمح إخناتون فقط بنحت أشعة الشمس كرمز للإله الواحد، لأنه إعتقد أن «أتون» لا يمثل قرص الشمس ذاته إنما هو خالق أشعته، وقال النقاد هكذا جاءت الوصية فى التوراة ***«لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما مّما فـى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل وما فى الماء من تحت الأرض»*** (تث ٥ : ٨)٠

كما قال النقاد إن «إخناتون» أنكـر فكرة البعث والحساب والحياة الأخرى، فقد كان الإله الشعبى «أوزوريس» هو إله الأموات ورب البعث، فأراد «إخناتون» أن يمحو هذا الإله ولذلك أنكر عقيدة البعث والحساب، وعلى منواله نسجت اليهودية، فلا نجد فيها نصوصاً واضحة عن الحياة بعد الموت، وأيضاً قال النقاد إن «إخناتون» حارب السحر والسحرة، وهكـذا فعلـت التـوراة ***«لا تـدع سـاحرة تعيـش»*** (خر ٢٢ : ١٨)٠

ج : دعنا ياصديقى نلقى الضوء قليلاً على إخناتون وعبادته، قبل أن نعلق على ما طُرح فى السؤال السابق، فيقول «ول ديورانـت» عن إخناتون (الملك المارق) فى عام ١٣٨٠ ق٠م مات امنحوتب الثالث الذى خلف تحتمس الثالث على عرش مصر، بعد حياة حافلة بالعظمة والنعيم الدنيوى، وخلفه إبنه امنحوتب الرابع الذى شاءت الأقدار أن يُعرف باسم إخناتون ٠٠ وملاك القول أنه كان شاعراً شاءت الأقدار أن تجعل منه ملكاً، ولم يكد يتولى المُلك حتى ثار على دين آمون وعلى الأساليب التى يتبعها كهنته، فقد كان فى الهيكل العظيم بالكرنك طائفة كبيرة من

النساء يُتخذن سرارى لآمون فى الظاهر، وليستمتع بهنَّ الكهنة فى الحقيقة، وكان الملك الشاب فى حياته الخاصة مثالاً للطهر والأمانة، فلم يرضه هذا العهر المقدَّس كما كان إتجار الكهنة فى السحر والرقى ٠٠ مما تعافه نفسه، فثار على ذلك كله ثورة عنيفة ٠٠ وثارت روحه الفتية ٠٠ وكره المال الحرام والمراسم المترفة التى كانت تملأ الهياكل ٠٠ وأعلن فى شجاعة أن هاتيك الآلهة وجميع ما فى الدين من إحتفالات وطقوس كلها وثنية منحطة، وإن ليس للعالم إلاَّ إله واحد هو أتون، ورأى إخناتون ٠٠ أن الألوهية أكبر ما تكون فى الشمس مصدر الضوء ٠٠ فألف أغانى حماسية فى مدح أتون، أحسنها وأطولها جميعاً القصدية الآتية (ونستقطع فيما يلى بعض عبارات إخناتون التعبدية للشمس) :

ما أجمل مطلعك فى أفق السماء ٠٠ أى أتون الحى، مبدأ الحياة ٠٠ فإذا ما أشرقت فى الأفق الشرقى ٠٠ ملأت الأرض كلها بجمالك ٠٠ إنك جميل، عظيم برَّاق، عال فوق كل الرءوس ٠٠ أشعتك تحيط بالأرض، بل بكل ما صنعت ٠٠٠ وإنك لتربطها جميعاً برباط حبك ٠٠ ومهما بعدت فإن أشعتك تغمر الأرض ٠٠ ومهما علوت، فإن آثار قدميك هى النهار ٠٠

وإذا ما غربت فى أفق السماء الغربى ٠٠ خُيم على الأرض ظلام كالموت ٠٠ ونام الناس فى حجراتهم ٠٠٠ وخرج كل أسد من عرينه ٠٠ ولدغت الأفاعى كلها ٠٠ وسكن العالم بأجمعه ٠٠ لأن الذى صنعها يستريح فى أفق سمائه ٠٠ ما أبهى الأرض حين تشرق فى الأفق ٠٠ حين تضئ ياأتون بالنهار ٠٠ تدفع أمامك الظلام ٠٠٠ وإزدهر الشجر والنبات ٠٠ ورفرفت الطيور فى مناقعها ٠٠ وأجنحتها مرفوعة تسبح بحمدك ٠٠ ورقصت كل الأغنام وهى واقفة على أرجلها ٠٠ وطار كل ذى جناحين ٠٠ وإن السمك فى النهر ليقفز أمامك ٠٠ أيها الإله الأوحد الذى ليس لغيره سلطان كسلطانه ٠٠ يامن خلقت الأرض كمن يهوى قلبك ٠٠ حين كنت وحيداً ٠٠٠ أنت مُوجِد النيل فى العالم السفلى ٠٠ وأنت تأتى به كما تحب ٠٠ لتحفظ حياة الناس ٠٠ ألا ما أعظم تدبيرك ٠٠ يارب الأبدية ! ٠٠٠

إنك فى قلبى ‥ وما من أحد يعرفك ‥ إلاَّ إبنك إخناتون ‥ لقد جعلته حكيماً بتدبيرك وقوتك ‥ بالصورة التى خلقته عليها ‥ فإذا أشرقت دبت فيه الحياة ‥‥ أنت أوجدت العالم ‥ وأقمت كل ما فيه لإبنك ‥ أخناتون، ذى العمر المديد ‥ ولزوجة الملكية الكبرى محبوبته» (١).

والآن هاك تعليقنا على السؤال السابق : هل أخذ موسى فكر التوحيد من إخناتون؟

١- رأى المصريون الإله الواحد فى إله الشمس، ومع هذا فإنهم لم يسقطوا الإعتقاد بآلهة أخرى خُلقت بواسطة إله الشمس، ففى أنشودة شمسية جاء عن إله الشمس «إنك صانع مصوّر لأعضائك بنفسك ‥ ومصوّر دون أن تصوَّر ‥ منقطع القرين (أى ليس له قرين) فى صفاته، مخترق الأبدية ‥ مرشد الملايين إلى السبل ‥ وعندما تقلع فى عرض السماء يشاهدك كل البشر ‥ وحينما يأتى وقت غروبك ‥ فإن ساعات الليل تصغى إليك أيضاً ‥ وعندما تجتازها فإن ذلك لا يكون نهاية كدك ‥ أنت خالق الكل ومانحهم قوتهم ‥ أنت أم نافعة للآلهة والبشر ‥» (٢).

٢- مثَّل عصر «إخناتون» ثورة على الوضع القائم، ولكن سريعاً ما إنتهى هذا العصر، وعاد الوضع إلى ما كان عليه فى عصر زوج إبنته «توت عنخ آمون» فيقول برستيد «أما سقوط ذلك الثورى العظيم (إخناتون) فيحوطه الغموض التام، وكانت النتيجة المباشرة لسقوطه هو إعادة عبادة «آمون» ‥ التى فرضها كهنة «آمون» على «توت عنخ آمون» ذلك الشاب الضعيف زوج إبنه «إخناتون» ‥ وهكذا لُعِنت ذكرى ذلك الرجل العظيم صاحب المثل الأعلى ‥ وعندما كانت الإشارة إلى إسمه ضرورية فى الوثائق الحكومية فى عهد الفراعنة الذين أتوا فيما بعد كان

---

(١) ترجمة د. زكى نجيب محمود، ومحمد بدران – قصة الحضارة – المجلد الأول (٢) ص١٦٩ - ١٧٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٥

يُسمى «مجرم إخيتاتون» ·· (وفى أنشودة فرح بعودة آمون) حيث جاء فيها : إنك تصل إلى من ينبغى عليك ·· والويل لمن يهاجمك ·· مدينتك تبقى ·· ولكن من يهاجمك يهوى ·· وشمس من لا يعرفك تغيب ·· يا آمون ! ·· وأما من يعرفك فإنه يضئ ·· ومعبد من هاجمك فى ظلمة ·· بينما جميع الأرض فى نور» (١) ويقول برستيد «إنه بعد سقوط إخناتون لم يترك أعداؤه حجراً واحداً لم يقلبوه لإزالة كل أثر باق يدل على حكمه المقوت عندهم، وقد دمروا بطبيعة الحال مخطوطات الملك هذه المدوَّنة على البردى» (٢).

٣- أنكر إخناتون الذى رفع راية التوحيد عقيدة الحساب فى الآخرة، فيقول برستيد «وإذا كنا لم نسمع عن حساب الآخرة فى مقابر» تل العمارنة «فمن الواضح أن ذلك إنما يرجع إلى نبذ سحابة الآلهة وأنصاف الآلهة، وعلى رأسهم أوزيريس، فمن كانوا يؤلفون هيئة المحاكمة فى حساب الآخرة بشكلها الموضح فى كتاب الموتى، فأولئك الآلهة قد بادوا الآن، وإختفى – على ما يظهر – منظر المحاكمة التمثيلى بإختفائهم» (٣).

٤- من قال أن التوراة أنكرت فكرة البعث أو خلت من الحديث عن الحياة الأخرى؟ ·· يكفى أن نلقى نظرة على الآيات الآتية :

أ – عندما إعتقد يعقوب أن إبنه يوسف قد إفترسه وحش ردئ ***«أبىَ أن يتعزى وقال إنى أنزل إلى إبنى نائحاً إلى الهاوية ··»*** (تك ٣٧ : ٣٥).

ب- عندما طلب أبناء يعقوب أن ينزل معهم بنيامين إلى مصر رفض يعقوب قائلاً ***«فإن أصابته أذيَّة فى الطريق التى تذهبون فيها تُنزلون شيبتى بحزن إلى الهاوية»*** (تك ٤٢ : ٣٨).

---

(١) جيمس برستيد – ترجمة د· سليم حسن – فجر الضمير ص ٣٢٠، ٣٢١

(٢) المرجع السابق ص ٣٢١

(٣) المرجع السابق ص ٣٢٤، ٣٢٥

جـ- قال موسى عن داثان وابيرام «**إن إبتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وإبتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياء إلى الهاوية ..**» (عد ١٦ : ٣٠).

د - قال بلعام «**لتمت نفـسى موت الأبرار ولتكن آخرتى كآخرتهم**» (عد ٢٣ : ١٠).

هـ- قال الرب رداً على من أغضبوه «**قد اشتعلت نار بغضبى فتتقد إلى الهاوية السفلى**» (تث ٣٢ : ٢٢) .

ويجب ملاحظة أن أسفار موسى الخمسة لا تمثل قسماً منفصلاً مستقلاً بذاته عن بقية الأسفار المقدَّسة، فالكتاب المقدَّس كله وحدة واحدة، فحتى لو أن التوراة لم تتوسع فى الحديث عن الحياة الأخرى فإننا سنجد الأسفار الأخرى قد غطت هذا الأمر، فمثلاً سفر استير لم يرد فيه إسم الله باللفظ على الإطلاق، ومع ذلك فهو سفر قانونى مُوحى به من الله، لأنه وإن كان إسم الله لم يرد باللفظ إلاَّ أن الشعب اليهودى كان يصلى لله، ويصوم ويطلب مراحم الله، وقد عظم الرب الصنيع مع شعبه. إذاً لنترفع عن هذا المنطق لأن الكتاب يقول «**لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى**» (٢ كو ٣ : ٦) .

لقد عرف رجال العهد القديم أن هناك حياة أخرى، وتنبأوا عن مجئ المخلص الذى سيخلصهم من وصمة الخطية ويطلقهم من الهاوية، وقد إعترف بهذه الحقيقة» جيمس هنرى برستيد» ولكن جانبه الصواب عندما ظن أن العبرانيين إقتبسوا فكر المخلص من الحضارة الفرعونية (راجع فجر الضمير ص ٤٠) لأن المصريين كانوا يحلمون بمجئ حاكم عادل يقيم العدالة فقط. أما نبؤات العهد القديم فقد أوضحت جوانب عديدة جداً لهذا المخلص وولادته المعجزية، وشخصه، وحياته، ومعجزاته، وموته مصلوباً وقيامته والفداء العظيم الذى سيصنعه .. إلخ وذلك من خلال ثلثمائة نبؤة، ولنا عودة لموضوع الحضارة الفرعونية فى سفر الخروج إن شاءت نعمة الرب وعشنا.

س٢٧١ : هل إستخدام الكاتب ما فى الأساطير من معانٍ لا يلغى عمل الوحى الإلهى؟ وهل إمتد الوحى الإلهى إلى جميع الأمم أم إنه إقتصر على الأسفار المقدَّسة فقط؟

للأسف الشديد إن هذه الأفكار تغلغلت ليس لدى أصحاب لاهوت التحرر فقط، بل تغلغلت فى بعض جوانب الكنيسة الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية، ونحن نخشى أن يقع فيها البسطاء من كنيستنا الأرثوذكسية، ولذلك وجب علينا عرضها ومناقشتها، فمثلاً يقرُّ الأب سهيل قاشا أن العهد القديم إقتبس من أساطير الشعوب الوثنية، فيقول «إن التراث الكتابى قد أخذ الكثير من تـراث محيطـه الثقـافى الشرقى، إلاَّ أنه لم يقلده تقليداً حرفيـاً، بل غـــربل ما إقتبــــس»[1] كما يقــول «وبالإجمال حاولنا أن نبين أن الكتاب المقدَّس (العهد القديم) قد إقتبس الكثير من الفكر والأدب الذى سبقه وبالذات من الفكر والأدب الرافدينى وبذلك لم يعد ذلك الكتاب الفريد والفوق طبيعي٠ كما لم يعد أقدم الكتب جميعاً الذى كُتب من قبل الله شخصياً، أو بإملاء أو» إلهام «منه كما كنا نراه يوماً» ٠[2]

ويرى الأب سهيل قاشا إنه بالرغم من أن الكاتب التوراتى قد إستخدم أساطير الأمم إلاَّ إنه كتب بوحى إلهى، فيقول «خلاصة القول، ومهما يكن من تشابه وإقتباسات وتأثيرات ومؤثرات، يبقى الكتاب المقدَّس، كتاباً مُلهماً وعمل الروح القدس فيه واضح وبيّن حيث أن الكاتب المُلهم إستطاع وبجدارة أن يستخدم ويوظف الملحمة أو أسطورة جلجاميش للبلوغ إلى الهدف والغاية المقدَّسة وهى أن الله هو المبدع والخالق والضابط الكل، وهو الإله الواحد ليس من غيره إله، منه وإليه ترجع كل الأمور وهو بداية كل الغايات وإليه تنتهى» ٠[3]

---

(١) التوراة البابلية ص ٣٨

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٧

(٣) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ٢٠٦، ٢٠٧

ويقول الأب جورج سابا «تناول واضعوا الكتاب المقدَّس أحياناً بعض عناصر عُرفت فى حضارات جيرانهم ودياناتهم، وطهروها من كل شائبة ·· ومن جملة ذلك : الخيال الذى يحيط بأسطورة الخلق البابلية، وتقليد ما بين النهرين المتعلق بالطوفان، ورمز العاصفة المنبثق من الميثولوجيا الكنعانية، والأقوال الفارسية فى عالم الملائكة أو شرائع الشرع الحمورابى وغيره، وحكم ومزامير ظهرت فى مصر وغيرها» (١).

كما يقول الأب جورج سابا أيضاً عن الأحدى عشر إصحاحاً الأول من سفر التكوين «تلك أجوبة توصَّل إليها مفكروا العهد القديم بعد عناء طويل ·· من أين الكون؟ ومن أين الإنسان؟ لماذا الحياة» لماذا الخطيئة والشر والعنف والألم والموت؟ لماذا هذا الميل إلى الشر والعنف والألم والموت؟ لماذا هذا الميل إلى الشر ولماذا صعوبة الخير؟ لكنها ليست أجوبة مجردة، بل أجوبة تُعرض بطريقة شعبية خيالية قصصية، قريبة إلى أذهان المستمعين والقراء، لها خلفيات من تراث الشعوب السامية عامة» (٢).

أما الشق الثانى من السؤال والخاص بإمتـداد الوحى الإلهى للشعوب الوثنية، فيقول الأب سهيل قاشا «إن الوحى الإلهى كان لكل الشعوب والأمم، وكل منها عبَّر عنه بحسب البيئة والعقلية والزمان، فهناك تنويهات وإشارات كثيرة لدى الشعوب المجاورة، عمل حكماؤها ودوَّنوا بحسب الوحى الإلهى الذى عبَّروا عنه، وإن كان بصورة مشوَّهة ·· إن شريعة حمورابى وتطابقها مع الشريعة التى تلتها بقرنين من الزمان (شريعة موسى) ألا يمكننا أن نقول أنها دوِّنت بإلهام ووحى لما فيها من العدالة والحق والإنصاف؟» (٣).

---

(١) على عتبة الكتاب المقدَّس ص ٤٩

(٢) المرجع السابق ص ١٥٥

(٣) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ٢٠٧

وأعاب الأب سهيل قاشا على اليهود لأنهم يقصرون عمل الوحى الإلهى على العهد القديم، فقال «إلاَّ أن اليهود كأنهم إحتكروا هذا الوحى والمقدَّسات ٠٠ رغم ما فى أسفار العهد القديم دون إستثناء من إقتباسات وتطابقات للفكر الإنسانى السابق لهم، وهذا ما تؤكده يوماً بعد يوم الدراسات العلمية الرصينة والآثار والألواح والكتابات، وكأنى بهم يريدون حجب نور الشمس بالغربال، وهل يُخفى القمر؟ ٠٠ لأن الإله الواحد الأحد خلق كل البشر وهم أبناءه بدون تمييز وأعطى لهم حق التفكير والتعبير» (١)٠

تعليق :

١- عندما يقول الأب سهيل قاشا ما معناه : أن الكتاب المقدَّس يبقى ملهماً بعد إقتباسه من أساطير الشعوب الوثنية ٠٠ نسأله : هل مصدر الإلهام فى الكتاب المقدَّس هو روح الله، أم أساطير الأمم، أم أن هناك أجزاءاً يرجع مصدر الإلهام فيها للروح القدس وأجزاءاً أخرى يرجع مصدر الإلهام فيها للأساطير؟ وكيف يتفق النور مع الظلمة؟! ٠

وعندما يقول ما معناه : أن الكتاب المقدَّس لم يعد الكتاب الفريد والفوق طبيعى، لأنه لم يكتب بإلهام إلهى كما كنا نظن ذلك من قبل ٠٠ ألا ترى ياصديقى أن هذا طعن مباشر فى كتابنا المقدَّس الوحيد الفريد الذى له طبيعة مزدوجة إلهية وبشرية، إذ كتب بأيدى البشر ولكن بإلهام من روح الله القدوس؟! ٠٠ لماذا ينفى الأب سهيل قاشا الصفة الإلهية عن الكتاب المقدَّس؟!، وعلاَمَ يستند فى قوله هذا؟ ٠٠ أليس هذا تحدى واضح وصريح لروح الكتاب، وإنكار فاضح لنصه ***«كل الكتاب هو مُوحى به من الله»*** (٢ تى ٣ : ١٦)؟ ٠٠ بأى روح يتكلم هذا الأب؟! هل بروح الإنجيل؟!! ٠٠ ألا ترى ياصديقى أن هذا يعد تشكيك فى أقوال الله، كما شككت الحيَّة القديمة أمنا حواء فى أقوال الله؟!٠

---

(١) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ٢٠٧

وعندما يقول الأب جورج سابا أن الكتاب المقدَّس حوى الخيال الذى إرتبط بأسطورة الخلق البابلية، وإن مفكرو العهد القديم أجابوا بعد عناء عن تساؤلات الإنسان عن الكون والإنسان والحياة والموت والألم بطريقة شعبية قصصية مستمدة من تراث الشعوب الوثنية ·· ألا يدرى أن كل ما جاء فى كتابنا المقدَّس هو حقائق أقرَّها الله، ولا مجال فيها للخيال ولا للأساطير ولا للحكايات الشعبية؟! ·· ألا يدرى أن سفر التكوين لم يكن قط نتاج مفكروا العهد القديم بعد عناء طويل؟ ·· ألا يدرى أن موسى النبى كتب فى سلاسة وبساطة بدون أى عناء، بل إنسابت أقوال الله على شفتيه فى سهولة ويسر، ومثله بقية الأنبياء الأطهار؟!! ·· لماذا يضع الأب جورج سابا الكتاب المقدَّس وكأنه ثمرة تفكير بشرى لا غير، منكراً طبيعته الإلهية، وإن أقواله هى أقوال الله؟!! ·· كما إننا لا نستطيع أن نوافق الأب جورج سابا فى تعبيره الغير مسيحى (الإله الأحد) لأن القول بالإله الأحد يعنى أنه أحد الآلهة، وهذا طعن فى وحدانية الله، فالله واحد وليس أحد، له الوحدانية المطلقة وليس له الأحدية·

٢- هل عجز روح الله القدوس أن يوحى للكاتب ويرشده بعيداً عن أساطير الأمم التى إمتزجت بالخرافات؟ ·· لقد عاش آدم عمراً مديداً وحكى لأولاده وأحفاده قصة خلقته، وخلقة الكـون من أجله، وقصة حياته الملوكية فى الفردوس، ثم سقوطه بغواية الحيَّة وطرده من الفردوس لأرض الشقاء والعناء والفناء، وعاش نوح وأولاده يقصون على أولادهم وأحفادهم هذه القصص، ولكن إزداد عدد السكان، وتكوَّنت الشعوب، وقلت معرفتها بالله الواحد، وتغلغل فى أحشائها روح المُضِل، فأخذت هذه القصص وأمثالها مثل قصة الطوفان وبرج بابل، وأضافت عليها الخرافات، فكانت الأساطير. لقد إمتزجت الخرافات بالنبع الصافى فصار ملوَّثاً، بينما إحتفظ التقليد اليهودى بهذا النبع نقيًّا، فكيف يأخذ موسى النبى اليهودى من هذا النبع الملوث الفاسد محاولاً تنقيته، ويترك ما لديه من نبع نقى؟! ·· ويقول الأستاذ رشدى السيسى «وصفوة القول أن النبع الإلهى الأزلى الذى إستقت منه شريعة الكمال عقائدها فى كامل نقائها وصفائها،

جعل منه إبليس معيناً مر المذاق إستمد منه قدماء المصريين والهنود والفرس وغيرهم من الشعوب القديمة، أساطيرهم الدينية، المتضمنة حقائق الأسفار المقدَّسة بعد تحريفها وتشويهها»[1]٠

٣- إن الوحى الإلهى إقتصر فقط على الأسفار المقدَّسة، وخارج هذه الأسفار لا يوجد وحى على الإطلاق لدى الأمم ولا لدى اليهود أيضاً، فلم يكن الوحى متسعاً منتشراً ثم تم إختيار بعض منه كأمثلة ووُضِع فى الكتاب المقدَّس. كلاً، فخارج الأسفار المقدَّسة لا يوجد وحى قط، بل ما وُجد من أسفار أخرى فهى «أبو كريفا» غير قانونية وتمثل عملاً بشرياً محضاً لا يد لروح الله فيه٠ وكل ما نستطيع أن نقوله عن حكماء الشعوب الأخرى وفلاسفة الأمم أنهم إستطاعوا أن يروا بصيصاً من الحق الإلهى، وهذا البصيص لا يرقى بأى حال من الأحوال إلى درجة الوحى الإلهى الذى عصم كتَّاب الأسفار المقدَّسة من أى خطأ أو نسبة خطأ، ولو كان الوحى الإلهى عمل مع هؤلاء الحكماء والفلاسفة فكيف يقر الأب سهيل قاشا بأنهم دوَّنوا هذه التنويهات والإشارات بصورة مشوشة؟! ٠٠ كيف يكون هناك وحياً ويكون الناتج نصوصاً مشوهة؟!!٠

٤- لقد أعطى الله شريعته للبشرية كلها من خلال الشعب اليهودى، ولم يمنع أى إنسان من السلوك فى هذه الشريعة، وكان إختيار الله للشعب اليهودى وإيداعه النبوّة والكتاب إختياراً مؤقتاً، فهو إختيار للجزء ليقدس به الكل، وإختيار للخميرة لتخمر العجين كله، ولهذا جاء الوعد الإلهى لإبراهيم أن بنسله تتبارك جميع الأمم (تك ١٢ : ١ - ٤، ٢٢ : ١٦ - ١٨) ٠

لقد خلق الله كل البشر وجميعهم أبناءه بالخلقة بدون تميّيز، ولكن الإنسان هو الذى صنع هذا التميّيز، فهناك من أحب الله أكثر من حبه لنفسه، وأطاعه لدرجة تقديم إبنه ذبيحة حية له، وهناك من أحب الشيطان وأطاعه وقدم أبناءه ذبيحة نجسة له ٠٠ شتان بين النور

---

(١) مجلة الكرازة فى ١٥/٨/١٩٧٥م ص ٧

والظلمة، فقد هرب أبناء الظلمة من النور الإلهى، فسقطوا فى تعديات وخطايا لا حدود لها، حتى الأرض لم تحتملهم بل لفظتهم وطوَّحت بهم من على ظهرها٠



الفصل الثانى: قصة الخلق والأساطير

قال النُقاد أن قصة الخلق التوراتية مستمدة من أساطير الخلق السومرية، والبابلية، والمصرية، والفارسية، ولذلك تجدنى مضطراً إلى إلقاء الضوء قليلاً على حضارة سومر التى وُجدت فى بلاد الرافدين، فى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، والتى قيل عنها أنها بذرة الحضارة الإنسانية، حيث بدأت الزراعة وحياة الإستقرار مع بداية الألف الثالثة قبل الميلاد، وتقدَم الإنسان فعرف الكتابة التى صارت وسيلة للتبادل الثقافى والعلمى والدينى. ثم برزت الحضارة البابلية القديمة مع بداية الألف الثانية قبل الميلاد، كوريث شرعى للحضارة السومرية، غير أنها تقدمت عنها فى شتى المجالات. أما الحضارة المصرية القديمة التى نبتت على ضفاف النيل، فقيل أنها سبقت حضارة سومر بنحو ألف عام، وفى منتصف الألف الأول قبل الميلاد تقريباً ظهرت الحضارة الفارسية.

وفى هذا الفصل نعرض بإختصار شديد لأهم قصص الخلق كما وردت فى هذه الحضارة، ليتبين الجميع أكذوبة الإدعاء بأن سفر التكوين إستمد مادته من أساطير الأولين، وليشتم الجميع رائحة الفساد النابعة من هذه الأساطير الخرافية، وإن كل أسطورة حملت عوامل فسادها داخلها، حتى أنها لا تحتاج لشرح أو تعليق، ومع هذا فلأجل النُقَّاد الذى تفلسفوا وحمَّلوا القصة بأكثر مما تحتمل، متعللين بأنهم ينفذون للمعنى الخفى للأسطورة دون الشكل، لذلك سيكون لنا تعقيب نهائى يشمل أوجه الشبه البسيطة وأوجه الخلاف العميقة بين ما جاء فى هذه الأساطير، وما ورد فى سفر التكوين، ليتأكد الكل أن كتابنا المقدَّس لم يقتبس من أساطير الأمم والشعوب الوثنية، التى سارت فى ركاب الشيطان، الذى كمن وراء كل وثن، وأفسد كل فكر نقى.

أولاً: أساطير الخلق السومرية :

س٢٧٢: كيف بدأت حضارة سومر ؟ وكيف تقدمت ؟ وكيف إنتهت ؟

ج: لا أحد يعرف على وجه التحديد من أين جاء السومريون، فربما جاءوا من المناطق الجبلية فيما وراء إيران فى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، ولذلك يمثل السومريون أقدم أمة سكنت ما بين النهرين، وقد ذُكرت فى الكتاب المقدَّس باسم شنعار (تك ١٠: ١٠، ١١، ١٤: ١، ٩، أش ١١: ١١ . .) وكانت أرض شنعار تشغـل شمـال الخليج العربى، وجنوب بابـل فـى أرض الرافدين (الجزء الجنوبى من العراق الحالى) ومع بداية الألف الثالثة قبل الميلاد بدأت الزراعة، بينما النظام النقدى لم يكن معروفاً، ولا التبادل التجارى بالمعنى المفهوم، وقامت الحيازة الفردية ضمن الحيازة الجماعية، فكل شئ كان يعتبر ملكاً للجماعة وليست ملكا لفرد بعينه، حتى أدوات الفلاحة والمواشى.

وقد وصلت الحضارة السومرية إلى ذروتها خلال الفترة من ٢٧٠٠ – ٢٤٠٠ ق.م، فكان للشعب السومرى النظام الهندسى فى المبانى، فاستخدموا نظام الأعمدة والمداخل المستديرة والقباب تلك الأنظمة التى عُرفت فى أوربا فيما بعد، وإستخدم السومريون الذهب والفضة والأحجار الكريمة فى أدوات الزينة، وزخرفة الأسلحة، بل حتى الأوانى المنزلية، كما إستخدموا النحاس والزجاج، وعند التنقيب فى خرائب «أور» تم إكتشاف مقبرة أمير يدعى «سكلدج» وأُكتشف فيها قناع للرأس من الذهب المطروق شُكلت فيه الأذنين، كما أُكتشف فى نفس المقبرة مصباح من الذهب الخالص نُقش عليه إسم الأمير، وخنجر بمقبض ذهبى، وهذا يعكس أثر تقدم الحضارة السومرية التى أستوردت الذهب مـن عيلام وأنطاكية، والمرمر من إيران، والفضة من كيليكية، والنحاس من عمان، أى أنه كان هناك تبادلاً تجارياً مع المناطق المحيطة.

وظهرت الكتابة فى سومر سنة ٣٣٠٠ق.م تقريباً، فسومر هى التى إخترعت الكتابة السومرية التى صارت مفتاحاً لنقل العلوم والمعارف والآداب والثقافة، وعندما خلَّفت الحضارة البابلية الحضارة السومرية أخذت عنها الكتابة المسمارية، فصارت لغة التخاطب الدولية فى الشرق الأوسط ومصر وغـرب آسيا، وتشهد بهذا رسائل تل العمارنة (راجع الأب سهيل قاشا – التوراة البابلية ص٢٦) .

ويقول «ول ديورانت» عن بلاد سومر «على هذا المسرح غير الدقيق التحديد الآهل بالسكان وبالثقافات المتبادلة نشأت الزراعة والتجارة، والخيل المتأنسة والمركبات، وسكت النقود، وكتبت خطابات الاعتماد، ونشأت الحرف والصناعات، والشرائع والحكومات، وعلوم الرياضة والطب، والحقن الشرجية، وطرق صرف المياه، والهندسة والفلك، والتقويم والساعات، وصُورت دائرة البروج، وعُرفت الحروف الهجائية والكتابة، وأُخترع الورق والحبر، وألّفت الكتب وشُيدت المكتبات والمدارس، ونشأت الآداب والموسيقى والنحت وهندسة البناء، وصنع الخزف المطلى المصقول والأثاث الدقيق الجميل، ونشأت عقيدة التوحيد ووحدة الزواج، واستخدمت أدهان التجميل والحلى . . وفُرضت ضريبة الدخل، وأُستخدمت المرضعات، وشربت الخمور. عُرفت هذه الأشياء كلها واستمدت منها أوربا وأمريكا ثقافتهما على مدى القرون»[١].

وفى نحو سنة ٢٤٠٠ق.م هاجر إلى سومر موجات من القبائل الأكادية، وعاشوا كوافدين من الدرجة الثانية حتى إستطاع سرجون الأول أن يصل إلى العرش، وسرجون هو صاحب قصة الألقاء فى اليم، فقالوا عنه إن أمه ولدته وأخفته، ثم وضعته فى سلة من البوص بعد أن طلتها بالقار، ووضعته فى ماء الفرات، فحملـه التيـار حتى إنتشلـه فـلاح وتبنـاه وعلّمـه الفلاحة، وقـد شـملته الإلهـة «عشـتار»

---

(١) ترجمة د. زكى نجيب، ومحمد بدران – قصة الحضارة – المجلد الأول (٢) طبعة ٢٠٠١ ص ٩، ١٠

ESHTAR بـرعـايتها ثـم تـولى ملـك البـلاد (راجع د. عبد العزيـز صالح – الشرق الأدنى القديـم مصـر والعراق جـ ١ ص ٧٦) .

ويقول «ول ديورانت» .. «قد عُثر فى مدينة سومر على أثر ضخم مكوَّن من حجر واحد يمثل سرجون ذا لحية كبيرة تخلع عليه كثير من المهابة، وعليه من الثيات ما يدل على الكبرياء وعظم السلطان. ولم يكن سرجون هذا من أبناء الملوك: فلم يعرف التاريخ له أباً، ولم تكن والدته غير عاهرة من عاهرات المعابد، ولكن الأساطير السومرية أصطنعت له سيرة روتها على لسانه شبيهة فى بدايتها بسيرة موسى، فهو يقول: وحملت بى أمى الوضيعة الشأن، وأخرجتنى إلى العالم سراً ووضعتنى فى قارب من الأسل كالسلة، وأغلقت علـى الباب بالقار. وأنجاه أحد العمال وأصبح فيما بعد ساقى الملك، فقرَّبه إليه، وزاد نفوذه وسلطانه. ثم خرج على سيده، وخلعه وجلس على عرش أجاد، وسمى نفسه «الملك صاحب السلطان العالمى» وإن لم يكن يحكم إلاَّ قسماً صغيراً من أرض الجزيرة، ويسميه المؤرخون «سرجون الأعظم» لأنه غزا مدناً كثيرة، وغنم مغانم عظيمة، وأهلك عدداً كبيراً من الخلائق، وكان من بين ضحاياه لوجال – زجيزى (ملك السومريين السفاح) نفسه الذى نهب لكش وانتهك حرمة آلهتها. فقد هزمه سرجون وساقه مقيداً بالأغلال إلى نبور، وأخذ هذا الجندى الباسل يُخضع البلاد شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، فاستولى على عيلام وغسل أسلحته فى مياه الخليج الفارسى العظيم رمزاً لانتصاراته الباهرة، ثم اجتاز غرب آسيا ووصل إلى البحر المتوسط، وأسَّس أول إمبراطورية عرفها التاريخ، وظل يحكمها خمساً وخمسين سنة»[١].

وإن شاءت نعمة الله وعشنا فلنا عودة لقصة سرجون عند دراستنا لسفر الخروج. وإستمرت الدولة الأكادية نحو مائتى عام (٢٣٤٠ – ٢١٨٠ ق.م) ثم إنهارت، وإستعاد

(١) ترجمة د. زكى نجيب، ومحمد بدران – قصة الحضارة – المجلد الأول (٢) طبعة ٢٠٠١ ص ١٨، ١٩

السومريون قدرتهم وأسَّسوا دولة موحدة (العصر السومرى الثانى) ثم إنتهت هذه الدولة السومرية الثانية على أيدى القبائل العمورية (أو الأمورية أو الحمورية) ونشأت دولة بابل الأولى (١٨٨٠ – ١٥٩٥ ق.م) وكان من أشهر ملوكها حمورابى ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م (راجع د. سيد القمنى – قصة الخلق أومنابع سفر التكوين ص ٨١، ٨٢) .

وفى سنة ١٩٦٥م تم إكتشاف عدد كبير من الألواح السومرية بالخط المسمارى فى «تل أبو سلابخ» على بُعد ١٢ ميلاً من «تبور» ترجع إلى سنة ٢٦٠٠ ق.م، وأيضاً تم إكتشاف لوحات أخرى فى عدة أماكن تُظهِر براعة السومريين فى إستخدام قواعد الحساب والهندسة وطريقة إستخراج الجذر التربيعى أو التكعيبى، ولوحات أخرى ظهر عليها طريقة حساب مساحة أرض غير متساوية الأضلاع، ولوحات تحوى قوائم الموازين والمكاييل المستخدمة حينذاك، ولوحات حوت إرشادات لبعض العمليات الجراحية الصغيرة، وفوائد الأعشاب، وبعض الوصفات الطبية، وكانت الهبات التى تقدم للآلهة توضع فى المخازن، فتم إكتشاف صور إيصالات لإستلام هذه الهبات من الماشية والشعير والجبن والزبد.

وفى سومر بدأت الديانـات والسياسة والعلـوم والشعـر والقضـاء، فقد «وصلت إلينا مجموعتين غير متكاملتين من القوانين السومرية: مجموعة قوانين» أورو – نامّو «مؤسس الأسرة الثالثة فى «أور» أى أنها ترجع إلى نحو ٢٠٥٠ ق.م. ثم مجموعة» ليبيت – إشتار «الملك الخامس فى «إسن» والتى ترجع إلى ١٨٥٠ ق.م، وتتعلق هذه القوانين بالزواج والخطايا الجنسية، والطلاق والقذف والإعتداء، والعبيد، وإهمال دفع الضرائب، والميراث، وتأجير الثيران . . إلخ وكانت هذه القوانين سابقة للقوانين الأشمل والأشهر مثل قوانين حمورابى»[١]

(١) دائرة المعارف الكتابية جـ ٤ ص ٤٧٦

وعاشت النساء الشريفات فى ظل الحياة السومرية حياة الترف والاهتمام بزينتهن، فيقول «ول ديوارانت» . . «غير أن نساء الطبقات العليا كن يحيين حياة مترفة . . فالأدهان والأصباغ والجواهر من أظهر العاديات فى المقابر السومرية وقد كشف الأستاذ» ولى «فى قبر الملكة» شوب – آد «عن مدهنة صغيرة من دهنج أزرق مشرَّب بالخضرة، وعلى دبابيس من الذهب رؤوسها من اللازورد، كما عُثر أيضاً على مثبنة عليها قشرة من الذهب المخرَّم، وقد وُجِدت فى هذه المثبنة التى لا يزيد حجمها على حجم الخنصر ملعقة صغيرة لعلها كانت تستخدم فى أخذ الصبغة الحمراء من المدهنة. وكان فيها أيضاً عصا معدنية يستعان بها على ملوسة الجلد، وملقط لعله كان يُستخدم لتزجيج الحاجبين أو لنزع ما ليس مرغوباً فيه من الشعر، وكانت خواتم الملكة مصنوعة من أسلاك الذهب وكان أحدها مطعماً بفصوص من اللازورد، وكان عقدها من الذهب المنقوش واللازورد، وما أصدق المثل القائل أنه لا جديد تحت الشمس» [1]

ولم تتمكن سومر من إقامة وحدة سياسية مركزية مثل مصر لأسباب جغرافية، فسومر تقع فى منطقة منبسطة ممتدة، بينما نجد فى مصر الصحراء تحيط بجانبى الوادى، وكذلك صحراء سيناء، فهذه وتلك تمثل حماية طبيعية للدولة الفرعونية. ورغم الفرقة السياسية فى سومر، إلاَّ أن الشعب السومرى كان يشعر بأن هناك وحدة قومية تربطهم، بل إعتبروا أنفسهم أنهم مميَّزين عن بقية البشر بسبب إتصالهم الأقوى بالآلهة، وقد ظهر هذا فى أسطورة إنكى وهو يبارك بلاد سومر بكلمات رفيعة.

---

(١) ترجمة د. زكى نجيب محمود، ومحمد بدران – قصة الحضارة – المجلد الأول (٢) طبعة ٢٠٠١ ص ٣٢

س٢٧٣: ما هى الآلهة التى عبدها السومريون ؟ وكيف كانت معابدهم وعباداتهم ؟

ج: فى سومر تعددت الآلهة إلى درجة أنهم إعتبروا أن للفأس إله، ولقالب الحجر إله، وللمسمار إله، ولكل شخص إله يحميه ويحقق طموحاته، وإعتقد السومريون أن هذه الآلهة يعيشون كالبشر يتزوجون ويتناسلون ويتخاصمون ويدخلون فى صراعات دامية، ولكنهم يمتازون عن البشر بالخلود، وإعتقد السامريون أن هناك مجمعاً من سبعة آلهة يقررون المصائر، ومجمعاً آخر من خمسين إلهاً من الآلهة العظام. أما أعضاء المجمع الأول فيشكلون مجموعتين، تشمل المجموعة الكبرى :

١-«**آن**» AN إله السماء وهو يعتبر الأب الأول لكل الآلهة وسيد الآلهة السبع مقررة المصائر، وهو متزوج من «كى» إلهة الأرض، فيحيط بزوجته فى الأفق من جميع الجوانب، ويسقط عليها المطر فتنبعث الحياة منها فى شكل نباتات وحيوانات وبشر، وكان مقر عبادته مدينة أوروك OUROK.

٢-«**كى**» KI أو «جى» GI إلهة الأرض وزوجة «آن» إله السماء، كما دُعيت الأرض بعدة أسماء أخرى مثل «أنتوم» ANTUM مؤنث كلمة «آن»، و «نينا – ما» NIN – MAH وتعنى الجدة (السيدة العظمى) والأم، و «نينتو» NINTO ويتكون هذا الإسم من مقطعين «نن» أى سيدة، و «تود» أى ولاده، فمعناهـا سيدة الولادة، أو السيدة الوالدة، أو الإلهة الأم، كما دعيت الأرض باسم «أرش» ARCH بمعنـى أرض، ولُقّبـت بـ «مامـى» MAMY، و «ماما» MAMA، و «ما» MAH.

٣-«**أنليل**» AN-LIL إله الهواء، وهو إبن «آن» و «كـى»، ويقول عنه «جان بوتيرو» . . «أنليل يعنى باللغة السومرية سيد الريح والعاصفة، ومجال عمل أنليل هو الأرض، فهو الذى يسيّر البشر . . وقد لُقّب السيد، ولنلحظ أن الإسم (أنليل) مركّب من آن = سيد أو إله أو رب +

ليل و هى مادة ما بين السماء والأرض من هواء ورياح وسحب» (الديانة عند البابليين – ترجمة وليد الجادر ص ٢٦)[1].

وقال نجيب ميخائيل أن كلمة «آن ليل» تعنى أصلاً سيد الريح والروح، وهو لم يأخذ لقب سيد الأرض إلاً فيما بعد . . ومعبده هو بيت الجبل «(مصر والشرق الأدنى القديم – حضارة العراق القديم ص ١١٥، ١١٧)[2] فقد كان مقر عبادته «نيبور» حيث يوجد معبده الشهير «إيكور» EKOR.

وقال عبد الحميد زايد أن «أنليل» هو سيد ما بين السماء والأرض، فهو إله الهواء وما يتعلق به، كما لُقّب أيضاً بأبى الآلهة . . كما يقود أنليل الآلهة إلى الحرب، فهو يمثل القوة والبطش، فكان «آن» يرأس الإجتماعات فى مجمع الآلهة، وكانت وظيفة «أنليل» تنفيذ أحكام هذا المجمع . . وقد عهد إلى أنليل بالمحافظة على ألواح القدر» (الشرق الخالد – دار النهضة العربية – القاهرة ص ١٤٤)[3] وفى عصر حمورابى دُعى «أنليل» عرش «مردوخ» كبير الآلهة.

٤-«**أنكى**» AN-KI إله الماء، ويُدعى أيضاً «إنجى» ودُعــى فى الأكادية «إيا» وهو إله ذكر، يتركَّب إسمه من إسمى السماء «آن» والأرض «كى» كما دُعى بإسم «آبسو» ABZU ويتكون من A أى الماء، وبسو BZU أى البعيد أو العميق، ويقول نجيب ميخائيل أنهم قصدوا به المياه الجوفية، ويعتقد السومريون أن مياه الأنهار تنبع من مياه العمق (راجع د. سيد القمنى – قصة الخلق ص ٢٨ – ٣٩) . **أما المجموعة الثانية من الآلهة السبع العظام فتشمل :**

١-«**نانا**» NANA إله القمر، ودُعى فى الأكادية بإسم سن، وكان يُعبد فى أور حاران، ومقر عبادته الرئيسى فى «أور».

---

(١) أورده د. سيد القمنى – قصة الخلق أو ينابيع سفر التكوين ص ٣٢

(٢) المرجع السابق ص ٣٢

(٣) المرجع السابق ص ٣٣، ٣٤

٢-«**أوتو**» UTO إله الشمس، وهو الإله السامى «شمَّاس»، وهو إبن «نانا» إله القمر، وكان مقر عبادته فى «سيبارولارسا».

٣- «**أينانا**» ENANA إلهة كوكب الزهرة.

ويرى البعض (مثل موسكاتى فى كتابه الحضارات السامية القديمة ص ٧٥) أن هـذه المجمـوعة الثانية تكـون أيضـاً أســرة من الأب «نانا» القمـر والأم «إينانا» الزهرة، والإبن «أوتو» الشمس، وهكذا يتكون مجمع الآلهة السومرية السبع من أسرتين ثالوثيتين بالإضافة للإله إنكى – الماء. كما عرفوا «إشكر» إله الطقس، والذى دعاه الكنعانيون «بعل».

وكان المعبد السومرى يعتبر مركزاً روحياً وسياسياً وثقافياً وإقتصادياً، يخدم فيه عدد يتراوح بين ١٠٠٠، ١٢٠٠ شخص من الفلاحين، والرعاة، والبستانيين، والصيادين، والخبازين، والطباخين، والصناع المهرة، والصيَّاغ، والذين يقطعون الأحجار، والذين يصنعون الأصنام، كما كانت النساء تعمل فى الطحن والغزل والنسيج، وكان الملك يُعتَبر كبير كهنة الآلهة الذكور، وكانت الملكة تعتبر كبيرة كاهنات الإناث من الآلهة، وكان كعبة السومريين فى «أور» عبارة عن هرم له أربعة أضلاع، ويُعرف بالزاجورات، حيث كان السومريون يحتمون فيه من أخطار الفيضانات، ويقول «ول ديورانت» . .«كانت الهياكل تزينها أحياناً تماثيل للآلهة وللحيوان وللأبطال من بنى الإنسان . . وقد عُثر فى خرائب تنتمى إلى العهد السومرى الأول على تمثال صغير من النحاس على شكل ثور، عدا عليه الدهر، ولكنه لايــزال يفيض حيويــة وهمة ثورية، وفى مدينة» أور «عثر المنقبون على رأس بقرة مصنوع من الفضــة فــى قبر الملكة» شب – آد – وهو آية فنية تشهد بما وصل إليه الفن من رقى عظيم . . أما صناعة الذهب فقد بلغت مستوى رفيعاً كما يدل على ذلك ما وُجد فى أقــدم مقابر «أور» التى يرجع تاريخ معظمها إلى ٤٠٠٠ ق.م، من أوان من الذهب تنم عن

ذوق راق ومصقولة أجمل صقل . . وفى متحف اللوفر مزهرية من الفضة ضخمة كجسم «جوديا» ولكنها مزينة بطائفة كبيرة من صور الحيوانات المنحوتة نحتاً جميلاً، وأجمل ما وُجِد من هذه القطع الفنية غمد من الذهب وخنجر مطعم باللازورد عثر عليهما المنقبون فى «أور» وإذ كان لنا أن نحكم على هذه الآية الفنية . . حق لنا أن نقول أن الفن كاد يسمو فيها إلى ذروة الكمال. وقد كُشف فى هذه الخرائب عن عدد كبير من الأختام الأسطوانية . . ويلوح أن السومريين كانوا يستخدمون هذه الأختام فيما نستخدم فيه نحن الإمضاءات، وكلها تشهد بما بلغته الحياة والأخلاق فى تلك الأيام من رقى وتهذيب»[1].

وقد أُغرم الشعب السومرى بالإفراط فى تقديم الذبائح البشرية، ولاسيما عند موت الملوك والإمراء، ففى إحدى المقابر الخاصة بأحد الملوك أو الإمراء وُجدت عظام فرقة عسكرية بملابسها الرسمية، ورماحهم فى أيديهم، وفى نهاية الغرفة وُجدت تسع هياكل عظمية لنساء القصر، وعلى رأس كل واحدة غطائها الذهبى، وعلى المدخل وُجدت عربتان كل منهما له أربع عجلات، ويجر كل منهما ثلاثة عجول، وإكتشفت عظام السائس ومرافقيه، وفى مقبرة أخرى للملكة «شوباد» أُكتشسف صفَّان من نساء القصر ينتهيان بعازفـة على القانون تحتضن آلتها، ثم عبدين ساجدين (راجع جون إلدر – ترجمة د. عزت زكى – الأحجار تتكلم ص ٥٠) .

وكان السومريون قساة القلوب فى حروبهم، فيقتلون الأسرى على الفور باستثناء الأقوياء والشرفاء فيُستعبدون طيلة العمر، وكانوا ينهبون المدن، ويشتتون السكان، ولعل قساوتهم هذه هى التى جعلت ملكهم يزول سريعاً، وعُرِف السومريون بالجشع والطمع، حتى إنه عُثر على مرسوم ملكى بمنع الكهنة من دخول حديقة إمرأة فقيرة وسلب الثمار والأخشاب منها.

---

(١) ترجمة د. زكى نجيب محمود، د. محمد بدران – قصة الحضارة – المجلد الأول (٢) ص ٣٨ – ٤٠

وعندما إنتهت الحضارة السومرية أخذ البابليون عنهم مجمع الآلهة العظام السبع، وأيضاً مجمع الآلهة الخمسين العظام، مع تغيير الأسماء والوظائف، فحل إسم «إيل» بدلاً من «آن» (السماء) وإسم «أرد» بـدلاً من «كى» (الأرض) وإسم «شمس» بدلاً من «أوتو» (الشمس) وإسم «سيـن» بدلاً من «نانــــا» (القمر) وإسم «عشتار» بدلاً من اينانا إلهة الجنس المحبة للمعاشرة، وتحول إسم «أنليل» إلى مردوخ MARDUK إبن «آيا» AE ووريثه، و «آيا» هو الذى سلب إختصاصات «آنكى» الأب الأول.

ويعتبر البعض مثل كريمر Kramer أن المفاهيم الدينية السومرية إنتقلت إلى الديانة اليهودية فيقول «طوَّر السومريون خلال الألف الثالث قبل الميلاد، أفكار دينية ومفاهيم روحية، تركت فى العالم الحديث أثراً لا يمكن محوه، خاصة ما وصل منها عن طريقة الديانات: اليهودية والمسيحية والإسلام، فعلى المستوى العقلى إستنبط المفكرون والحكماء السومريون، كنتيجة لتأملاتهم فى أصل الكون وطبيعته وطريقة عمله، نظرية كونية، وأخرى لاهوتية، كانتا تنطويان على إيمان راسخ وقوى بحيث أنهمــا أصبحتــا العقيدة والمبدأ الأســاسـيين، فى أغلـب أقطــار الشــرق الأدنى القديم» (كريمر – الأساطير السومرية – ترجمة يوسف داود عبد القادر ص ١٩) (١).

س٢٧٤: هـل يمكـــن إلقـــاء الضَـــوء على أســـطورة خلـــق الآلهـــة والكـــون السـومـرية ؟

ج: كتب الكثيرون عن أساطير سومر، وقد سجل «خَزْعَل الماجى» ملحمة سومر ونشرها فى كتابة «إنجيل سومر» كما سجل ملحمة «إنيوما إيليش» ملحمة الخلـق البابلية ونشرها فـى كتابه

(١) أورده د. سيد القمنى – قصة الخلق أومنابع سفر التكوين ص ٢٤

«إنجيل بابل» ورغم أنه يقول «إستخدمت كلمة «إنجيل» فى عنوان الكتاب على أساس معناها القاموسى (البشارة) فهذا الكتاب بشارة سومر . . أى إننى إستخدمت هذه الكلمة بمعنى أدبى وليس دينى مما يستوجب التنويه ورفع اللبس»[1] لكننى أشعر أن الكاتب قد جانبه الصواب فى إختيار عنوان الكتاب، لأن كلمة «إنجيل» عندنا نحن المسيحيين هى بشارة مفرحة بالخلاص الذى تم بالمسيح يسـوع، فما علاقـة مقدساتنا بهذه الأساطير والخرافات ؟! ومن يطالع ملحمة الخلق السومرية، لا يلاحظ فيها أى بشارة مفرحة للإنسان، فلماذا يخلط الكاتب بين مقدساتنا الحاضرة وأساطير وخرافات الماضى البعيد ؟!!

وتحكى أسطورة الخلق السومرية عن خلقة الآلهـة، ففى البدء كان الإلهة «نمو» NAMU التى تعتبر البحر الأزلى، فهكذا رأت بعض الشعوب القديمة أن خروج كل شئ من الماء، مثلما يخرج الجنين من الماء الرحمى للأم، وقد إعتقد السومريون أن البحر الأزلى ولد إبنه «آن» الذى يمثل السماء أو إله السماء، وإبنتـه «إنكـى» التى تمثل الأرض أو إلهة الأرض، وتـزوج «آن» من إخته «إنكى» فكان يحنـو عليها ولا يفارقها، ويغمرها بالمطر، فولدت «إنكى» إبنها «أنليل» إله الهواء، الذى لم يطق أن يعيش فى السجن الضيق مع أبيه «آن» وأمه «كى»، فدفع بأبيـه «آن» إلى أعلى، وبذلك إتسعت المساحة بين السماء والأرض، وراح «أنليل» يلهو ويمرح، وعندما جلس «آن» على عرش السماء خلق «الأنانوكى» أى مجلس الآلهة ليحكم الكون بالعدل، وظهر من الآلهة السومرية سبعة آلهة كبار وخمسون إلهاً صغيراً. أما «آن» فكان هو الأكبر والأعظم فى الآلهة، لــه العرش والتاج والغلبة فهو إله السماء، وقد أورث إبنه «أنليل» قوته وبطشه، وفوضه فى حكم الأرض، فصارت كلمة «أنليل» مقدَّسة على الأرض، وتصوَّر السومريون الأرض (إنكى) قرصاً منبسطاً تحده الهند شرقاً، والبحر المتوسط غرباً، والأناضول شمالاً، وجزيرة العرب جنوباً، ويقع أسـفل الأرض العـالم السفلى (مقر الأموات) .

---

(١) إنجيل سومر ص ١٠

ثم ولد «أنليل» إلـه الهـواء إبنـه «نانا» إله القمر، وولد «نانا» إبنه «أوتو» إله الشمس الذى فاقه فى الضياء. ثم خلقت الآلهة الكواكب والنجوم، وظهرت معالم الحياة على الأرض، والحقيقة أنه لا توجد ملحمة واحدة متكاملة توضح نشأة العالم فى الفكر السومرى، ويمكن تلخيص أسطورة الخلق السومرية فى النقاط السبع الآتية :

١- فى البدء كانت الإلهة «نمو» ولا أحد معها، وهى المياه الأولى التى إنبثق عنها كل شئ.

٢- أنجبت الإلهة «نمو» ولداً وبنتاً. الأول «آن» إله السماء الذكر، والثانى «كى» إلهة الأرض المؤنثة، وكانا ملتصقتين مع بعضهما، وغير منفصلين عن أمهما «نمو».

٣- ثم أن «آن» تزوج «كى» فأنجبا بكرهما «أنليل» إله الهواء الذى كان بينهما فى مساحة ضيقة لا تسمح له بالحركة.

٤- «أنليل» الإله الشاب النشط، لم يطق ذلك السجن، فقام بقوته الخارقة بإبعاد أبيه «آن» عن إمه «كى». رفع الأول فصار سماء، وبسط الثانية فصارت أرضاً، ومضى يرتع بينهما.

٥- ولكن «أنليل» كان يعيش فى ظلام دامس، فأنجب «أنليل» إبنه «نانا» إله القمر، فيبدد «نانا» الظلام فى السماء وينير الأرض.

٦- «نانا» إله القمر أنجب بعد ذلك «أوتو» إله الشمس الذى بزه فى الضياء.

٧- بعد أن أُبعدت السماء عن الأرض، وصدر ضوء القمر الخافت، وضوء الشمس الدافئ، قام «أنليل» مع بقيـة الآلهـة بخلق مظاهر الحياة الأخرى»[1].

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأول ص ٢٦، ٢٧

(وكذلك أورد نفس المعنى السابق الأب سهيل قاشا فى كتابه أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية، وأيضاً فى كتابه التوراة البابلية) .

ويرى الأب سهيل قاشا أن أفكار السومريين عن الخلق والتكوين لم تكن أفكاراً بدائية، بل أفكاراً ناضجة بالدرجة التى تتيحها معارف تلك الفترة من بداية حضارة الإنسان (راجع أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ١٣١) .

ويرى الباحث الأثرى الأمريكى «جيم بريتشارد» أن هناك أموراً مشتركة بين أسطورة الخلق السومرية وقصة الخلق الواردة فى سفر التكوين، مثل نشوء السماء، والأجسام السماوية، وعزل الماء عن اليابسة (راجع زينون كوسيدوفسكى – الأسطورة الحقيقية فى القصص التوراتية ص ١٢) .

ويقول فراس السواح «والآن إذا حرَّرنا هذه السلسلة الأسطورية من رموزها ومفرداتها الميثولوجية، وترجمناها إلى لغتنا العلمية الحديثة، ظهر لنا منطقها المتماسك والملاحظات العلمية التى قادت لها :

١- فى البدء لم يكن موجود سوى المياه التى صدر عنها كل شئ وكل حياة.

٢- فى وسط هذه الحياة الأولى ظهرت جزيرة يابسة على هيئة جبل قبته هى السماء، وقاعدته هى الأرض، ومن لقاء القبة بالقاعدة ظهر الهواء، العنصر المادى الثالث بعد المياه والتراب.

٣- من الصفات الأساسية لهذا العنصر الجديد التمدد، وبتمدد هذه المادة الغازية، تباعدت السماء عن الأرض.

٤- لم يكن القمر السابح فى الهواء إلاَّ نتاجاً للهواء وأبناً له، وربما كان من نفس العنصر أيضاً. أما الشمس فهى الإبن الذى فاق أباه القمر قوة، وخلَّفه على عرش السماء فيما بعد.

٥- بعد أن إبتعدت السماء عن الأرض، وغمرت أشعة الشمس الدافئة وجه البسيطة، تهيأت الشروط اللازمة للحياة، فظهرت النباتات والحيوان وتم خلق الإنسان»[(١)] .

ويـرى فراس السواح أيضاً أن بعض جوانب الأسطورة تتطابق مع الواقع، فولادة القمر من الهواء تقترب من النظريات القائلة بتشكُل الأجرام السماوية من السحب الغازية، وصدور الأشياء من الماء يشابه نشأة الحياة وتطورها إبتداء من البحر.

والحقيقة أن هؤلاء الكتَّاب يغفلون نقطة جوهرية قامت عليها الأسطورة، وهى تعدد الآلهــة وتزاوجهــا وتناسلها، وتغافلوا أن عبادة السومريين قامت على «الأروحية» أى أن لكل شئ روح سواء كان كائن حى أو جماد، حتى جعلوا إلهاً للمسمار وآخر لقالب الآجر . . إلخ وتغافل هؤلاء الكتَّاب أيضاً أن السومريين قد عبدوا الأشباح، فجاء فى دائرة المعارف الكتابية «إنه يمكننا أن نقول أن فى أعماق هذا الشعب القديم، وخلـف إيمانهم بالآلهة، كان يستقــر الإيمــــــان» بالأرواحية «(Animism – أى مذهب حيوية المادة) فقد إعتقدوا أن كل شئ، حيَّاً كان أو غير حى له» زى «(Zi أى روح) . . وإلى جانب هذا الإعتقاد بالأرواحية يبدو أن السومريين الأوائل إعتقدوا فى وجود أشباح أو أرواح لها علاقة بعالم الأموات، تماماً كما أن الروح (Zi) لها علاقة بعالم الأحياء، وكان» ليل «(Lil) أو الشبح شيطاناً ليلياً ذا تأثير مؤذٍ للإنسان، ولم يكن فى الإمكان إخراجه إلاَّ بالكثير من الرقى والتعاويز، وكانت تقوم على خدمته فتاة هى «أردات ليلى» (Ardat Lili) أو «خادمة الليل» التى تحوَّلت فى اللغة السامية بعد ذلك إلى «ليليتو» (Lilitu) ومن المثير حقاً أن هذا الشبح (الروح) الشيطانى عند السومريين عاش على مر تاريخ الديانة البابلية» [(٢)].

---

(١) مغامرة العقل الأولى ص ٢٧

(٢) دائرة المعارف الكتابية جـ ٢ ص ٣٤

وحيث أن هناك تشابهاً كبيراً بين جميع الأساطير السومرية والبابلية لذلك نرجئ التعليق على الأساطير ككل، ومناقشة الإدعاء بأن سفر التكوين إقتبس منها إلى السؤال رقم (٢٨٠).

س٢٧٥: كيف تناولت الأساطير السومرية قصة خلق الإنسان ؟ وكيف خُلقت حواء ؟

ج : هناك عدة أساطير سومرية عن قصة خلق الإنسان، وفي إحدى هذه الأساطير نجد الآلهة يحملون عبء العمل، حتى ملُّوا من هذا، فراحوا يرفعون شكواهم للإلهـه «نمـو» سيـدة المياه الأولى، وذرفوا الدموع أمامها، فوضعت «نمو» هذه الدموع على راحة يدها، وخاطبت إبنها الإله «إنكى» المضجع بجوارها لكيما يحل مشكلة أبنائه وإخوته من الآلهة، فإقترح «إنكى» خلق إنسان من طين ليحمل عبء العمل عن الآلهة، على أن تطبع الإلهة «ننماخ» صورة الآلهة على هذا الإنسان، حتى لا يشعر أنه غريب عن الآلهة.

ولأجل خلقة الإنسان عُقد حفل كبير حضره كل الآلهة، وشربوا فيه الخمر وسكروا، وهتفوا لإنكى الذى إقترح صنع إنسان ليحمل العناء عن الآلهة، ولكن الإلهة «ننماخ» إمتلأت بالغيرة والغيظ من «إنكى»، ولاسيما أنها الموكلة بتكوين الكائنات، وحدث تنافس وتحدى بين الإلهة «ننماخ» والإله «إنكى» عمن يصنع الإنسان صنعاً حسناً ؟ . . أخذت «ننماخ» حفنة من الصلصال وصنعت ستة أشخاص، ولكن كل منهم له عيباً، ولم يكن بينهم شخصاً كاملاً حسناً، وجاء دور «إنكى» فصنع إنساناً بائساً وآخر مريضاً، فإحتجت عليه «ننماخ» بشدة، حتى أن إنكى قدم أسفه الشديد للإلهة «ننماخ». وإنتهى الأمر بإشراك كل الآلهة فى خلق الإنسان، وفعلاً

خلقت الآلهة إنساناً كاملاً من الصلصال، خلقته ذكراً وأنثى فتزاوجا وأنسلا وتكاثر البشر على الأرض، وحملوا عبء العمل عن الآلهة الذين إبتهجوا وراحوا يرتعون فى معابدهم، وعندما زاد عبء خدمة الآلهة على البشر قرروا (البشر) رفع شكواهم للإله «آن» المقدَّس.

وتُعتبر أسطورة خلق الإنسان السومرية أول ما خطته يد الإنسان، ومنها أخذت بقية الأساطير التى تحكى عن قصة خلق الإنسان من الطين، وإنه خُلق على صورة الآلهة، ويقول «صموئيل نوح كريمر» . . «إن المفكرين السومريين . . إعتقدوا إعتقاداً جازماً بأن الإنسان صُنع من طين، وإنه خُلق من أجل غرض واحد فقط، ذلك هو أن يعبد الآلهة ويخدمها بتزويدها بالطعام والشراب والمسكن ليتوافر لها وقت الفراغ لأعمالها الإلهية» (السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم – ترجمة د. فيصل الوائلى ص ١٩٩)(١).

وهاك نص إسطورة سومر عن خلق الإنسان كما أوردها خَزْعَل الماجدى فى كتابه إنجيل سومر، وليتأمل القارئ ويحكم عما إذا كان سفر التكوين قد إقتبس من هذه الأسطورة :

«الآلهة تعبون . . ولا جدوى من جهدهم، لقد تحوَّل الآلهة فجأة إلى عبيد الأرض التى صنعوها وصار الحمل ثقيلاً لا يُطاق، حتى آتى يوم إجتمعوا فيه وقرَّروا أن يذهبوا إلى «إنكى» فيشتكون له من هذا العناء، ورأوا أن يخلق لهم الإله «إنكى» خدماً يقومون مكانهم فى حرث وسقى الأرض وفى رعى الماشية وفى كل الأعمال . . لقد تعب الأرباب وأصبح الوجود عبئاً. لابد من خلق من ينوب عنهم ليقوم بدوره، فذهبوا إلى إنكى الحكيم وكان مضطجعاً بعيداً فى (الأبسو) كان نائماً قرب أمه وأم جميع الآلهة، إلى (نمو) سيدة المياه الأولى وربة عماد الكون . . المحيط الباذخ اللامتناهى من المياه وإشتكوا لها، فوضعت على راحة يدها دموع الآلهة وذهبت إلى إنكى وقالت له :

---

(١) أورده د. سيد القمنى – قصة الخلق أومنابع سفر التكوين ص ٥٢

إنهض ياإبنى من فراشك . . من مضجعك وإصنع كل ما هو حكيم. إخلق خدماً للآلهة يحملون عنها عناء العيش وقسوة الحياة.

إنتقض إنكى إلى «نمو» وهى تخاطبه وتحمل فى راحتيها دموع الآلهة، إنكى الذى يقرّر المصائر كان نائماً فى (الأبسو) طيلة ذلك الزمان لا يعلم بما جرى وما حلَّ بالآلهة، وأعادت عليه (نمو) الكلام :

- إنهض يابنى من فراشك، وإصنع كل ما هو حكيم، هذه هى دموع إبنائك وأخوتك من الآلهة فإخلق لهم خدماً، يحملون عنهم عناء التعب.

أطرق إنكى يفكر فى تقديم العون إلى الآلهة ويزيح عنهم هذا العناء، ثم فتح فمه وقال: ياأماه . . أرى أن تقوم بخلق كائن لا إلهى يقوم مقام الخادم للآلهة، ويكون مصيره هذا أبدياً.

- حسناً ياولدى، ولكن كيف تخلق مثل هذا العبد.

- أمزجى الصلصال . . لب الطين الموجود فى مياه (الأبسو) العميقة التى أُقيم فيها، وسادعوا الصناع الإلهيين المهرة ليكشفوا الطين ويعجنوه. أما أنتِ فعليك أن توجدى له الأعضاء، وستعمل الإلهة ننماخ (ننخرساج) معك يداً بيد وستقف ربات الولادة الثمانية إلى جانبك، لكى يتكوَّن ويولد من الطين، قدرى مصيره ياأماه، وستطبع عليه ننماخ صورة الآلهة . . سيكون شبيهاً بنا فى خلقه لكى يكون قريباً منا فى العمل والراحة لكى لا يشعر بأنه غريب تماماً عنا وسيكون هذا المخلوق هو: الإنسان.

- حسناً ياولدى نعمل على ذلك بسرعة.

دعا إنكى إلى حفل كبير حضره كل الآلهة والإلهة ننماخ وربات الولادة الثمانية والصنَّاع الإلهيون المهرة وحشد من الآلهة الصغار، وكان الحفل من أجل صُنع الإنسان الذى سيحمل العناء عن الآلهة وسيقوم بخدمتهم، فهمَّ الجميع إلى هذا الحفل وترقبوا ما سيصنع (إنكى) مدبر المصائر، دارت الخمرة فى الحفل وشرب إنكى خمرته المقدَّسة وكذلك ننماخ، وعمَّ الحفل سكر لذيذ، إنتشت له مكامن الآلهة وجوارحهم، وهتف الآلهة بإسم (إنكى) الذى فكر فى خلق الإنسان ودعاهم إلى حفلة خلقة فإغتاظت ننماخ لأنها الموكَّلة بتكوين الكائنات وهى تعمل على ولادتهم ولها من ربات الولادة ثمانية يعملن معها، إغتاظت ننماخ وقالت للآلهة :

- أنا التى سأحكم جسد الإنسان وروحه وأنا أُقدّر فيه الخير والشر، ما بلغ طيب جسد الإنسان وما بلغ سوئه . . إن قلبى ليوعز إليَّ بأننى أستطيع أن أجعل الطيب من نصيبه أو السوء.

قال إنكى مخاطباً ننماخ :

- سواء جعلتِ نصيبه الطيب أو السوء فإننى سأوازنه.

ننماح – فليشهد الآلهة ذلك . . ليشاهد الآلهة خلقكَ وخلقى.

- حسناً ننماخ إبدأى أنتِ.

كان الآلهة صامتين أمام هذا التحدى ينتظرون، فقامت ننماخ وأخذت حفنة من الصلصان الذى فوق (الأبسو) وصنعت ستة أشخاص الأول غريب الشكل، والثانى فيه عاهة، والثالث لا يستطيع إيقاف بوله، والرابع إمرأة مشوَّهة، والخامس إمرأة عاقر، والسادس الرجل الخصى، فأراد إنكى أن يختبر ما صنعته ننماخ، فقدم له الطعام، فتناولت المرأة العاقر طعامها وكذلك فعل الرجل الخصى، فقرَّر إنكى أن يحدد لهما مصيرها فقال :

- المرأة العاقر تكون وصيفة للملكة فى دار النساء، والرجل الخصى يكون فى خدمة الملك.

إنكى يخلق الإنسان

«ورأى إنكى أن دوره قد جاء ليصنع الإنسان، فصنع (إنساناً) يائساً، ثم صنع شخصاً آخر أطلق عليه إسم (أومول) وهو الشيخ الطاعن فى السن والذى عيناه ذابلتان وحياته فانية . . وكبده وقلبه ويداه ترتجفان، وقدم إنكى مخلوقاته هذه إلى ننماخ قائلاً :

- لقد عينتِ مصيراً للبشر الذين خلقتهم يجدون به أمراً للبقاء، فعيّنى الآن مصيراً لهذن المخلوقين اللذين خلقتهما.

فدنت ننماخ من إنسان إنكى وسألته، لكنه لا يقوى على أن يجيب، وقدمت له كسرة خبز أكلت هى منها، لكنه لا يقوى على أن يمد يده ولا يقوى على الجلوس ولا على الوقوف ولا على الإنحناء على ركبتيه، فصرخت ننماخ بإنكى :

- إن مخلوقكَ هذا ليس فيه حياة.

- فهل كانت مخلوقاتك يا ننماخ كاملة ؟

لقد بذلت جهداً فى إطعامهم وتقرير مصائرهم.

- ولكنك ياإنكى خلقت الإنسان الأول بائساً فجلبت على العالم المرض الذى يلازم الشيوخ.

- ومخلوقاتك يا ننماخ !

- لقد أخذوا منكَ الطعام وقررت لهم المصائر كما يجب، أما أمر مخلوقيكَ هذين فلا يمكن حله ولا يمكن تقرير مصيرهما، فلِمَ فعلتَ هذا ياإنكى، بلهوك وسكرك وطيشك الدائم تجلب

الشرور إلى العالم. فمتى تفيق أيها العابث اللاهى، هل تذكر خطاياك يوم ضاجعتَ بناتى وأكلتَ نباتات الشجر والعسل والطريق والماء والشوك والكد والحياة القاسية، وهل تذكر كيف لعنتكَ وأجلستكَ فى الأعماق، لقد دمرت مدينتى ياإنكى، وبيتى تهدَّم ياإنكى، وأولادى وقعوا فى الأسر ياإنكى، وأُكرهتُ على مغادرة أيكور هاربة، ولم أنجُ من يدكَ، ولابد أن تحل عليك ياإنكى لعنة الآلهة جميعاً ولعنتى لأنك لم تستطع خلق الإنسان مدلول الآلهة وقالوا :

أمر صدر من شفتيك من يستطيع تبديله، ولكن إرحمى حبيبك إنكى ولا تغضبى عليه.

فقال إنكى: عفوك يا ننماخ لم أكن أود الإساءة إليكِ ولكنى كنت أريد خلق من يقوم عن الأرباب بالعمل والجهد على الأرض.

فقال الآلهة: دع هذا الأمر لنا ياإنكى ولنعمل جميعاً على خلق الإنسان الصحيح لنعمل على خلق عبدٍ كامل يستطيع أن يحمل عنا قساوة العمل ويخدم بكل ما يملك الآلهة..

الإنسان على شكل الآلهة

ومن الصلصال . . من طين المياه العميقة خُلِق الإنسان الصحيح على صورة الآلهة، وثبَّت الآلهة فيه الروح، ومن أجل أن يتكاثر الإنسان وحتى لا تتعب الآلهة كل وقت فى صنعه، خلقت الآلهة ذكراً وأنثى وأعطتهما سبل الحياة وأسكنتهما أرض سومر فولدا أبناء كثيرين بنين وبنات، وتزوج البنون والبنات وتكاثر البشر على الأرض وكانوا يقومون بخدمة الآلهة، وحمل البشر النير وقاموا بجميع الأعمال، ومرت سنون طويلة لم يصلح فيها الإنسان لأمرٍ لتعبه من العمل ليل نهار من أجل الآلهة، وزاد الثقل على الإنسان فى حين كان الآلهة يرتعون فى معابدهم لاهين فرحين وكان الإنسان يعبد الآلهة ولا يذكرهم بسوء، وكان الإنسان الضعيف يخدم الآلهة ويخدم الأقوياء من البشر، فزادت الشرور فى الأرض وكثر الظلم وأحس

عقلاء البشر وأكثرهم نصيباً من البصيرة والحكمة والحلم بأن عليهم أن يشكوا أمرهم للرب إلههم إلى (آن) المقدَّس»[1] .

وفى **أسطورة سومرية أخرى عن خلق الإنسان،** نلتقى بالآلهة المتزمرين من ثقل العمل، فيحاصرون مسكن الإله «أنليل» فى منتصف الليل، لإجباره على حل هذه المشكلة، فيتم التفاهم والاتفاق على خلق الإنسان ليحمل عبء العمل عن الآلهة، وتقوم الآلهة بذبح الإله «وى» وتقوم الإلهة «نينتو» بمزجه مع الصلصال لكيما يكون للإنسان روح، وأخذت «نينتو» أربعة عشر قطعة من الصلصال الممتزج بدم الإله «وى» وصنعت منها سبعة رجال وسبع نساء، وهاك ما جاء فى هذه الأسطورة ليرى القارئ ويتأكد من مدى بعدها عما جاء فى سفر التكوين :

«حين كانت الآلهة لاتزال بشراً . . وكانت تضطلع بالعمل وتتحمل الجهد . . كان جهد الآلهة كبيراً . . وحملهم ثقيلاً، طويلاً شقاؤهم . . (وثار الآلهة، وبعضهم حرَّض البعض على العنف، فحاصروا مذبح أنليل فى منتصل الليل، وهم يوقدون النيران، فأيقظ «نوسكو» سيده «أنليل») :

«أيقظ نوسكو سيده . . ودعاه للنهوض من سريره . . سيدى إن بيتك محاصر . . إن القتال يسرع إلى بابك . . إن القتال يسرع إلى بابك . . إن بيتك ياأنليل محاصر . . وإن القتال يسرع إلى بابك . . فتح أنليل فاه . . وقال للرسول نوسكو :

أوصد البابا يانوسكو . . وتقلد سلاحك وقف أمامى . .

أوصد نوسكو الباب . . وتناول سلاحه ووقف حيال أنليل.

فتح فاه نوسكو . . وقال للمحارب أنليل :

---

(١) إنجيل سومر ص ١٢٨ – ١٤٥

سيدى إن أبنائك يجلونك . . فلماذا تخشى أبناءك الخلَّص . . لماذا يا أنليل تخشى أبناءك . . إن أبنائك يا أنليل يجلُّونك . . أطلب إليهم كي ينزلوا إليك . . وليحضروا لديك «إنكى» . .

(ويتم التفاهم وتقرّر الآلهة خلق الإنسان ليحمل عبء العمل عنها) :

فتح «إيا» فاه . . وقال لأخوته الآلهة . . إن عملهم شاق وشقتهم طويلة . . ففى كل يوم يحفرون الأرض . . وثقيلة هى شكواهم . . ولكن لعلنا نجد علاجاً لأوجاعهم . . فتخلق بشراً فتخلق الإنسان . . كيما يضطلع بالنير ويُحرّر الآلهة . . سألوا مولدة «مامى» الحكيمة :

إنك أنت أيتها المولدة التى ستخلقين البشرية . . إخلقى الإنسان ليحمل النير . . فتحت «نينتو» فمها . . فقالت للآلهة الكبار :

ليس عليَّ أنا أن أقوم بذلك . . وهذه المهمة خُصَّ به «إنكى» . . لأنه هو الذى يُطهّر كل شئ . . فليعطنى الصلصال حتى أشرع أنا فى العمل . . فتح «إيا» فاه . . وقالت للآلهة الكبار :

ساعدوُّ حَّماما من أجل التطهير . . فليذبحوا إلهاً . . وليتطهر الآلهة الأخرون فيه . . وبجسد ودم هذا الإله . . فلتمزج «نينتو» الصلصال . . حتى الإله والإنسان . . يصبحان ممزوجين معاً بالصلصال . . وتنبعث من جسد هذا الإنسان روح . .

أجاب مجمع الآلهة: أجل ! . . «الأنوناكى» منظموا الأقدار . . ومن أجل عملية التطهير حضَّر «إيا» حمَّاماً . . وأثناء إجتماعهم ذبح الآلهة إلهاً . . إنه «وى – الإله» (We – Dieu) الذى يمتلك الذكاء . . وبجسده ودمه . . جبلت «نينتو» الصلصال . . وهكذا بعد أن عجنت «نينتو»

هذا الصلصال هتفت بالآلهة الكبار «الأنوناكى» . . أما الآلهة الكبار (أيضاً) «الأيجيجى» . . فقد بصقوا على الطين . . وعندئذ فتحت «مامى» فمها . . وقالت للآلهة الكبار :

لقد طلبتم منى القيام بمهمة، وقد أنجزتها . . إنكم ذبحتم إلهاً بما فيه ذكاءه . . وقد خلصتم من عملكم البالغ المشقة . . وبذلك حوَّلت شكواكم إلى البشرية . . وفككت من أجلكم النير ووطدت الحرية . .

حين سمع الآلهة ما قالته . . تراكضوا معاً وقبَّلوا رجليها قائلين :

كنا بالأمس ندعوك «مامى» . . أما اليوم فأنتِ سيدة الآلهة كافة . .

(وتذكر الأسطورة كيف خلقت مامى الرجل والمرأة) :

إذ قطعت «نينتو» أربع عشرة قطعة . . وصنعت سبع قطع إلى يمينها . . وسبع قطع إلى يسارها . . ووضعت بينها قطعة من القرميد . . جعلت سبع منها ذكور . . وجعلت سبع إناث . . (راجع سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق الأوسط ص ٢٥ – ٣٠) .

وتوجد أسطورة سومرية ثالثة تصوّر الحيوانات على أنها نتاج من طين الأرض، فالأرض التى أخرجت النباتات، وتخرج الديدان، هى التى أخرجت الحيوانات ثم أن هذه الحيوانات تطوَّرت للبشر، فجاء فى هذه الأسطورة: «البشر الأول لم يعرفوا أكل الخبز بعد . . يسيرون على أيديهم وأرجلهم كالخراف يعلفون الحشائش . . ومن القنوات كانوا يشربون الماء آنذاك . . فى المكان الذى كانت فيه الآلهة فى معبدها . . التل المقدَّس . . المعبد . . المكان الذى تأكل فيه الآلهة الخبز» (د. فوزى رشيد – خلق الإنسان فى الملاحم السومرية والبابلية ص ٢١)[1] .

---

(١) أورده د. سيد القمنى – قصة الخلق أومنابع سفر التكوين ص ٥٠

أما عن خلقة حواء فى الأساطير السومرية، فيقول فراس السواح «فى هذا الفردوس، كان يعيش إنكى إله الماء العظيم، وزوجته ننخرساج الأرض – الأم، كما عاش فى الفردوس التوراتى فيما بعد آدم وحواء . . ثم أن ننخرساج تقوم بخلق ثمانية أنواع من النباتات العجيبة. وقبل أن تفرح بعملها، يرسل إنكى رسوله» يسمند» الذى يقطف له تلك النباتات فيأكلها جميعاً . . وما أن تعلم الخالقة بذلك، حتى تغضب غضباً شديداً، وترسل على إنكى لعنة مقيمة: إلى أن يوافيك الموت، لن أنظر إليك بعين الحياة . . أما إنكى فتشتد عليه الأمراض وتهاجمه ثمانية علل بعدد النباتات التى أكلها وأخذ ينهار تدريجياً. وأخيراً ينقذ الثعلب الموقف عندما يتطوع للبحث عن ننخرساج ويجدها فى النهاية، وتخضع ننخرساج لمشيئة الآلهة وتقوم بشفاء إنكى عن طريق خلق ثمانية آلهة. كل إله يختص بشفاء أحد أعضاء إنكى العليلة :

- ننخرساج: ما الذى يوجعك ياأخى ؟

- إنكى: إن فكى هو الذى يوجعنى.

- ننخرساج: لقد أوجدت لك الإله ننتول.

- ننخرساج: ما الذى يوجعك ياأخى ؟

- إنكى: إن ضرسى هو الذى يوجعنى.

- ننخرساج: لقد أوجدت من أجلك الإله ننسوتو.

وهكـذا يتابع تعـداد أوجـاعه، وتتابع ننخرساج خلق آلهة الشفاء من أجله. إلى أن يصل إلى ضلعه :

- ننخرساج: ما الذى يوجعك ياأخى ؟

- إنكى: إن ضلعى هو الذى يؤلمنى.

- ننخرساج: لقد أوجدت من أجلك الإلهة ننتى . . وعلى هـذا يكـون إسم الإلهة «ننتى» يعنى سيدة الضلع أو السيدة التى تحيى . . وهذه السيدة شبيهة بحواء التـوراة التى أُخذت من ضلع آدم فهى سيدة الضلع وهى حواء بمعنـى التـى تحيى» [1].

وعن خلقة حواء أيضاً يقول الدكتور سيد القمنى إن الإله «إنكى» عاش فى «دلمون» المدينة الفاضلة، وفيها تزوج من الإلهة «ننهورساج» . .» وبعد أن حملت ننهورساج لمدة تسعة أشهر وضعت إلهة الزرع (قد تكون حبة القمح) ثم خلقت ننمورساج ثمان نباتات أخرى، ولكن إنكى أكلها، فغضبت ننهورساج عليه وصبت عليه اللعنات قائلة: لن أنظر إليك بعين الحياة حتى تموت، فاشتَّد المرض بأنكى وأخذ يتدهور ويذبل، وكان مرض إنكى فى أحد أضلاعه، وقد تم نزع الضلع المريض وخُلق منه سيدة الضلع «نن تى» أول امرأة فى البشرية . . إذاً الأسطورة تقصد بإنكى آدم الأول، لأنه لو كان إنكى إلهاً، ما كان يتعرض للمرض والمـوت (راجـع د. سيد القمنى – قصة الخلق ومنابع سفر التكوين ص ٥٨ – ٦٤) .

ويقول جورج قلينى أن قصيدة إنكى ونينهورساج التى تشمل ٢٧٨ سطراً محفوظة فى متحف جامعـة فلادلفيا «وتتحدث القصيدة السومرية على رغبة إنكى (يقابل آدم) فى التعرف على نباتات الفردوس، فسأل إذيمود ISIMUD ما هو هذا النبات ؟ فأجاب: إنها شجرة، وقطعها من أجل إنكى، وقدمها له فأكلها، وبنفس الطريقة إلتهم إنكى ثمانى شجرات، ولذلك غضبت عليه الإلهة نينهورساج Ninhoursag ولعنته وحكم عليه بالموت، فخرج إنكى من حضرة الإلهة وإختفى . . وعندئذ لعنت نينهورساج إسم إنكى، سيظل كذلك حتى يأتيه الموت، لن أراعيه بعين

---

(١) مغامرة العقل الأول ص ١٩٢، ١٩٣

الحياة، وعندئذ بدأت صحة إنكى فى التدهور، وإعتلت منه ثمانية أعضاء، وبدأت قواه تخور، ولكن الآلهة شفت أعضاءه الثمانية المعتلة»[1].

ثانياً: أساطير الخلق المصرية

س٢٧٦: كيف نظر الإنسان المصرى القديم لخلق الآلهة والكون ؟

ج: إعتقد الإنسان المصرى القديم بأن هناك آلهة لكل شئ، للسماء وللأرض وللشمس وللقمر وللنجوم وللرياح . . إلخ وظهرت أساطير مصرية مختلفة تحكى قصة الخلق، فعندما رأى المصرى القديم مياه الفيضان تغمر الأرض، ثم تعود فتنحسر عنها، وتظهر الأرض من الماء، وتظهر الجزر فى مجرى النيل أيضاً، ظن أن الأرض برزت فى البداية من المياه، ويقول الخورى بولس الفغالى «فى مصر كانت أساطير مصر تقول بأن المياه هى أصل الكون، ففيضانات النيل تغطى الحقول كل سنة، وعندما تنحسر المياه تظهر الأرض من جديد وكأنها خارجة من داخل المياه. هكذا بدأ العالم وكأنه مولود من الماء»[2] .

وعندما لاحظ المصرى القديم أيضاً خروج الأوزة من البيضة، ثم لاحظ أنها تنمو وتطير محلقة فى السماء وهى تفرد جناحيها مثل الشمس، ظن أن الأرض خرجت من بيضة، فالبيضة رمز الخصوبة، ويقول الدكتور سيد القمنى «فقد تصوَّر المصريون الأقدمون أن الكون بدأ غمراً ويمَّاً هائلاً مظلماً، أطلقوا عليه إسم (نون) وإن من (نون) خرج إله الشمس (رع) بقدرته وحده، لينشر الضياء والحرارة على الأرض، من أجل ظهور اليابس، وتكون التربة صالحة للزراعة . . جاء فى الرواية التوراتية يقول { وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله

---

(١) الكتاب المقدَّس بين التاريخ والآثار ص ٣

(٢) سفر التكوين ص ٧٨

يرف على وجه المياه } وإن التعبير «يرف» يستدعى معنى الطيران على وجه المياه، والإله الذى عرفه الشرق القديم، فى المصورات طائراً، هو (رع) المصرى، الذى كان يتمثل فى شكل قرص الشمس مجتمعاً، وهو الذى خرج من الغمر الأول (نون) وهو الذى أنجب إله الهواء (شو) الذى فتق الأرض قسمين عظيمين، بعد أن كانتا رتقاً (يشير القمنى إلى ما جاء فى سورة الأنبياء ٣٠) ورفع القسم الأعلى سماء فأصبحت هى الإلهة (نوت) ثم تزوجت السماء والأرض، أو تفاعلت ظواهرياً فأنجبا أول البشر على الأرض . . وفى قصة أخرى روى المصريون إن وحشاً أول رمزوا له بالإسم (حاتحور) أو (هاتور) . . وكانت إلهة إنثى، قد إنطلقت تدمر بلا تمييز، ودخل (رع) الشمس لإنقاذ البشر، وتغلّب عليها بعد ملحمة بطولية كبرى»[1] .

وهناك أسطورة «عين شمس» التى ترجع إلى سنة ٢٧٠٠ ق.م وتقول إنه ظهر أولاً «أتوم» Atum إله الشمس من المحيط الأزلى أى الماء، وقد خلق أتوم نفسه بإرادته، وهو مزدوج الجنس، فهو الذكر والإنثى فى وقت واحد، وقد أنجب إبنه «شو» Shu إله الهواء، وإبنته «تفنوت» Tefnut وذلك عن طريق البصق، فجاء فى نصوص الأهرام «لقد بصقتَ ما كان شو، ولفظتَ ما كان تفنوت، ووضعت ذراعيكَ حولهما كذراعى» ألكا «لأن ألكا الخاصة بك حلّت فيهما»[2] .

ثم تزوج «شـو» بإخته «تفنوت» وأنجب منها الإله «جب» Geb الأرض، وأنجب أيضـاً إبنته «نوت» Nut السماء. ثم تزوج «جب» من إخته «نوت» فأنجب منها أربعة أطفال وهم إيزيس Isis وأوزيريس Osiris ونفتيس Nephtys وست Seth، وبذلك ظهـر فـى الوجـود تسعة آلهة «التاسوع» The Enead وجميعهم على هيئة بشرية، فأول التاسوع هو «أوم» الذى أتى إلى الوجود بنفسه، وهو «الأزلى» وهو «الأوحد المتفرد بذاته» والثانى هو «شو» وهو «اللانهائى» و«اللامرئى الذى لا تحيط به الأنظار». ثم تمضى الأسطورة

---

(١) الأسطورة والتراث ص ٢٠١، ٢٠٢

(٢) كارم محمود عزيز – أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ٣٩

فتحكى أن «شو» إله الهواء أحب إبنته «نوت» جداً، وفضَّلها عن أخيها وزوجها «جب» وفى ثورة غيرته رفعها لأعلى، فولدت النجوم (راجع د. كارم محمود عزيز - أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم).

ويقول فراس السواح «ففى الأسطورة المصرية نجد «جيب» إله الأرض الذكر، و «توت» إلهة السماء المؤنثة فى حالة إتحاد، وقد تزوجا بعضهما سراً دون إذن الإله «رع» فلما علم كبير الآلهة بذلك أرسل إله الهواء «شو» الذى أبعدهما عن بعض عنوة. ومنذ ذلك الوقت والإله «شو» يطأ بقدميه «جيب» الصريع، ويرفع بذراعيه القويتين السماء «توت» . .»[1].

ونرجئ التعليق على هذه الأساطير إلى السؤال رقم (٢٨٠).

ثالثاً: أساطير الخلق البابلية

س٢٧٧: هل تعتبر الحضارة البابلية إمتداد للحضارة السومرية ؟ وكيف كانت عبادة أهل بابل ؟ وكيف زالت الحضارة البابلية ؟

ج: قال المؤرخون أن كان السومريون هم الذين وضعوا بذرة الحضارة فى منطقة الرافدين، فإن البابليين هم الذين تعهدوا هذه البذرة حتى نمت وترعرعت، فكانت حضارة بابل العظيمة. وقد بدأت مدينة بابل كمدينة صغيرة جاء ذكرها فى سفر التكوين (تك ١٠: ٩) ومؤسسها هو نمرود، بينما فى الفكر البابلى نجد مردوخ عظيم آلهتها هو الذى بنى مدينة بابل، ومعنى إسمها حسب الترجمة السومرية «باب - إيل» أو «باب - الإله» وإكتسبت بابل أهميتها من برجها العظيم الذى على جنباته تفرقت الألسن وإنقمست البشرية، وفى سنة ١٨٠٠ ق.م إتخذها حمورابى

(١) مغامرة العقل الأول ص ١٢٩

عاصمة للإمبراطورية، فارتفع شأنها، وكان لها سور عظيم وبوابات ضخمة، وحملت الشوارع التى تؤدى إلى البوابات أسماء البوابات، فمثلاً شارع مردوخ يؤدى إلى بوابة مردوخ، وهكذا بقية الشوارع.

وقد عبد البابليون آلهة عديدة من أهمها :

١- **إنليل Enlil**: وهو إله الأرض ودُعى أيضاً الليل Ellil كما دُعى فى العصور المتأخرة بأسم «بيل» ويعتبر من أقدم الآلهة، وهو رب العالم وملك البلاد، ولُقَب بـ «السيد العظيم الذى لا يمكن تغيير أوامر فمه، والذى لا تزول نعمته، وهيكله الرئيسى فى «نيبور» ودعى هذا الهيكل باسم «أى – كور» E – Kur أى «بيت الجبل».

٢- **آنو Anu**: إن كان إنليل يعتبر إله الأرض، فإن آنو يعتبر إله السماء، وعلى هذا فهو ليس فى قدر إنليل، وزوجة « آنو» هى «آنتو» Antu أو «آناتو» Anatu ومركز عبادته الرئيسى كان فى مدينة «أوروك» Uruk.

٣- **إيا Ea**: وهو أبو الإله مردوخ، وهو أكثر الآلهة محبةً للبشر، فيسرع إلى مساعدتهم وقت الأزمات، وزوجته تدعى «دامكينا» Damkina ومركز عبادته الرئيسى فى «أريدو» Eridu التى تقع على الخليج الفارسى قرب مصب نهرى دجلة والفرات، ودُعى معبده باسم» إى – آبسو «E – Absu أى «بيت الأعماق» أو «بيت الحكمة» ودُعى هو برب الحكمة.

٤- **سين Sin**: وهو إله القمر الذى يعتبر أرق الآلهة وأرحمهم، وهو أعظم شأنا من «شماس» إله الشمس، لأن البابليون إستخدموا التقويم القمرى، وكان مركز عبادته مدينة أورو Uru التى دُعيت فى الكتاب المقدَّس بأور الكلدانيين، ودُعى معبده باسم «آى – كيشيرجال» E – Kishshirgal أى «بيت النور» وإسم زوجته «نينجال» Ningal أى السيدة العظيمة أو الملكة.

٥- **شماس Shamash**: وهو إله الشمس، فهو الإله العطوف ناشر الصلاح والخير للبشرية، وطالما تغنى به البشر، وكُتبت التراتيل الرائعة التى تصف مجده، فهو المنتقم من الأشرار، وهو القاضى الأعلى فى السماء، وكان مركز عبادته «لارسا» Larsa جنـوب بابـل، و «سيبار» Sippar شـمالها، ودُعـى معبـده فى المنطقتـين «إى - بابار» Babbar – E أى «البيت المشرق».

٦- **إشتار Ishtar**: وهى إلهة كوكب فينوس (الزهرة) وتعتبر إلهة الأثمار والحب، وإرتبطت عبادتها بممارسة الدعارة، وهى إلهة الحرب والقنص، وتعتبر هى سيدة الآلهة عند الأشوريين، ومركز عبادتها فى «أوروك» جنوبى بابل حيث دُعيت» نانا» Nana، وفى «أكد» Akkad فى شمال بابل حيث دُعيت «أنونيتو» Anunitu كما عُبدت فى نينوى وأربيلا فى آشور، وقُدمت لها أروع التراتيل.

ويقول «ول ديورانت» عن إشتار «كانت مثلاً إلهة الحرب والحب، وإلهة العاهرات والأمهات . . مع أن عبَّادها كثيراً ما يخاطبونها بقولهم «العذراء»و «العذراء المقدَّسة» و«الأم العذراء» . . وقد رفض جلجميش أن يتزوج بها حين عرضت عليه الزواج، وحجته فى ذلك أنها لا يوثق بها، ألم تحب فى يوم من الأيام أسداً وأغوته، ثم قتلته ؟ . . فليتأمل القارئ تلك الحماسة القوية التى يرفع بها البابليون إلى مقامها العظيم تسابيح الحمد :

أتوسل إليك ياسيدة السيدات، ياربة الربات، يا إشتار أيا ملكة المدائن كلها ويا هادية كل الرجال.

أنت نور الدنيا أنت نور السماء، ياإبنة سن العظيم (إله القمر) . .

ألا ما أعظم قدرتك، وما أعظم مقامك فوق الآلهة أجمعين !

أنت تحكمين وحكمك عادل.

وإليك تخضع قوانين الأرض وقوانين السماء . .

إذا ذُكر إسمك إهتزت لذكره الأرض والسموات، وإرتجفت له الآلهة.

إنك تنظرين إلى المظلومين، وتنصفين فى كل يوم المهانين المحقرين.

إلى متى ياملكة السماء والأرض إلى متى ؟ . .

إلى متى ياسيدة الجيوش، ياسيدة الوقائع الحربية ؟

ياعظيمة، يامن تهابك كل أرواح السماء ويامن تخضعين كل الآلهة الغضاب، وياقوية فوق كل الحكام ويامن تمسكين بأعنة الملوك ؟ . .

يانـور السـماء البرَّاق، يانور العالم، يامن تضيئين كل الأماكن التى يسكنها بنو الإنسان، يامن تجمعين الأمم . .

حيث تتطلعين تعود الحياة إلى الموتى، ويقوم المرضى ويمشون، ويشفى عقل المريض إذا نظر إلى وجهك.

إلى متى، أيتها السيدة ينتصر علىَّ عدوى ؟

فمرى، فمتى أمرتِ إرتد الإله الغضوب.

إن إشتار عظيمة ! إشتار ملكة ! سيدتى، جليلة القدر، سيدتى ملكة، إنينى، إبنة سن القوية. وليس لها مثيل»(١)

٧- **مردوخ Marduk:** وهو إله مدينة بابل إبـن الإلــه «إيا» وأبـو الإلـه «نبو» وفى عهد حمورابى سنة ١٨٠٠ ق.م تعظم شأن مردوخ فصار عظيم آلهة بابل وصار هو الإله الخالق بدلاً من آلاف الآلهة السومرية، وأصبح رئيساً لمجمع الآلهة الموسع (البانثيون) الذى يضم ما بين ٣٠٠٠-٤٠٠٠ إلهاً، ودُعى معبده «إى - سـاجيلـه»

---

(١) ترجمة د. زكى محمود ومحمد بدران - قصة الحضارة - المجلد الأول (٢) ص ٢١٥، ٢١٦

E – Sagilu أى «البيت الشامخ» ودُعى برجه باسم «آى – تيمينانكى» E- Teme- Nanki أى «بيت أساس السماء والأرض» وزوجته «ساربانيتو» Sarpanito.

٨- **نبو** Nabu: ومعنى إسمه «المتكلم» أو «المعلن» وكان يعتبر إله الخضرة، ومركز عبادته فى «بورسيبا» Borsippa، ودُعى معبده باسم «إى – زيتا» E- Zida أى «البيت الدائم» ودُعى برجه باسم «آى – يوريميناكى» E- Uriminaki أى «بيت سبع حكام السماء والأرض» وقد جاء ذكره فى سفر دانيال.

٩- **نرجل** Nergal: وهو إله العالم السفلى، وزوجته هى «إيريش كيجال» Eresh – Kigal ملكة العالم السفلى، ومركز عبادته الرئيسى مدينة «كوتو» Kutu أو «كوث» (٢ مل ١٧: ٢٤، ٣٠) وفى العصور المتأخرة إرتبط هذا الإله بكوكب المريخ.

١٠- **نينيب** Ninib: وكان يعتبر فى الأصل إله الخضرة، وإله الشفاء، وزوجته تُدعى «جولا» Gula حامية الأطباء، وإرتبط بكوكب زحل، وفى العصور المتأخرة إعتبره البابليون بطلاً مغواراً فى الحرب.

١١- **راما** Ramman: وهو إله العواصف والرعد ودعاه الآشوريين باسم «أداد» Adad كما دعاه السومريون باسم «أشكور» Ishkur وزوجته تُدعى «شالا» Shala.

١٢- **تموز** Tammuz: وهو إله الخضرة التى إزدهرت بأمطار الربيع، وإسمه مشتق من الإسم السومرى «دموزى – ذواب» Dumuzi - Zuab أى «الإبن الحقيقى لإعماق المياه» وتمتع تموز بشعبية جارفة، وإرتبطت عبادته بعبادة عشيقته الإلهة إشتار، وظلت عبادته مستمرة حتى بعد إنهيار حضارة بابل وآشور، وإنتقلت إلى العالم الغربى.

١٣- آشور Asshur: هو إله الحرب لدى الآشوريين، ويمثل أعظم الآلهة الآشورية وقد أضفى عليه فلاسفة آشور صفات الإلهين «إنليل» و «مردوخ» ونسبوا له المعركة التى إنهزمت فيها تيامات قبل خلقة العالم.

ومن الترانيم التى رُنَمت لإله الشمس القاضى العادل :

«من يخطط للشر، أنت تحطم قرنه.

من يمحو الحقوق فى تثبيت الحدود.

أنت تكبح بقوتك جماح القاضى والظالم.

من يقبل الرشوة، ومن لا يقضى بعدل، أنت تضع عليه خطية.

أما من لا يقبل رشوة، ومن يهتم بالمظلوم.

فإن شماس ينعم عليه، ويطيل حياته.

القاضى الذى يصدر قراراً عادلاً.

سينتهى به الأمر فى قصر، ومكان الإسراء سيكون مسكنه»[(١)].

ونستطيع أن نقول أن مملكة بابل إزدهرت فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد فى عصر الملك حمورابى، ثم ضعفت وخضعت للآشوريين الذين إمتد سلطانهم إلى نحو القرن الثامن قبل الميلاد، ففى سنة ٧٢١ ق.م إحتلت أشور السامرة عاصمة مملكة إسرائيل، ولكن فى سنة ٦٦٠ ق.م فشلت آشور فى إخضاع مصر لها، وفى سنة ٦٢٥ ق.م عادت بابل وتفوقت على مملكة آشور، وفى سنة ٦١٢ ق.م سقطت نيتوى عاصمة الإمبراطورية

(١) دائرة المعارف الكتابية جـ ٢ ص ٣٩

الآشورية، وقامت مملكة بابل الثانية، ولكن بسبب إفتخارها وكبريائها كان عمرها قصيراً، وسقطت بابل المدينة الحصينة سنة ٥٣٨ ق.م على يد مملكة فارس ومادى بقيادة كورش، فكانت نهاية الحضارة البابلية، وظل كورش يحكم فارس خلال الفترة ٥٥٠ – ٥٢٩ ق.م، وتوسعت الإمبراطورية الفارسية حتى وصلت إلى الهند، وظلت متماسكة حتى إنهارت سنة ٣٣٠ ق.م تحت أقدام الإسكندر الأكبر.

س٢٧٨: هل يمكن إلقاء الضوء على «الأينوما إيليش» قصيدة خلق الآلهة والكون والإنسان البابلية ؟

ج: تعتبر قصيدة «الإينوما إيليش» Enuma Elish من أشهر أساطير الخلق البابلية، وأول من فك رموز هذه القصيدة «جورج سميث» ثم تُرجمت هذه القصيدة إلى أكثر من لغة، ومن أقدم هذه الترجمات الترجمة الفرنسية التى لم تعد صالحة الآن، بالنظر إلى الترجمات الحديثة التى تمت سنة ١٩٨٩م.

وقال البعض أن تاريخ القصيدة يرجع إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، بينما قال آخرون «يعود تاريخ كتابتها إلى القرن العاشر قبل الميلاد، ولكنها نشأت قبل هذا التاريخ»(١) . ويقول الأب سهيل قاشا» كانت القصة الأولى للخلق هى السومرية نحو ٣٠٠٠ ق.م ثم تبعتها نصوص بابلية فى منتصف الألف الثانى قبل الميلاد (أى نحو ١٥٠٠ ق.م) وكان آخر نص هو ملحمة الخلق البابلية (أينوما إيليش) التى أخذت شكلها النهائى فى القرن السابع قبل الميلاد . . وقد نُظمت أصلاً فى الألف الثانى قبل الميلاد، وفى كل النسخ يلعب مردوخ الدور الرئيسى. وقد بقيت هذه الملحمة تتلى فى اليوم الرابع من إحتفالات رأس السنة الـ «أكيتو» من شهر نيسان ولمدة ألفى عام فى بابل، تُذكّر الناس بسيادة النظام على الفوضى . . وقصص الخلق المتعددة لا تختلف فى جوهرها الفكرى. إنما كانت تعدل جزئياً مع تبديل فى أسماء الآلهة، حسب الهيمنة السياسية

(١) د. كارم محمود عزيز – أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ٥٥

لكل مدينة، لأن لكل مدينة إلهها الرئيسى، فبعد أن كان (إنليل) هو الخالق فى القصة السومرية أصبح (مردوخ) فى البابلية، وأستعيض عن (إنكى) و (آيا) »[1].

وتدور ملحمة «الإينوما إيليش» حول قصة خلق الكون والإنسان بعد صراع طويل بين الآلهة، وتمجد الملحمة مردوخ الذى هزم الوحش المائى «تيامات» Tiamat، ويعتبر الكثيرون أن هذه الملحمة أفضل تعبير عن اللاهوت البابلى، وكان كهنة بابل ينشدون هذه القصيدة بأُبَهة وعظمة فى عيد رأس السنة حتى سنة ٥٠٠م، وتتألف القصيدة من ١١٠٠ سطر تم تجميعها من ٦٠ نسخة تم إكتشافها فى أماكن عديدة، ولاسيما فى مكتبة الملك أشور بانيبال (٦٧٢ – ٦٦٨ ق.م) كما تم إكتشافها خلال فترات زمنية متباعدة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين، وقد سجلت القصيدة على سبعة لوحات تشمل كل لوحة نحو ١٥٠ سطراً :

اللوح الأول : يحوى ١٦٢ سطراً ويتحدث عن البدايات، ثم خلقة الآلهة، وما أحدثته الآلهة الصغار من ضجيج مما أزعج الآلهة الكبار ولاسيما «أبسو» أبوهم، فأراد الخلاص منهم، ولكن «إيا» الحكيم يقتل «إبسو» وينقذ الموقف، وتعود الآلهة الصغار للضجيج، وتحتج الآلهة الكبار لدى «تيامات» أرملة «إبسو» ويحفزونها على الخلاص من هؤلاء الآلهة الصغار مصدر الإزعاج، فتصنع جيشاً عظيماً وتستعد لخوض غمار الحرب.

ففى بداية اللوح الأول نجد الإشارة إلى البداية «عندما فى الأعالى لم يكن هناك سماء . . وفى الأسفل لم يكن هناك أرض» كان هناك «إبسو» Apsu ويمثل المياه البدائية العذبة، و «تيامات» Timat زوجة إبسو وتمثل المياه البدائية المالحة، وقد مزجا إبسو وتيامات مياههما معاً. كما كان هناك الإله «ممو» Mummu ثم أنجب إبسو وتيامات آلهة عديدة بدءاً من «لخمو» Lakmu و «لخامو» Lakkamu وقبل أن يكبرا لخمو ولخامور، جاء إلى الوجود «أنشار» Anshar و «كيشار»

---

(١) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ١١٠، ١١١

Kishar. ثم أنجب إنشار وكيشار إبنهما «أنو» Anu فكان آنو بكر إنشار، ثم أنجب «آنو» إبنه «نوديموت» (آيا) على شاكلته، فصار نوديموت سيد أبائه، وكان حكيماً وعظيماً وواسع الإدراك.

وعندما أثار الآلهة الصغار ضجيجاً أزعج أبيهم «أبسو» إصطحب أبسو حاجبه «ممو» وشكى هؤلاء الصغار إلى أمهم «تيامات» قائلاً «لقد غدا سلوكهم مؤلماً لى . . فى النهار لا أستطيع راحة، وفى الليل لا يحلو لى رقاد . . لأدمرنهم، وأضع حداً لفعالهم . . فيخيم الصمت وتخلد بعدها للنوم . . فلما سمعت تعامة (تيامات) منه ذلك . . ثار غضبها وصاحت بزوجها . . صرخت وصار هياجها. كتمت الشر فى فؤادها وقالت . . لماذا ندمر من وهبناهم نحن الحياة ؟ إن سلوكهم مؤلم حقاً، ولكن دعونا نتصرف بلين (وروية) . . ثم نطق ممو ناصحاً أبسو . . وفى غير صالح الآلهة جاءت نصيحة ممو . . نعم ياوالدى دمرهم، دمر فوضاهم . . لتستريح نهارك، وترقد ليلك . . فلما سمع أبسو ذلك، إستضاء وجهه . . للخطط الشريرة التى يضمرها لأولاده الآلهة . . ثم قام إليه ممو معانقاً . . وجلس فى حضنه وقبله . . ولكن ما دار فى مجلسهم من خطط . . قد وصل سمعه إلى أبنائهم الآلهة . . جلسوا صامتين، وسكنوا (حائرين)»[1].

ولم ينقذ هذا الموقف إلاَّ الإله الحكيم «أيا» Eo الذى ضرب حلقة سحرية حول الآلهة الصغار ليحميهم من بطش «أبسو» ثم سحر «أبسو» فنام فى سبات عميق، فأسرع وذبحه، كما أن «آيا» تمكن من «ممو» فأوثقه بحبل من أنفه وأغلق عليه فى سجن محكم، ويقول فراس السواح «أنقض (آيا) على ممو (الضباب المنتشر فوق المياه الأولى) المعاضد لأبسو فسحقه وخرم أنفه بحبل يجره وراءة أينما ذهب. ومنذ ذلك الوقت صار «آيا» إله الماء العذب يدفع به إلى سطح الأرض بمقدار، ويتحكم فيه بمقدار، وهو

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٤٦، ٤٧

الذى يعطى الأنهار والجداول والبحيرات ماءها العذب، وهو الذى يفجر الأرض عيوناً من مسكنه الباطنى ومنذ ذلك الوقت أيضاً، يشاهد ممو فوق مياه الأنهار والبحيرات لأن آيا قد ربطه بحبل فهو مُوثق به إلى الأبد»[١].

وأقام «آيا» فوق «أبسو» قصراً «ودعا مسكنه الأبسو وجعله مقدَّساً.. فيه بنى غرفة مَقاماً لنفسه.. وسكن هناك مع زوجته دومكينا بكل أُبَهة وعظمة»[٢] وأنجب «آيا» و«دومكينا» إبنهما «مردوخ» Marduk ذو الأربعة الآذان والأربعة عيون «بفن بديع تشكَّلت أعضاؤه.. لا تدركه الأفهام، ولا يحيط به خيال.. أربعة كانت آذانه، أربعة كانت عيونه.. تتوهج النيران كلما تحركت شفتاه.. إتسعت آذانه الأربعة، كما إتسعت عيونه فأحاط بكل شئ.. كان الأعلى بين الآلهة، ما لهيئته نظير»[٣] وأعجب به جده «آنو» فخلق الرياح الأربعة وسلمها لحفيده مردوخ.

«مردوخ الذى أحدث الأمواج فاضطربت لها مقامة (تيامات).. قلقة صارت، تحوم على غير هدى.. والآلهة (الكبيرة) نسيت الراحة، فى خضم العواصف.. أضمروا الشر فى سرائرهم.. وجاءوا إلى أمهم تعامة (تيامات) قائلين.. عندما قتلوا زوجك أبسو.. لبثت هادئة دون أن تمدى له يداً.. وعندما خلق» آنو «الرياح الأربعة.. أضطربت أعماقك وغابت عنا الراحة.. تذكرى أبسو زوجك.. تذكرى ممو المقهور وأندبى وحدتك.. لم تعودى أماً لنا. تهيمين على غير هدى..»[٤].

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٤٢

(٢) المرجع السابق ص ٤٧

(٣) المرجع السابق ص ٤٨

(٤) المرجع السابق ص ٤٨

فثارت تيامات وولدت تنانين وحيَّات وأسود وكلاب وعقارب، وأعدَّت العدَّة لسحق الآلهة الصغار مصدر الإزعاج «الأم «هابور» . . خالقة الأشياء جميعاً . . أتت بأسلحة لا تقاوم، أفاع هائلة . . حادة أسنانها، مريعة أنيابها . . ملئت أجسادها بدل الدم، سماً . . (أتت) بتناين ضارية تبعث الهلع . . توَّجتها بهالة من الرعب وألبستها جلالة الآلهة . . يموت الناظر إليها فزعاً . . حتى إذا إنتصبت لم تخنع ولم تُدبر . . خلقت الأفعى الخبيثة والتنين وأبا الهول . . الأسد الجبار والكلب المسعور والرجل العقرب . . عفاريت العاصفة والذبابة العملاقة والبيسون . . كلها مزودة بأسلحة لا ترد»[1] .

ثم أقامت تيامات الإله «كينغو» على هذا الجيش المفزع ليحطم الآلهة الصغار» إختارت «كينغو» وجعلته علياً وعظيماً . . وضعته أمام جيشها قائداً . . فيشهر السلاح للمعركة ويبدأ الصراع . . إنه الآمر الأعلى للمعركة . . سلمته الأمانة. وأجلسته فى المجمع قائلة . . لقد قرأت عليك تعويذتى، وجعلتك عظيماً فى مجلس الآلهة . . وأسلمت إلى يدك قيادة الآلهة جميعاً . . فلتكن علياً عظيماً يازوجى الفذ . . وليعل إسمك فوق جميع آلهة الأنوناكى . . ثم أسلمت إليه ألواح الأقدار، وزينت به صدره قائلة . . سيكون أمرك نافذاً وكلمتك ماضية . . وبعد أن جرى تنصيب كينغو وتسليمه السلطة العليا . . قاما بتقرير مصائر الآلهة»[2].

اللوح الثانى: يحوى ١٥٠ سطراً، ويستكمل قصة الصراع بين الآلهة، تيامات بجيشها المفزع ترعب «آيا» فيتخلى عن التصدى لها، وكذلك أبوه «آنو» ولكن مردوخ بن» آيا» هو الذى يبدى إستعداده لخوض غمار الحرب، ففى بداية اللوح علم «آيا» بإستعداد تيامات الجبارة وجيشها الذى لا يُقهر، فلجأ إلى جده «أنشار» الذى إهتز من هول ما سمع، وأشار «أنشار» على حفيده «آيا» بأنه أفضل من يتصدى لتيامات» بعد أن أعدت تعامة (تيامات) عدَّتها . . تهيأت لبدء الصراع مع ذريتها من الآلهة . . أعدَّت كل شئ، إنتقاماً لأبسو .

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٤٩

(٢) المرجع السابق ص ٤٩، ٥٠

. ولكن إستعداداتها وصلت لآيا . . فلما أحاط بالمسألة علماً . . أقعده الخوف وجلس فى حزن عميق . . وبعد أن قلّب الأمر وسكنت ثائرته . . مضى إلى جده أنشار . . فلما صار فى حضرة جده أنشار . . أفضى إليه بكل ما تخطط له تعامة (تيامات) . . فلما سمع أنشار ذلك وعرف بثوران تعامة (تيامات) . . فضرب فخذه وعض على شفتيه . . كان حزنه عظيماً وإضطرابه بالغاً . . كتم تأوهاته . . ونادى «آيا» قائلاً قم يابنى وتأهب للقتال . . والأسلحة التى صنعتها، ستحملها الآن . . أنت يامن ذبحت أبسو . . قم الآن وأقض على كينغو الذى يتقدم جمعها»[1].

وأطاع «آيا» جده أنشار، ولكنه ما أن أبصر قوة تيامات وجيشها، حتى قفل راجعاً إلى جده أنشار يقدم إعتذاره، ويطلب من جده أنشار أن يرسل «آنو» (والد آيا وإبن أنشار) عوضاً عنه، فطلب أنشار من «أنو» التوجه للتصدى لتيامات «صرخ أنشار بغيظ عظيم . . وتوجه بالنداء إلى إبنه أنو . . يا أول أبنائى، أيها البطل الرائع . . ياذا القدرة الفائقة والإنقضاض الجرئ . . أمض الآن وقف أمام تعامة (تيامات) . . لعل روحها تهدأ . . وقلبها علّه يسكن . . فلما سمع أنو كلام أبيه . . قام ملتمساً طريق تعامة (تيامات) . . وعندما إقترب منها وعرف كل ما تدبره . . أدرك عجزه عن مجابهتها وعاد من حيث آتى . . مضى فى رعـب إلى أبيه أنشار . . ولفظ أمامه ما تمتمه فى سره لما رأى تعامة (تيامات) . . إن ذراعىّ لا تكفيان لإخضاعها»[2].

فلجأ أنشار إلى «مردوخ» إبن حفيده «آيا» لينقذ الموقف، وشجع «آيا» إبنه مردوخ لخوض المعركة، فوافق مردوخ على شرط أن يجعلوه كبير الآلهة الذى له حق تقرير المصائر، وله السلطة المطلقة، فلا يرد أحد كلمته، وقد وصف د. سيد القمنى على لسان «بوتيرو» شكل مردوخ فيقول أن هناك «نقش لرجل يلبس تاجاً مخروطياً عالياً، تزيّنه وريدات، له لحية طويلة مصفّفة بتجاعيد مصطنعة على غرار صنعة الحلاق

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٥٠، ٥١

(٢) المرجع السابق ص ٥٢

بالقصر الملكى، ومثل الملك كان (مردوخ) يرسل شعره خلفه، بينما يرتدى ثوباً طويلاً مرصعاً بالنجوم، يضم يسراه إلى صدره، وهى تقبض على رموز السيادة (الدائرة والعصا) «(بوتيرو – الديانة عند البابليين ص ٤٤) »[١].

اللوح الثالث: ويحوى ١٣٨ سطراً وفيه يدعو أنشار الآلهة لوليمة عظيمة فيمنحون «مردوخ» حق تقرير المصائر بدلاً منه، كما يمنحونه قوة الله الخالقة، ففى بداية اللوح يطلب أنشار من وزيره «كاكا» أن يذهب للآلهة، ويخبرهم بكل ما جرى، ومدى هول الموقف، ويدعوهم إلى وليمة ليمنحوا «مردوخ» حق تقرير المصائر «فتح أنشار فمه . . متحدثاً إلى وزيره كاكا . . كاكا ياوزيرى الذى يفرح به قلبى . . سأرسلك إلى لخمو ولخامو . . فأنت واسع الإدراك مجيد الحديث . . إدع آبائى الآلهة للحضور إلىَّ . . وليأتِ معهم جميع الآلهة . . فيجلس الجميع إلى مأدبتى ونتحدث . . سنأكل خبزاً ونشرب خمراً . . وإلى مردوخ المنتقم فليسلموا مقاديرهم»[٢] .

وعندما شرح الوزير كاكا الموقف المتأزم للآلهة «فلما سمع لخمو ولخامو ذلك، صرخا بصوت عالٍ . . وكل الأيجيجى بكوا بحرقة . . وما الذى ألجأها لمثل هذا القرار . . إن سلوكها مستعصى على أفهامنا . . ثم جمعوا بعضهم وإنطلقوا . . كل الآلهة التى تقرر المصائر (إنطلقت) . . وإلتأم الشمل فى حضرة أنشار فامتلأت قاعة الإجتماعات . . قبّلوا بعضهم بعضاً حين تلاقوا . . وجلسوا للمأدبة يتحاورن . . أكلوا خبزاً، وشربوا خمراً . . فبدد الفرح مخاوفهم . . وإنتشت أجسامهم بالشراب القوى . . زال الهم عن قلوبهم وسمت أرواحهم . . ولمردوخ المنتصر أسلموا المصير»[٣].

---

(١) د. سيد القمنى – قصة الخلق أومنابع سفر التكوين ص ١٠٠

(٢) فراس السوايح – مغامرة العقل الأولى ص ٥٤

(٣) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٥٤

اللوح الرابع: يحوى ١٤٦ سطراً وفيه يتم تنصيب مردوخ ملكاً على الآلهة، وتجليسه على العرش، وتسليمه الصولجان، ويستعد مردوخ للقتال، وتنشب المعركة التى تنتهى بمصرع تيامات، وخلقة الكون من جسدها، ففى بداية اللوح يجلس مردوخ على عرش الربانية وتحتفى به الآلهة «وأنت الأعظم شأناً بين الآلهة الكبرى . . لا يدانيك أحد، وأمرك من أمر أنو . . ومن الآن فأمرك نافذ لا يرد. أنت المُعز وأنت المُذِل حين تشاء . . كلمتك العليا، وقولك لا يخيب . . ما من إله يقارب حدودك . . مساكن الآلهة تستصرخ الحماية . . فزينها بحضورك، نجد فى كل مكان ركناً لك . . مردوخ أنت المنتقم لنا . . لك منحنا السيادة على العالمين . . وعندما تتصدر المجلس، كلمتك هى العليا . . لتكن أسلحتك ماضية ولتفتك بأعدائنا . . أيها الرب إحفظ حياة من وضع عليك إتكاله . . وإهدر حياة من مشى فى ركاب الشر . . ثم أتوا بثوب فوضعوه فى وسطهم . . وقالوا لبكرهم مردوخ . . سلطانك أيها الرب هو الأقوى بين الآلهة ليفن الثوب بكلمة من فمك . . وليرجع سيرته الأولى بكلمة أخرى . . فأمر بإفناء الثوب، فزال . . ثم أمر به فعاد ثانية كما كان . . فلما رأى آباؤه الآلهة، قوة كلمته (الخالقة) إبتهجوا وأعطوه ولائهم: مردوخ ملكاً . . منحوه الصولجان والعرش والرداء الملكى . . وأعطوه سلاحاً ماضياً يقضى على الأعداء قائلين . . إمض وأسلب تعامة (تيامات) الحياة . . ولتحمل الريح دماءها للأماكن القصية»[1].

وإستعد مردوخ للمعركة، فعلّق على جنبه القوس والجعبة ملأها بالسهام المسنونة، كما حمل البرق أمامه، وكسا جسده بشُعَل ملتهبة، وصنع شبكة ليوقع بها تيامات، وجمع الرياح الأربع ليتصدى لها، كما صنع ريحاً خبيثاً وعواصف دوامية، وركب العربة المرعبة والزوبعة التى لا تقاوم، وإحتدمت المعركة الرهيبة» فرفع مردوخ سلاحه الرهيب فيضان المطر . . ولتعامة الهائجة توجه قائلاً . . كفى ما رأينا من

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦، ٥٧

عجرفتك وتكبرك . . لقد شحنتْ البغضاء قلبك فحرضتِ على القتال . . وأوقعتِ بين الأباء والأبناء . . فنسيتِ حب من أنجبتِ . . أعليتِ كينغو وجعلتيه زوجاً لك . . وأعطيته منزلة آنو، دون حق . .

لتتقدمى إليّ وحيدة، فى معركة ثنائية . . فلما سمعت تهامة (تيامات) منه ذلك القول . . إنتابها السعار وضاع منها الرشد . . فى إهتياج أطلقت صراخها عالياً . . وحتى الأعماق إنتفضت ساقاها معاً . . تلت تعويذة ووجهتها مراراً وتكراراً (ضد مردوخ) . . بينما آلهة المعركة تشحذ أسلحتها . . ثم تقدما من بعضهما، تعامة ومردوخ أحكم الآلهة . . إشتبكا فى قتال فردى، وإلتحما فى عراك (مميت) . .

نشر الرب (مردوخ) شبكته واحتواها فى داخلها . . وفى وجهها أفلت الرياح الشيطانية التى تهب وراءه . . وعندما فتحت فمها لإبتلاعه . . دفع فى فمها الرياح الشيطانية، فلم تقدر لها إطباقاً . . وأمتلأ جوفها بالرياح الصاخبة . . قبضتها منتفخ، وفمها فاغر على إتساعه . . ثم أطلق الرب من سهامه واحداً فمزّق أعماقها . . تغلغل فى الحشا وشطر منها القلب . . فلما تهاوت أمامه أجهز على حياتها . . طرح جثتها أرضاً وإعتلى عليها»[1] .

وحاول أتباع تيامات الهرب «وما من سبيل، فهم محاصرون من كل جانب . . ضيَّق عليهم (مردوخ) وحطم أسلحتهم . . فى شبكته وقعوا وفى الشرك إستقروا . . تكأكأوا فى الزوايا وعلا نحيبهم . . فصب عليهم جام غضبه وهم محتبسون . . أما المخلوقات الإحدى عشرة التى خلقتها وألبستها الجلالة . . وحشدُ العفاريت التى مشت إلى جانبها . . فقد رماها جميعاً فى الأصفاد، وربط أيديهم بعضهم ببعض . . وداسهم بقدميه، رغم كل مقاومة . . أما كينغو الذى وُضع رئيساً

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٥٩

عليهم . . فقد كبله وأسلمه إلى إله الموت (سجيناً) . . جرَّده من ألواح الأقدار التى حازها دون حق . . فمهرْها بخاتمه وزين بها صدره»[١].

ثم عاد مردوخ إلى تيامات، فصنع الكون من جسد هذه الإلهة الأم المندحرة، حيث شق جسدها نصفين، رفع النصف الأعلى، فكانت السماء، وبسط النصف الأسفل فكانت الأرض» ثم عاد إلى تعامة (تيامات) المقهورة . . وقف على جزئها الخلفى . . وبهراوته العتية فصل رأسها . . شقها نصفين فانفتحت كما الصدفة . . رفع نصفها الأول وشكل منها السماء سقفاً . . وصنع تحته العوارض وأقام الحراس . . أمرهم بحراسة مائها فلا يتسرب»[٢].

اللوح الخامس: يحوى ١٥٥ سطراً، ويتحدث عن خلقة النجوم والغمام والرياح والأنهار والجبال والعيون، ثم يتكلم عن سجود الآلهة للإله العظيم «مردوخ»، وإقتراح مردوخ ببناء بابل لتكون مقراً لملكه وبها قدس الأقداس، فوافقه الآلهة على هذا، مع مطالبتهم بخلق بشر ينجزون الأعمال نيابة عنهم . . ففى بداية اللوح الخامس يقوم مردوخ بخلق النجوم كمنازل ومحطات راحة للآلهة، كما يحدد السنة بأثنى عشر شهراً، ويترك للإله «نانا» (القمر) تحديد الأزمان «خلق محطات لكبار الآلهة (يستريحون بها) . . أوجد لكل، مثيله من النجوم . . حدَّد السنة وقسَّم المناخات . . ولكن من الأثنى عشر شهراً أوجد ثلاثة أبراج . . وبعد أن حدَّد بالأبراج أيام السنة . . خلق كوكب المشترى ليصنع الحدود . . ثم أخرج القمر فسطع بنوره، وأوكله الليل . . وجعله حلية له وزينة، وليعين الأيام . . إن أطلع كل شهر دون إنقطاع مزيناً بتاج . . وفى أول الشهر عندما تشرق كل البقاع . . ستظهر بقرنين يُعينان ستة أيام . . وفى اليوم السابع يكتمل نصف تاجك . . وفى المنتصف من كل شهر ستغدو بدراً فى كبد السماء . . وعندما تدرك الشمس فى قاعدة

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٦٠

(٢) المرجع السابق ص ٦٠

السماء . . إنقص من ضوئك التام وابدأ بإنقاص تاجك كما إكتمل . . وفى فترة إختفائك ستسير فى درب مقارب لدرب الشمس. وفـى التاسع والعشرين، ستقف فى مقابل الشمس مرة أخرى»[١].

وفى توضيح آخر للدكتور أنيس فريحة تقول الأسطورة «صنع مردوخ منازل للآلهة . . خلق الأبراج . . ثبَّتها فى أماكنها . . حدَّد الأزمنة . . جعل السنة فصولاً . . ولكل شهر من الأثنى عشر . . ثلاثة أبراج . . حدَّد الأيام بأبراجها . . وإلى الشرق، وإلى الغرب . . فتح بوابة . . وسلط القمر على الليل . . وجعله زينة فى الليل . . به يعرف الناس مواعيد الأيام» (ملاحم وأساطير الأدب السامى ص ١٠٧)[٢] . . ثم يقول» لكن سماء (مردوخ) لم تكن سماء واحدة، وأرضه لم تكن أرضاً واحدة إنما كانت السماء سماوات، فهى سبع سماوات طباقاً، والأرض أيضاً، طبقات سبع. أما فى أعلى السموات، فقد إبتنى (مردوخ) لذاته العليا عرشاً يليق بجلاله» (د. أنيس فريحة – دراسات فى التاريخ ص ٥١)[٣].

ثم أوكل مردوخ لإله الشمس حكم النهار، وخلق من لعاب تيامات الغيوم والضباب، وصنع من رأسها التلال، ومن عينيها فجَّر نهرى دجلة والفرات «بعد أن أوكل بالأيام شمس (إله الشمس) . . وفصل بين تخوم النهار وتخوم الليل . . أخذ من لعاب تعامة (تيامات) . . وخلق منها مردوخ . . خلق منها الغيوم وحمَّلها بالمطر والزمهرير . . وضع الرياح وأنزل المطر . . وخلق من لعابها أيضاً ضباباً . . ثم عمد إلى رأسها فصنع منه تلالاً . . وفجَّر فى أعماقها مياهاً . . فاندفع من عينيها نهرا دجلة والفرات»[٤].

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٦١، ٦٢

(٢) أورده د. سيد القمنى – قصة الخلق أومنابع سفر التكوين ص ٩٤، ٩٥

(٣) المرجع السابق ص ٩٥

(٤) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٦٢، ٦٣

وفرحت الآلهة بخلق الكون، وقدموا لمردوخ الهدايا وسجدوا له، كما أن أمه «دومكينا» خصته بهدية سرَّت فؤاده «سُرَّ الآلهة بما رأوا سروراً عظيماً . . لخمو ولخامو وكل أبائه منهم . . عبروا إليه، وأنشار الملك وقف مرحباً . . أما آنو وإنليل وآيا فقد قاموا بتقديم الهدايا . . وأمه دومكينا أيضاً خصته بهدية سرَّت فؤاده . . ولما إكتمل جميع الأيجيجى ركعوا أمامه . . وقبَّل كل من الأنوناكى قدميه . . فقد إجتمعوا لتقديم فروض الإحترام . . إنحنوا جميعاً وأعلنوا: مردوخ ملكاً»(١).

وإقترح مردوخ على الآلهة بناء بيت يدعو إسمه بابل، فيستقبل فيه الآلهة «سأمهد مكاناً صالحاً للبناء . . هناك أبنى بيتاً لى وهيكلاً . . به قدس الأقداس رمز جلالتى . . وعندما تصعدون من الأبسو للإجتماع . . سيكون مفتوحاً لإستقبالكم وبه تبيتون . . أو تهبضون من السماء للإجتماع . . سيكون مفتوحاً لإستقبالكم وبه تبيتون . . سأدعوا إسمه بابل، أى بيت الآلهة الكبرى . . وسينهض لبنائه، أمهر البنائين»(٢) .

ويقول د. نجيب ميخائيل أن المعبد الذى بُنى دُعى الإيساج يل Esag El ومعناه «مقر رأس الإله» (راجع مصر والشرق الأدنى القديم ص ١٥١) ويعلق الدكتور سيد القمنى على تسمية معبد مردوخ بمقر رأس الإله حيث يربطه بآلهة الفداء الشهيرة فيقول «مثل أوزيريس Osiris المصرى، و «أدونيس» الفينيقى، و «أتيس» Atis الفريجى، و«ميتهرا» Methera الفارسى، و«يسوع» العبرى، و «الحسين» العربى . . إلخ وقد وجدنا أن أسطورة إله الرى الذبيح قد لحقت بالإله (مردوخ) وكانت تقام له سنوياً، طقوس وإحتفالات للتذكرة بعودته حياً من بين الأموات، وفى عيد للقيامة مجيد، وساعتها يتلو الكهنة أمامه أسماءه الخمسين، إعلاناً عن حيازته كل

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٦٣

(٢) المرجع السابق ص ٦٤

ألقاب السيادة، وأهم هذه الألقاب لفظ الجلالة الأسمى (إل) أو (إيل) »[1]. وفى نهاية اللوح الخامس تطلب الآلهة من الإله العظيم (مردوخ) خلق بشر يحملون عبء العمل عنها.

اللوح السادس: يحوى ١٦٦ سطراً، وفى بداية اللوح يُطلع مردوخ أباه «أيا» بعزمه على خلق «لولو» (الإنسان) ليحمل عبء العمل عن الآلهة، فيقترح «أيا» بأن يُذبح أحد الآلهة ليمزج دمه بالطين لصنع الإنسان، فسأل مردوخ عن الإله الذى أثار تيامات ليذبحه «فقام مردوخ بدعوة الآلهة الكبيرة . . متوجهاً لهم بود ورحمة، مصدراً توجيهاته . . فأعطى الآلهة له آذاناً صاغية . . قال المليك لهم كلمة . . لقد صدق حقاً ما دعوتكم به . . والآن أريد منكم قول الحق . . من الذى خلق النزاع ؟ . . من دفع تعامة (تيامات) للثورة، وأعدّ للقتال ؟ . . سلّموا لى من خلق النزاع . . فيلقى جزاءه، وتخلدون للراحة . . فأجاب الأيجيجى، الآلهة الكبار . . أجابوا سيدهم مردوخ، ملك السماء والأرض . . إنه «كينغو» الذى خلق النزاع . . ودفع تعامة للثورة، وأعد القتال . . ثم قيدوه ووضعوه أمام أيا . . أنزلوا به العقاب، فقطعوا شرايين دمائه . . ومن دمائه جرى خلق البشر . . ففرض (أيا) عليهم العمل وحرَّر الآلهة . . بعد أن قام أيا الحكيم بخلق البشر . . وفرض عليهم العمل وحرَّر الآلهة . . وذلك الفهم الذى يسمو عن الأفهام . والذى نفذه وفقاً لخطط مردوخ المبدعة»[2].

ويحكى خَزْعَل الماجدى قصة خلق الإنسان بصورة أوضح فيقول إن الآلهة الصغار ظلوا يعملون أعمالاً شاقة لمدة أربعين يوماً فأخذوا يبكون ويصرخون، وقرروا العصيان، فذهبوا فى ثورة عارمة وقد أضرموا النار فى معاولهم وسلالهم وأحاطوا بمعبد الإله «إنليل» وعندما رآهم الخفير «كلكل» أصابه الذعر وأيقظ الإله «نسكو» وزير إنليل الذى إرتعب، وأيقظ الإله إنليل قائلاً: إن معبدك محاصر ياسيدى وإن الحرب قد وصلت بابك يا إنليل.

---

(١) د. سيد القمنى – قصة الخلق أومنابع سفر التكوين ص ٩٦

(٢) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٦٦، ٦٧

فقال إنليل: أذهب بسرعة يانسكو وإغلق الأبواب وتقدم بسلاحك أمامى.

وقال نسكو: إن هؤلاء أبناؤك فلا تخف.

وأمر إنليل بإجتماع آلهة الأنوناكى، وحاول إنليل أن يعرف من الذى أثار هؤلاء الآلهة، فكلف وزير نسكو ليستطلع الأمر، ولكن كل الآلهة المتمردين قالوا: كلنا نريد خوض المعركة، لقد أنهكنا العمل الشاق، أنهكنا الشغل، وتعاطف مجلس الآلهة معهم وقالوا للإله إنليل أن عملهم حقاً شاق، وصوت بكائهم كان يُسمع من بعيد، فرقَّ قلب إنليل وسالت دموعه إشفاقاً عليهم، وأراد الإلتجاء لأيا الحكيم المدبر الخارق الذكاء، فذهبوا جميعاً إلى «آيا» الحكيم، فوجدوه مضجعاً فى غرفة نومه، والآلهة كانت تبكى وتنوح، فأخبروا أمه بما كان، فذعرت وأيقظت الإله «آيا» من نومه قائلة: ياإبنى إنك نائم . . قم من فراشك وتدبر الأمر . . إنك تدرك من خلال حكمتك كل فن فاصنع بديلاً عن الآلهة يحمل السلة عوضاً عنها.

فدخل «آيا» القاعة المقدَّسة وهو يضرب فخذه ويفكر، فهو الحكيم العليم البصير الذى يدرك كل شئ ثم قال لنفسه: سأصنع الإنسان ليحمل عبء العمل عن الآلهة، ونادى على أمه قائلاً: قررى ياأمى مصير الإنسان، نادى أولاً على إلهة النسل (مامى) للحضور فهى الموكلة بالخلق والولادة، نادى الإلهة (مامى) فهى الرحم الخالق.

وقال لها الآلهة: أنتِ الرحم خالقة البشر، إخلقى الإنسان الأول من أجل أن يحمل النير . . سلة عمل الآلهة يجب أن يحملها.

فقالت مامى: ليس بمقدورى أن أفعل ذلك. إن المقدرة بيد «آيا» . . ليته يعطى الطين لأعمله.

قال الإله آيا: سأقيم طقوس الغسيل، سأقيم الحمام، وليذبح الآلهة إلهاً من بينهم إذ لابد للطين من روح. جسد الإنسان سيكون من الطين وروحه ستكون من إله.

وأخذ الآلهة يدورون وراء «آيا» و «مامى» كالزنابير على قطعة العسل، وأخذوا يفكرون فى الإله الذى يُذبح، وتساءل «مردوخ» من الذى دفع تيامات للثورة وأعدها لقتالنا ؟

فتحيَّر الآلهة ولم يعرفوا من هو ؟ فصاح بهم مردوخ: هل نسيتم «كنجو» زوج تيامات الذى دفعها للقتال.

فصاحت الآلهة: ليُذبح كينجو . . ليُذبح كنجو . . لتكن دماؤه سبباً فى ظهور المخلوق الذى يحمل عنا العناء . . المخلوق الذى سيحمل المعول والسلة إلى الأبد.

فذهبوا وأخرجوه من سجنه وقيدوه ووضعوه أمام «آيا» وبعد أن إغتسلوا وتطهروا ذبحوه، وأخذت «مامى» دمائه التى سالت وخلطتها بطين الصلصال وأخذت تقرأ تعويذة الخلق، وبجوارها «آيا» يلقنها هذه التعاويذ، فصنعت ١٤ قطعة من الطين، وفصلت بين سبع وسبع بأجر اللبن. ثم بصقت فى قطعة طين من المجموعة الأولى وأسمتها «أوليكار» فكان رجل الخير، ثم بصقت فى قطعة طين من المجموعة الثانية وأسمتها «زالاكار» فكان امرأة الخير، وأسمت الأثنين «لولو» الذى سيكون إسمه الإنسان، ففتح عينيه ونطق بأول الأصوات . . أ . . أ . . أغا . . ب . . ب . . با . . با . . بابا . . ما . . ما . . ماما.

ففغر الآلهة أفواههم لكلامه وفرحوا واستبشروا وقالت «مامى» للآلهة: لقد عهدتم لى عملاً بأكملته . . لقد رفعت عنكم عناء الأعمال الشاقة، وجعلتُ الإنسان يحمل سلة العمل، أما أنتم فقد حللتُ عنكم النير وحررتكم من الواجبات، وشكر الآلهة «مامى» إلهة النسل (راجع إنجيل بابل ص ١٠٤ - ١١٢) .

ويورد د. سيد القمنى الجزء الخاص بخلق الإنسان، فيقول أن الآلهة إتجهت للإلهة «مامى» الحكيمة قائلة «أنت الرحم خالقة البشر . . إخلقى الإنسان الأول . . من أجل أن يحمل النير . . سلة عمل الآلهة يجب عليه حملها . . فتحت الإلهة (ننتو) فاها . . وخاطبت الآلهة العظيمة . . ليس بمقدورى أن أفعل ذلك . . إن القدرة بيد الإله إنكى . . فتح الإله إنكى فاه . . وخاطب الآلهة العظام . . سأقيم طقوس الإغتسال . . وسأقيم الحمام . . وليذبح الآلهة إلهاً من بينهم . . وبعد ذلك يُطهروا أنفسهم فى الحمام . . وعلى الإلهة (ننتو) أن تمزج الطين مع لحمه ودمه . . وبسبب لحم الإله . . نود أنى يسكن شبه الموت جسم الإنسان . . وليذكر هذا الشبح الأحياء بالموت . . ماداموا على قيد الحياة . . ثم فتحت الإلهة «مامى» فاها . . وقالت تخاطب الآلهة العظام . . لقد عهدتم إليَّ عملاً فأكملته . . وما دمتم قد ذبحتم إلهاً رغم قدسيته . . فها أنا قد رفعت عنكم عناء أعمالكم الشاقة . . وجعلت الإنسان يحمل سلة عملكم . . وهذا أنتم قد وهبتم صراخكم للبشرية . . وها أنا حللت عنكم النير . . حرَّرتكم من الواجبات . . ولما سمع الآلهة كلامها . . تراكضوا إليها وقبَّلوا قدميها وقالوا . . فى السابق الإلهة «مامى» كنا نناديك، والآن ليكن «سيدة الآلهة» إسمك» (فوزى رشيد – خلق الإنسان فى الملاحم السومرية والبابلية ص٢٤،٢٥) (١).

وبعد خلقة الإنسان إعترفت الآلهة بالفضل لمردوخ، وبنوا له المعبد ببرجه المدرَّج، وداخله سكن «مردوخ» من «إنليل» و«آيا» . . «وقالوا لسيدهم مردوخ . . والآن أيها الرب يا من خلصتنا من العمل المفروض . . ما الذى يليق بك عربون إمتنان ؟ . . سنبنى لك هيكلاً مقدَّساً . . مكاناً به نركن مساء لنستريح . . هناك سنشيد لك منصة وعرشاً . . وكلما آتينا المكان، نلجأ إليه لنستريح . . فلما سمع مردوخ ذلك . . أنفرجت أسارير وجهه كما النهار . . وكذا فلتكن بابل كما إشتهيتموها . . لنشرع بتجهيز الحجارة، ولتُدع بالهيكل . . أعمل

---

(١) أورده د. سيد القمنى – قصة الخلق أومنابع سفر التكوين ص ١٠٣ – ١٠٥

الأنوناكى معاولهم . . فأنهوا الطوب اللازم فى مدى سنة . . ومع حلول السنة الثانية . . رفعوا الأيزاجيلا، الذى وصلت أساساته الأبسو . . وبعد أن أنهوا برجه المدَّرج . . بنوا فى الداخل سكناً لمردوخ وإنليل وآيا . . ثم جلس مردوخ أمامهم فى جلال . . ومن الأسفل شخصوا بأبصارهم لقرون البرج الرائعة . . وبعد الإنتهاء من الأيزاجيلا . . قام الأنوناكى ببناء مقامات لهم . . ثم إلتأم جمع الآلهة . . والتقوا فى حرم مردوخ السامى الذى بنوا . . فأجلس أباءه الآلهة إلى مأدبة . . هذه بابل مكان سكناكم المفضل . . فأصدحوا وأمرحوا فى أرجائها . .»[1] .

وإعترفت الآلهة بالفضل لمردوخ وقالت «وكما فعل فى السماء، لتكن كذلك مشيئته على الأرض . . فيعلم البشر كيف يخشونه . . ويكون حاضراً فى قلوبهم أبداً . . ويحفظون أبداً حدود إلههم وآلهتهم . . ويرعون أمره فى الإنصياع لها . . ويبقون على تقدماتهم لإلههم وآلهتهم . . ويذكرون إلههم دوماً ولا ينسونه . . حقاً إنه رب الآلهة أجمعين، فى السماء وفى الأرضين . . ملك يخشاه من فى السموات ومن فى الأرض»[2] .

اللوح السابع: ويحوى ١٦٣ سطراً، ويشمل الأسماء التى أطلقها الآلهة على كبيرهم «مردوخ» مع التمعن فى معانيها، فقد حاز مردوخ خمسين إسماً، فهو مثلاً «أسارو» واهب الأرض الخصب، ومالئ عنابر القمح، وهو «أسار اليمنونا» الجليل نور آبائه، وهو«توتو» بطل خلاصهم ونجاتهم، وهو «زيوكينا» الذى به يحيا كل الآلهة . . وهو «زيكو» رب القداسة، وهو «جاكو» الذى بعث الموتى، وهو «توكو» الذى تردد الشفاه تميمته، وهو «شازو» المطلع على أفئدة الآلهة، وعالِم الأسرار، وهو «سوحريم» الذى أفنى بسلاحه كل الخصوم، وهو «صاحكوريم» الذى خلق أباءه من جديد، وجعل لهم مكانة، وهو «زاحريم» رب كل شئ، وهو «زاحجوريم» قاهر

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٦٧، ٦٨

(٢) المرجع السابق ص ٦٨، ٦٩

جميع الأعداء فى ساحة الوغى، وهو « أنيبيلولو» واهب الخيرات، وهو «جوكال» حاكم مزارع الآلهة . . إلخ (راجع فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٧٠ – ٧٤) .

وأريد أن أقول إن كنتُ قد إعتمدت فى سرد بعض ما جاء فى الأينوما إيليش على ما سجله فراس السواح فى كتابه مغامرة العقل الأولى ص ٤٥ – ٤٧، إلاَّ أن هناك كتب عديدة تناولت هذه الأسطورة مثل ما جاء فى سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق القديم ص ٣٩ – ٧٨، وأيضاً ما أورده الأب سهيل قاشا فى كتابه التوراة البابلية ص ٣٣٣ – ٤١٩، وما سجله جان بوتيرور فى كتابه الديانة عند البابليين ترجمة وليد الجادر، وما دوَّنه دكتور نجيب ميخائيل فى كتابه مصر والشرق الأدنى القديم – حضارة العراق القديم، وما كتبه دكتور أنيس فريحة فى كتابه ملاحم وأساطير فى الأدب السامى، وما سجله الدكتور سيد القمنى فى كتابيه قصة الخلق أو منابع سفر التكوين، والأسطورة والتراث . . إلخ بالإضافة إلى عشرات الكتب الأخرى بالعربية واللغات الأجنبية، وقد وجب التنويه لمثل هذه المراجع لتسهيل طريق البحث لمن يرغب فى دراسة هذا الموضوع.

كما أن هناك أساطير أخرى بابلية عن قصة الخلق، مثل الأسطورة التى عُثر عليها فى خرائب مدينة «سبار» Sippar والتى ترجع للقرن السادس قبل الميلاد وجاء فيها «فى البدء لم يكن هناك شئ، فخُلقت الآلهة، وأنشئت بابل، ثم خلق مردوك إطاراً من القصب فوق سطح الأمواج، وخلق الناس بهو الإلهة «أرورو» Aruru وبعدها خلق حيوان السهل، ونهرى دجلة والفرات، والحشائش والقصب والمناقع وآجام القصب، والبقرة وصغيرها، والشاه وحملها، وغنم السياج . .»[1] كما تم إكتشاف أسطورة ثالثة فى أوغاريث تتعلق بقصة الخلق أيضاً «حيث

(١) د. كارم محمود عزيز – أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ٥٨

يرد فيها نص يذكر أن الله يجلس على المياه كما يجلس الطير علـى بيضـة، وكمـا يُفرخ هـذا الأخيـر صغاره، فرَّخ الله الحياة من الخراب»[1] . . إلخ.

رابعاً: أساطير الخلق الفارسية

س٢٧٩: هل أساطير الخلق الفارسية سارت على نفس منوال الأساطير السومرية والبابلية ؟

ج: كلاً، فإن الدكتور سيد القمنى يوضح أنه بعد أن ساد الإعتقاد بأن الشر والظلام أقدم فى الوجود من الخير والنور، أراد الإنسان عبر الأساطير الفارسية أن يصحح هذا الإعتقاد، وهذا ما ظهر فى أسطورة «كيرمُرث» الفارسية، فيقول «ويلخص لنا (د. على النشار) عقيدة (كيرمُرث) فيقول: إن أول الموجودات كان إله النور والخير (هرمز) – لم يزل إسمه علماً على مضيق الخليج العربى – ففكر فى ذاته متسائلاً: لو كان لى منازع كيف يكون ؟ وبمجرد أن طرأت هذه الفكرة على خاطره، حتى وُجِد هذا المنازع فعلاً، فظهر الظلام بعد أن كانت الدنيا دائمة الضياء، نتيجة لمجئ إله الشر (أهرمان) إلى الوجود، فقام إله الخير هرمـز بخلـق كـل الملائكة والبشـر ليساعدوه ضـد غريمه (أهرمان) لكن (أهرمان) قام بخلق كل الكائنات الضارة، وأخذ يؤثر بأتباعه الأشرار على البشر لينضموا إليه، وهكذا بدأ الصراع بين الخير أو النـور، وبـين إله الـشر أو الظـلام» (نشـأة الفكـر الفلسـفى فى الإسـلام جـ١ ص١٩٠)[2].

ويرى د. أنيس فريحة أن هرمز عُرف من قبل فى فارس بإسم «ميتهرا» وهو إله الخصب والنماء والضياء (راجع دراسات فى التاريخ ص ٢١) ويقول د. سيد القمنى «يؤكد الباحـث (عصام ناصف) أنــه كـان يحتفل بعيد ميلاد «ميتهرا» فى ٢٥ كانون (أول) أى بالضبط

---

(١) د. كارم محمود عزيز – أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ٦٦

(٢) الأسطورة والتراث ص ٤٢، ٤٤

عندما تبدأ الشمس قوة دورتها الجديدة، فهو إله الضياء أو الشمس (المسيح فى مفهوم معاصر ص ٦٤ - ٦٦) وقد عبد الهنود بدورهم هذا الإله، وإعتقد عبَّاده أنه يدخل سنوياً فى معركة مع آلهة الموت والظلام، وأنه كان يتعرض فى هذه المعركة للأسر، ثم الإستشهاد موتاً على الصليب، فيصيب الأرض الجفاف ويتوقف النسل، لكنه يقوم من الموت فى الحادى والعشرين من شهر آزار عند المنقلب الربيعى، فتعود بقيامته المجيدة الحياة للأرض خيراً ونماء، ويشير المرحوم (عباس العقاد) إلى طقوس من ديانة (ميثهرا) نجد فيها شبهاً كبيراً بما فى المسيحية، ولك أن تلاحظ أن إحتفال المسيحية بعيد ميلاد إلهها الشهيد (يسوع المسيح) فى ٢٥ كانون أول وهو نفس موعد ميلاد ميثهرا، وأن إحتفالها بعيد قيامته المجيد يوم ٢٠ آزار، وهو بدوره نفس موعد قيامه ميثهرا المجيدة (الله - كتاب الهلال عدد ٤٢ ص ١١١، ١١٢) »[1].

كما يقول د. سيد القمنى ظهر فى الفكر الفارسى أيضاً «زرادشت» كنبى مُرسل من «هرمـز» إله الخير لهداية البشر والبعد عن طريق «إهرمان» إله الشر، وقالت الزرادشتية بأن هذا الصراع سيستمر أثنى عشر ألف سنة، يظهر فى بداية كل ألف سنة مهدى من بيت زرادشت يقود الكفاح ضد الشر، وفى عهد المهدى الثانى عشر تقوم القيامة ويسود السلام، ويُزج أهرمان وكل جنوده فى الجحيم، وهكذا وجد الإنسان راحته فى مثل هذه الأفكار، وعلق أخطاؤه وتقصيره وإهماله على شماعة إله الشر، وعزى نفسه بأن السلام سيسود فى عصر المهدى الثانى عشر (راجع الأسطورة والتراث ص ٤٥) .

وفى أسطورة فارسية أخرى نرى إعتقاد أهل فارس بأن العالم نشأ من أصلين هما النور والظلمة بعد صراع، فكانا يتناوبان النصرة والهزيمة، ولذلك قسَّموا العالم إلى جيش النور أو الخير، وعلى رأسه «أهورامزدا» Ahuramazda وجيش الظلمة أو الشر وعلى رأسه «أهريمن» Ahriman أو «أنكرنينو» ويساعد أهورامزدا ستة كائنات فى إدارة العالم، تُعرف باسم «أمش سبنتان» أى القوة الخالدة

---

(١) الأسطورة والتراث ص ٤٣

المقدَّسة، ويلى هؤلاء كائنات أخرى تُسمى «يزت» تختص بكل يوم من أيام الشهر، وهذه اليزت تمثل طبقة أرضية وأعظمها زرادشت، وطبقة سماوية على رأسها أهورامزدا نفسه. ثم يلى ذلك كائنات مجردة تُعرف باسم «فروشى» أى ملائكة، ويقول الدكتور كارم محمود عزيز إن أهورامزدا خلق «أولاً السماء، وثانياً الماء، وثالثاً الأرض، ورابعاً النباتات، وخامساً الماشية، وسادساً الإنسان، وكان السابع أهورامزدا نفسه، وخلق أهورامزدا الأنوار وجعلها بين السماوات والأرض: النجوم الثابتة، والنجوم غير الثابتة، ثم القمر، ثم الشمس .. خلق أهورامزدا القمر، وفوق القمر خلق الشمس، وأقام الشمس والقمر لحكم النجوم، وبين الأرض والكرة السفلية جعل أهورامزدا الرياح والسحب ونار البرق»(1) كما يقول الدكتور كارم محمود أيضاً «تقوم بعض القصص الفارسية الأخرى أن الإنسان خُلق فى بادئ الأمر مكوَّناً من ذكر وإنثى متصلين من الخلف، ثم رأى الخالق أن يفصل أحدهما عن الآخر»(2).

س٢٨٠: هل أخذ سفر التكوين قصة الخلق من أساطير الأولين ؟(3)

أ- يطرح الخورى بولس الفغالى رأى جنكل فى سفر التكوين على أنه مجموعة أساطير وخرافات فيقول «المسائل الجديدة التى طرحها جنكل: وتوسع جنكل فى برنامجه الثورى فى مقدمة شرحه لسفر التكوين (خاصة بعد الطبعة الثالثة سنة ١٩١٠م) قال: التكوين هو مجموعة خرافات أراد جنكل أن

(١) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ٧١، ٧٢

(٢) المرجع السابق ص ٧٣

(٣) ملاحظة: لقد أمضينا وقتاً طويلاً فى عرض أساطير مختلفة بهدف أن يتأكد القارئ الفطن من بطلان الدعوى بأن هذه الأساطير مثلت مصادر ومنابع سفر التكوين، ومع ذلك فإن كثير من الكتَّاب وأرباب النقد يصرون على الإدلاء بدلوهم فى هذه البئر المظلمة، ولذلك تجدنى مضطراً لذكر بعض تعليقاتهم.

يُفهّمنا أن كتّاب المراجع (الأسفار) ليسوا «خلاّق» الخرافات التى يوردونها. لقد جمعوا أخباراً شعبية ودورات أساطير وتقاليد شفهية . . كيف تخيل جنكل صيرورة سفر التكوين ؟ قال هناك فى البدء عدد من العناصر تناقلتها البيوت، واستعاد هذه الأساطير ونشرها جماعة من الرواة المحترفين، ومع الوقت تجمعت الأخبار التى كانت منعزلة، فكوّنت دورات من الأساطير إرتبطت الواحدة بالأخرى، فعدم التماسك فى اللحمة الإخبارية للخبر الكتابى (كما جاء فى سفر التكوين) لا يعود فقط إلى تجاوز المراجع الأدبية المختلفة، بل إلى إختلاف السطر (الأساطير) والدورات التى جمعها أصحاب هذه المراجع (الأسفار) . .»[1] .

ب- يقول كمال الصليبى «وما سفر التكوين، وهو السفـر الأول من التوراة، إلاّ مجموعة من الأساطير التى يتعدى قدمها قدم اليهودية ونصوصها المكتوبة بأجيال وأجيال، ومن هذه الأساطير، ولا شك، ما طرأ عليه تغيير قليل أو كثير . . على الباحث فى أساطير سفر التكوين إذاً أن يحاول إرجاع كل أسطورة منها إلى عناصرها الأصلية قبل الإقدام على المحاولة لفك رموزها وحل ألغازها»[2] .

جـ- يقول زينون كوسيوفسكى «مع فك رموز الكتابة المسمارية بدأ واضحاً وجلياً أن العهد القديم . . الذى زعموا أنه أُوحى إليهم من الله، يعود بأصله وجذوره إلى تقاليد ما بين النهرين، وأن الكثير من التفاصيل الكثيـرة المذكورة فيه، بل وحتى أساطير كاملة منه، مسروقة بنسبة أو بأخرى من كنز الأساطير والخرافات السومرية الغنى . . إستعمل الكهنة فى مؤلفاتهم المقتبسة الأساطير الشعبية القديمة لما بين النهرين، وبلا أى خجل أو شعور بالذنب أو بعذاب الضمير، طبخوا تلك المقتبسات وجهزوها لتخدم

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدّس جـ ٢ ص ٢٠٦، ٢٠٧

(٢) خفايا التوراة وأسرار شعب الله ص ٢٢، ٢٣

أهدافهم الدينية . . لم يكن عمل الكهنة فى الإقتباس والتزوير دقيقاً، ولم يكونوا شديدى الحذر، فقد نسوا بين سطور التوراة الكثير من التفاصيل التى تفضح صلتها القوية بحضارة ما بين النهرين»(١).

د - يقول د. كارم محمود عزيز «وقد حمل الأثارى الأمريكى «جيمس بريتشل» على عاتقه مهمة مقارنة رواية الخلق العبرانية الواردة فى الإصحاح الأول من سفر التكوين برواية الخلق البابلية، حيث إكتشف تطابقاً مدهشاً بينهما، وكان أول ما آثار إنتباهه ذلك التتابع المدهش الذى إتسمت به الروايتان: ظهور السماء والأجرام السماوية، إنفصال المياه عن الأرض، خلق الإنسان فى اليوم السادس وراحة الإله فى اليوم السابع ويرى «كيرا» أن طريقة عرض قصة خلق العالم والإنسان فى الرواية التوراتية فى سرد حوادثها بالتعاقب، تشبه تماماً طريقة سرد القصة نفسها فى الرواية البابلية (أينوما إيليش) »(٢).

هـ- يقول الدكتور سيد القمنى عن الكتاب المقدَّس أنه «أصبح مصدراً تاريخياً ودينياً لا غنى عنه، للباحث المدقق أو المؤمن المتبتل، على حد سواء، نتيجة كونه الأثر الوحيد الذى وصلنا متماسكاً وشبه جامع لتراث شعوب حوض المتوسط الشرقى بجملة عادات هذه الشعوب وتقاليدها ونظمها الإجتماعية، وإعتقاداتها الدينية مع عدد غفير من الأساطير والتواترات والملاحم والفلكلوريات، لذلك فهو معين للمؤمن، كما إنه لا شك معين عزيز للباحث المُنقّب أيضاً»(٣).

كما يقول د. سيد القمنى أيضاً أن اليهود «كانوا فى عجلة من أمرهم لوضع كتاب مقدَّس (BIBLE) جمعوا له حشداً من كل ما وقع تحت أيديهم من ميثولوجيا المنطقة وتراثها . . وهكذا

---

(١) الأسطورة والحقيقة فى القصص التوراتية ص ١٠، ١١

(٢) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١١٤، ١١٥

(٣) قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ص ١٢٣

بعد أن تمكن العبريون من تهويد تراث المنطقة، وجعلوا جماعتهم وأسلافهم قطب الدائرة فى كتابهم، فنسبوا بطولات الملاحم القديمة إلى أبائهم الأوائل أحياناً، وأدرجوا الأبطال فى الميثولوجيا القديمة للمنطقة ضمن النسل العبرانى أحياناً أخرى»[1] .

وأيضاً يقول د. سيد القمنى «وقد كان من المظنون حتى عهد قريب أن الكاتب التوراتى هو الناظم الأول لأسطورة الخلق بهذا الشكل، الذى إكتسب ثباتاً عجيباً، وإنتقل إلى ديانات أخرى مع بعض التهذيب هنا والتشذيب هناك، حتى بدأت الكشوف الأركيولوجية المعاصرة فى آثاريات المنطقة تأتى بثمارها، وتم فك رموز الكتابة الهيروغليفية المصرية، والمسمارية الرافديـة، والأوغاريتية الكنعانية، مما أثبت أن هذه الملحمة ليست إلاَّ تهجيبناً مستهجناً لمجموعة من الملاحم القديمة، التى عرفها بنو عابر مبكرين، وأعادوا صياغتها فى توراتهم، بينما إندثرت تلك الحضارات القديمة، ونسى تراثها، حتى أعاد الزمان مسيرته، وبدأ نفض غبار الأيام الغبراء عنها.

وبرغم عدم تناسق الدراما التوراتية فى التكوين، وتنافرها بعضها مع بعض، ومع أبسط البداهات العقلية، كنتيجة لسلب التراث دون إدراك . .»[2].

و - يقول ناجح المعمورى «فى حدود ٨٥٠ ق.م حاول كاتب أو راوٍ أو مُحدث عبرى نرمز إلى إسمه بقولنا «اليهوى» أن يجمع بين الفولكلور الكنعانى ما كان شائعاً بين الناس من قصص وأساطير وروايات عن الآلهة «إيل ومردوك وبعل» وطبيعى يعزو هذه القصص والأخبـــار إلـــى يهوه . . حاول أن يكتب (بالحرى أن يجمع) تاريخ قومه بادئاً قصته بالخليقة (كما كانت عند البابليين، أى الإصحاح الثانى من سفر التكوين) ثم بآدم وحـواء والجنة والسقوط فى الخطيئة، وتغيُّر الإنسان والخليقة بعد سقوط الإنسان

---

(١) الأسطورة والتراث ص ١٨٨، ١٨٩

(٢) المرجع السابق ص ١٩٩، ٢٠٠

ثم الطوفان ثم أخبار العبرانيين موسى وهارون وإبراهيم وإسحق ويعقوب. وفي تاريخه هذا تظهر موهبته في القصص الديني»[1].

ز - يقول الأب سهيل قاشا «لا يرقى الشك إلى أن الكاتب الكهنوتي قد توخى الإستناد إلى التراث البابلي، وإستعان به أداة من أدواته التعبيرية في صياغة أفكار لاهوتية جديدة . . لم يتخذ الكاتب الكهنوتي ملحمة «أنوما أيليش» مؤلفاً أدبياً كلياً، بل إنتقى العناصر الروائية والموضوعاتية التي تناسب تصوُّره الفكري اللاهوتي»[2].

كما يقول الأب سهيل قاشا «تعتبر أسطورة الخليقة البابلية أينوما إيليش، أندر وأعرق وأوسع أسطورة خليقة أو تكوين في العالم القديم، وسبب عراقتها هذه كانت مصدراً أساسياً لأغلب أساطير التكوين في ذلك الوقت، وعنها ومنها إقتبست أسطورة التكوين التوراتية» ويقول أيضاً «يقتفي التكوين التوراتي أثر أساطير التكوين السومرية والبابلية في خطوطه العامة وفي تفاصيله، فالحال البدائية السابقة للخلق حالة عماء مائي وظلمة سرمدية . . ومن هذه المياه تم التكوين، حيث قام يهوه بتقسيم المياه إلى قسمين . .»[3].

ج : نكتفي بهذه الأقوال، على أننا سنعرض لأقوال أخرى خلال تعليقنا على الموضوع والآن دعني ياصديقي أعلق على بعض النقاط في بساطة ووضوح. أما التعليق على كل ما ذكر فهو موضوع طويل أتركه لفطنة القارئ، ولمن يريد أن يستكمل البحث في علم الميثولوجيا ومحاولة ربطه بالكتاب المقدَّس :

١- **نحن المؤمنين لا نهتز مطلقاً من إرتفاع صوت الباطل**، ولا من كثرة الأباطيل المثارة هنا وهناك، لأن إيماننا ليس إيماناً نظرياً يتزعزع سريعاً. إنما هو إيمان عملي إختباري

---

(١) أقنعة التوراة ص ١٩٤، ١٩٥

(٢) التوراة البابلية ص ٤٣

(٣) المرجع السابق ص ١٢٨

حياتى، مبنى على ثقة كاملة تامة بالكتاب ورب الكتاب «**الذى كان من البدء الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا**» (١يو ١: ١) فنحن لنا ملء الثقة فى الوعد الإلهى أن «**أبواب الجحيم لن تقوى عليها**» (مت ١٦: ١٨) . . نحن أبناء مار مرقس الذى هدم أركان الباطل على أرضنا، ومازال يهدم . . نحن أبناء أثناسيوس ضد العالم، فلم يكن المسيحى يوماً ريشة فى مهب الريح، ولا سمكة ميتة يحملها التيار حيثما شاء، بل هو صخرة حية فى كنيسة الله المقدَّسة المؤسسة على كلمة الله، واثقين أن «**كل آلة صوّرت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليكِ فى القضاء تحكمين عليه**» (أش ٥٤: ١٧) .

٢- **بنى النقاد إفتراضاتهم على أن سفر التكوين أخذ شكله النهائى فى القرن الخامس قبل الميلاد بعد العودة من السبى البابلى**، وبذلك أتيح للكاتب التعرُّف على الحضارات السومرية والمصرية والبابلية الفارسية، وقد أخذ منها بعد تنقيتها من جو الشرك وصراع الآلهة (راجع الخورى بولس الفغالى – سفر التكوين ص ٧٨) . ويقول الأب سهيل قاشا «أن السبى البابلى قد قدم لليهود فرصة الإطلاع على آداب وديانة وأساطير ثقافة وادى الرافدين، وعندما عادوا إلى أورشليم وقاموا بتدوين نصوص التوراة المتفرقة فى كتاب جامع شامل، دخلت خبراتهم أيام السبى بشكل تلقائى وطبيعى فيما دوَّنوه من نصوص»[1] كما يقول «أما التوراة العبرانية فقد دوَّنت أقدم أسفارها وهى أسفار موسى الخمسة بعد العودة من الأسر البابلى فى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، ولم يقر النص النهائى للتوراة إلاَّ فى القرن الأول قبل الميلاد»[2] .

وهذا مجاف للحقيقة لأن كاتب سفر التكوين هو موسى النبى بشهادة نصوص التوراة، ورجال العهد القديم، ورجال العهد الجديد، وفوق الكل شهادة السيد المسيح الإله المتأنس (راجع مدارس النقد والتشكيك جـ ١ ص ١٨٦ – ١٩٤) فسفر التكوين ليس مجهول الهوية،

---

(١) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ١٤٨

(٢) المرجع السابق ص ١٥٢

بل كتبه موسى النبى فى صحراء سيناء فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وهى منطقة بعيدة عن بلاد الرافدين.

وإن قال أحد النقاد أن أساطير بلاد الرافدين قد وصلت إلى مصر مثل أسطورة «أدباً» التى عُثر عليها فى تل العمارنة، وأسطورة ملكة العالم الأسفل، نقول إن كان المصريون القدماء لم يقبلوا هذه الأساطير ولم يعتقدوا بها، لأنه كان لهم معتقداتهم الخاصة، فكيف نتوقع أن موسى عبد الله يؤمن بهذه الأساطير، بل ويدونها للأجيال ككلمة الله الموحى بها ؟!! . . ألا يعتبر هذا طعن فى أمانة موسى النبى الذى شهـد لأمانتـه الله ذاته . . يقول «جوردون وينهام» . . «يبين كاتب (تك ١) إنه كان على علم بالقصص الأخرى، ولكنه لم يعتمد عليها فى كتاباته، بل بالحرى هو يرفضها رفضاً باتاً» (Wenham P.9) (١).

٣- ما وُجد من تشابهات بين الأساطير وسفر التكوين له مبرره، وهو أن أصل القصة واحد، سـواء خلقـة الكون أو الإنسان أو السقوط أو الطوفان . . إلخ. لقد علَّمها آدم لأبنائه وأحفاده، ونشرها نوح وأبنائه بين ذرياتهم، ولكن بمرور الأيام والأزمان أخذتها الأجيال شفاهة وأضافت إليها تصوُّراتها، فكانت الأساطير. أما ما دوَّنه سفر التكوين فهو يعبر عن أصل القصة الصحيح الذى وصل لموسى عن طريق التقليد، كما أن روح الله القدوس عصمه من أدنى خطأ ممكن، ولذلك فالحدث التوراتى تجده نقياً يطابق الحقيقة تماماً، ويقول «إيدرشيم» . . « إن هذه (الأساطير) فى الحقيقة ما هى إلاَّ بقايا الأعمدة المحطمة لذاك الذى كان مرة هيكلاً للحق بعد أن تناثرت وإستحالت إلى تقاليد بشرية منذ أقدم العصور . . فهى (الأساطير) إذاً بقايا الحق بين الناس فى التقاليد القديمة خلال الأجيال الغابرة، على أن مرور الزمن قد زاد من فساد تلك التقاليد وجعلها خليطاً من الحقائق والخرافات وذلك بسبب تباعد البشر تدريجياً عن

(١) سلسلة تفسير الكتاب المقدَّس يتحدث اليوم – سفر التكوين ص ٢٠

الله بمقدار ما تباعدوا عن الإعلان الإلهى الأول التام الصفاء والنقاء والذى هو مصدر الديانة الحقيقية التى آمنت بالله وحفظت عبادته منذ البداءة . . وشتان بين هذا الموقف الذى يعلن الإيمان الخالص بإله واحد خالق سام حاكم فريد للكون، وبين تعدد الآلهة الفظيع الذى إرتبطت به النجاسة والإنحطاط حسبما هو وارد فى أساطير الديانات القديمة بأسرها»[1] .

ويقول د. محمد بيومى مهران «وفى مقارنتنا لقصة التوراة وقصة الخلق البابلية، نستطيع – كما يقول الدكتور جون الدر – أن نكتشف فروقاً ومتشابهات، فأما المتشابهات فكل من القصتين متفق على وقت كان كل شئ فيه خراباً وخالياً، فى قصـة التوراة ترى كيف حلَّ النور محل الظلام، والعمار محل الخراب والدمار، وفى قصة بابل نجد الإله «مردوخ» ملك النور يقتل الإلهة «تيامات» ملكة الظلام والغمر. وفى القصتين كذلك نرى أن الماء كان هو أصل الأشياء، وإن كانت الروايتان قد إختلفتا فى أن القصة البابلية جعلت الماء أزلياً بينما جعلت الكتب السماوية الله هو الأزلى وإنه هو الذى خلق الماء، وأما الإختلافات، فالتوراة تجعل الله يخلق الشمس والقمر والنجوم فى السماء، بينما قصة البابليين تجعل الله يخلق السدم والكواكب لتكون محطات للآلهة الكبار، وفى التوراة يخلق الله الحيوانات والزواحف. وفى قصة بابل تقوم «تيامات» بذلك وفى التوراة يخلق الله الإنسان من تراب، وفى قصة بابل يخلقه مردوخ من لحم وعظام. وفى قصة التوراة يخلق الله الأشياء جميعاً فى ستة أيام، ويستريح فى اليوم السابع، بينما لا تذكر القصة البابلية ذلك»[2] .

٤- **القاعدة العامة التى جرى عليها أدب الشرق الأدنى القديم هى التطويل والإضافات، وليس الإختصار،** أى أن القصة البسيطة تمثل الأصل، وعندما يضاف إليها بعض الأمور غير المنطقية تصبح أسطورة، وليس من المعتاد فى أدب الشرق الأدنى القديم إختصار

---

(١) أورده القس صموئيل مشرقى – مصادر الكتاب المقدَّس ص ٥٥، ٥٦

(٢) تاريخ الشرق الأدنى القديم – تاريخ اليهود (مذكرة كلية الآداب – جامعة الاسكندرية – ١٩٧٢) ص ٢٩٩

الأسطورة لتصل إلى قصة بسيطة، ولذلك فالأقرب للعقل والمنطق أن قصة الخليفة البسيطة التى جاءت فى سفر التكوين هى التى أضافت إليها الشعوب تصوُّراتها فصارت أساطير، ومن المستبعد جداً أن يكون موسى قد إستخرج من الأساطير هذه القصة البسيطة، وتأكيداً لهذه النظرية أنظر إلى قصيدة الأينوما إيليش التى تحتوى ١١٠٠ سطر بينما جاءت قصة الخلق فى الإصحاحين الأول والثانى من سفر التكوين فى ٥٦ عدد لا غير.

٥- فى الأساطير تجد الآلهة محدودة، ومتعددة، تأكل وتشرب وتنام، وتتزاوج وتتناسل وتتصارع وتُذبَح . . وبعض هذه الآلهة لم يعرف الخبز ولا الثياب من قبل، فيقول الأب سهيل قاشا نقلاً عن أسطورة سومرية «لم يعرف الأنوناكى أكل الخبز . . لا ولم يعرفوا لبس الثياب . . بل أكلوا النباتات بأفواههم . . وشربوا الماء من الينابيع والجداول . . فى تلك الأيام وفى حجرة الخلق . . أكل الأنوناكى ولم يكتفوا . . ومن حظائرها المقدَّسة شربوا اللبن . . شربوا ولكنهم لم يرتووا . . لذا، ومن أجل العناية بطيبات حظائرها . . تم خلق الإنسان»[1].

بل أكثر من هذا قد نجد فى الأساطير الآلهة تغتصب الأمهات وتكذب فيقول الأب سهيل قاشا عن الأساطير السومرية أن الإلهة «نيبور العجوز» حدثت إبنتها «ننليل» عن كيفية إغراء «إنليل» . . «فى تلك الأيام قامت الأم بإرشاد إبنتها . . قامت نينار شيكونو بنصح إبنتها . . عند النهر الصافى يافتاتى، عند النهر الصافى إغتسلى . . الجبل العظيم، إنليل الأب، ذو العينين البراقتين سيراك . . الراعى، سيد المصائر، ذو العينين البراقتين سيراك . . حيث يُقبّلك . . نفذت ننليل مشورة أمها، وأبصرها إنليل فحاول غوايتها، ولكنها تمنَّعت، فتحايل عليها وحملها بمعونة وزيره نسكو إلى قارب، وهناك إغتصبها، وتركها حبلى بالإله القمر. إلاَّ أن

(١) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ١٣٦، ١٣٧

الآلهة تغضب لفعلة إنليل، ويقرر المجمع نفيه إلى العالم الأسفل. يرضخ إنليل لمشيئة الآلهة، ويبدأ رحلته نحو العالم الأسفل. ولكن ننليل التى تمكن منها حب الإله الشاب تلحق به وتدركه عند بوابة الجحيم، ولكن إنليل يطلب من حارس البوابة، ولسبب لا ندريه تضليل ننليل، ويتخذ هو نفسه هيئة الحارس ويقبع فى إنتظارها . . وعندما تصل وتسأله عن حبيبها، يجيبها وهو فى هيئـة الحارس مضللاً، ثم يجامعها ويتركها حبلى بنرجال إله العالم الأسفل»[1] .

ومثل هذه الأمور لا يمكن أن نجد لها أى أثر فى كتابنا المقدَّس الذين يدين النجاسة والكذب وإثارة القلاقل (مثلما فعل الإله «كنجو» الذى تعرض للذبح) بل بالعكس الكتاب المقدَّس يُعرّفنا بالله الواحد الخالق غير المحدود، الذى يسمو عن كل نقيصة، بل هو كامل فى كل شئ، ويقول «جوش مكدويل» فالروايات البابلية والسومرية تصف الخلق بإعتباره ناتجاً للصراعات التى نشأت بين الآلهة المحدودين، فعندما دُحر أحد الآلهة (تيامات) وأنشطر إلى نصفين، أصبح نهر الفرات ينبع من إحدى عينيه ونهر دجلة ينبع من العين الأخرى، والبشرية مخلوقة من دم إله شرير مخلوط بالطين، وتبين هذه القصص التكلف والتشويه المتوقع فى الرواية التاريخية عند صياغتها فى هيئة أساطير . . فالإفتراض الشائع بين الرواية العبريـة فى الكتـاب المقـدَّس ليـس إلاً صـورة مبسـطة وأكثـر نقـاء من الأسـاطير البابليـة هـو إفتراض غير صحيح . .»[2].

لقد نظر اليهود لعبادات الأمم على أنها عبادات شيطانية، فكيف يمكن لإنسان يهودى يؤمن بالوحدانية المطلقة أن يتقبل ولو جزئياً أساطير الأمم المبنية على تعدد الآلهة، بل أكثر من هذا يقتبس بها، بل وأكثر وأكثر من هذا يُظهرها على أنها كلمة الله الموحى بها ؟!!.

(١) التوراة البابلية ص ١١٣

(٢) برهان يتطلب قراراً ص ١٣٥

وإن قـال البعض أن البشريـة تطوَّرت مـن عبادة الآلهة إلى الوحدانية (تطبيقاً لنظرية داروين) فالحقيقة أن الآثار قد أثبتت العكس، فالإنسان فى فجر الحضارة كان يعرف الوحدانية، ثم عندما تدنت أخلاقه سقط فى تعدد الآلهة، ويقول «د. ستيفن هربرت» أحد علماء الحفريات وأستاذ العلوم الآشورية بجامعة أوكسفورد «إننى أؤكد بثقة أن عقيدة الوحدانية فى الديانات السامية والسومرية قد سبقت الإيمان بعديد من الآلهة، والإعتقاد بالأرواح الخيّرة والشريرة، فكل الديانات السامية قد بدأت بالإيمان بإله واحد للقبيلة، قام بخلق أفرادها، ويسهر على حفظهم ورعايتهم، وتاريخ الديانات فى المجتمع الإنسانى، ليس سوى تاريخ سقوط الإنسان وإرتداده»[1].

وقـال سيـر «بيتر ريتو» مترجم الكتاب المصرى القديم «الموتى» . .«منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، إرتفعت على ربوع وادى النيل، أصوات التسابيح للإله الواحد، وخلود النفس. إن الإعتقاد بوحدانية الإله العظيم، وصفاته القدسية كالخالق الأوحد، ومصدر الناموس الأدبى، تبدو مجموعة لامعة متألقة، وسط أكداس المعتقدات الفرعونية الكثيرة التى تراكمت خلال العصور الطويلة. لذلك فإننا لا يمكن أن نقول أن الفكر الدينى فى مصر القديمة قد تطوَّر من الدرجات السفلى وتسامـى إلـى أعلـى، حتى وصل إلى عقيدة الوحدانية والخلود»[2].

ويقول العالِم النمساوى «شميث» فى كتابه «تطوُّر الديانات» . . «إن الذى يدرس الآثار القديمة فى مختلف أنحاء العالم، يستطيع أن يدرك أنه بين القبائـل البدائيـة كانت تسود المعتقدات بإله واحد، وبأن حياة خالدة قادمة لا محالة»[3].

---

(١) جون ألدر – ترجمة د. عزت زكى – الإحجار تتكلم ص ٣٢

(٢) المرجع السابق ص ٣٢

(٣) المرجع السابق ص ٣٢

٦- قال البعض أن الأينوما إيليش أظهرت شمولية الإله مردوخ حيث خلعوا عليه الأسماء الخمسين «فظهر مردوخ، رغم وجود بقية الآلهة، إلهاً أوحداً مطلقاً»[(١)].

والواضح أننا فى أسطورة الأينوما إيليش نقف أمام عدد ضخم من الآلهة التى تقف فى مستويات مختلفة، فمنها الآلهة العليا «الأيجيجى» والآلهة الصغرى «الأنوناكى» والآلهة هم الذين منحوا السلطة لمردوخ ليصير رئيسهم الأعلى، وهم الذين بنوا له مسكنه ومعبده . . فكيف نتجاوز هذه التعددية ؟! بينما فى سفر التكوين لا نجد أثراً على الإطلاق يشيب وحدانية الله الكاملة المطلقة، فلا إله إلاَّ هو، وهو فقط. أما كل الكائنات فهى مخلوقاته، التى خلقها بكلمته الفعالة . . حقاً إننا فى سفر التكوين نقف فى خشوع شديد أمام الإله الواحد الخالق ضابط الكل محب البشر صانع الخيرات الذى له كل الكمالات الإلهية. أما فى الأساطير فنتوه وسط زحام الآلهة وإن كان مردوخ يتميز عنهم، وفى الحقيقة والواقع لا وجود لهؤلاء الآلهة ولا لمردوخ إلاَّ فى الخيال الإنسانى.

٧- قالوا أن المبدأ الأول فى الأساطير، وسفر التكوين، هو الحياة الأولى، وإنطلاقاً من هذه المياه البدئيَّة تمت كل عمليات الخلق، فيقول د. كارم محمود عزيز «والمبدأ الأول فى كلا الروايتين البابلية والعبرية هو المياه، وإنطلاقاً من هذه المياه البدئية تتم كل عمليات الخلق، وهو مياه أزلية غير مخلوقة، يجسّدها فى النص البابلى آلهة ثلاثة «أبسو» و «تيامات» و «ممو» بينما نجد هذه المياه فى النص العبرى جنباً إلى جنب مع الإله. دون أن يوضح النص أيهما أقدم . . ويُعتقد أن إسم اللجة الأزلية فى الرواية البابلية «تيامات» هو الذى أوحى بالأسم العبرى للجة «تهوم» والذى يعنى الهيولى المائى الذى كان موجوداً قبل الخليقة. ومن ثمَ فإن اللفظة العبرية تعتبر شكلاً آخر للإسم البابلى «تيامات» . .»[(٢)].

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١١٤

(٢) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١١٥

والحقيقة أن هناك فرق جوهرى وهام جداً بين وضع المياه فى الأساطير ووضعها فى سفر التكوين، فقد أظهرت الأساطير المياه على أنها أزلية، غير مخلوقة، تحمـل عنصر الألوهة. أما فى سفر التكوين فالمياه مخلوقة وليست أزلية، وإن قال أحد أن النص التوراتى لم يوضح متى خلقت المياه، نقول له: لقد خُلقت فى البـدء، فعندما قـال الكتاب «**فى البدء خلق الله السمـوات والأرض**» (تك ١: ١) فإنه جمع وأجمل كل شئ، فالسموات وكل ما فيها من طغمات ملائكية وأجرام سمائية، والأرض وكل ما عليها من مياه وكائنات حيَّة، وما فى باطنها من معادن . . إلخ كل هذا يدخل فى دائرة الخلق الإلهى، وقد سبق لنا مناقشة هذا الموضوع بالتفصيل فى الكتاب الثالث من هذا البحث (راجع إجابة السؤال رقم ١٧١).

٨- **تؤكد الأساطير على خلقـة الكون من مادة سابقة**، فيقول فراس السواح «فالشكل الحالى للوجود قد إنبثق من شكل سابق له، ولم ينبثق من عدم.. إن فكرة إنبثاق الوجود الحالى من وجود سابق له، تتخلل فكر المنطقة، وتميّز كل التأملات الخاصة بالتكوين، كما نجدها فى سفر التكوين العبرانى {**فى البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه المياه**} وإلى يومنا هذا، لم يقبل العلم الحديث فكرة العدم المطلق، فكل نظريات التكوين العلمية تتحدث عن نشوء الكون من مادة ما بدائية، ووجود ما سابق. كما أثبت القرآن الكريم فكرة الوجود السابق على الخلق عندما قال {وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء} (سورة هود ٦) كما أشار محمد (ص) فى الحديث الشريف إلى نفس الموضوع عندما أجاب على سؤال: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال: كان فى عماء (والعماء هو الغيم الرقيق الذى يحول بين الناظر وبين الشمس)»(١).

---

(١) مغامرة العقل الأولى ص ٧٥

والحقيقة إن الله وحده هو الأزلى، وكل ما عداه فهو مخلوق، أى أنه مر وقت سابق لم يكن هناك غير الله وحده، وما يقول به فراس السواح يتعارض مع فعل» خلق» لأن الخلق يعنى إيجاد الشئ من العدم، وهذا ما نراه واضحاً فى سفر التكوين، فقبل أن يقول **«وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه»** (تك ١: ٢) قال **«فى البدء خلق الله السموات والأرض»** (تك ١: ١) ففى سفر التكوين نلتقى مع عظمة وروعة الخالق الذى يقول للشئ كن فيكون **«وقال الله ليكن نور فكان نور»** (تك ١: ٣) فمن أين جاء النور ؟ . . جاء من العدم، وكيف جاء النور ؟ . . جاء بكلمة الله الفاعلة **«لأنه قال فكان. هو أمر فصار»** (مز ٣٣: ٩) ويقول «ول ديورانت» . . «وبحسب الأسطورة البابلية تكون المادة الأولى عند العراقيين القدماء ذات طبيعة ثنائية، إذ كانت مادة وإلهاً فى الوقت نفسه، أى أن المادة أزلية وُجِدت منذ البدء ولم تُخلق. وهنا نجد إختلافاً جوهرياً ما بين العقيدة البابلية وبين عقائد الأديان السماوية ولاسيما ما جاء فى التوراة . . حيث وجود الخالق أزلى سبق وجود المادة، وهو الذى أوجد المادة» (ترجمة محمد بدران – قصة الحضارة المجلد الأول ط ٣ القاهرة ١٩٦١ ص ٣٩٨)(١) .

٩- **فى سفر التكوين يتم الخلق بكلمة الله الواحد الخالق. أما فى الأساطير فالخلق يتم عبر التزاوج والإنجاب والعراك والصراع بين الأجيال الإلهية**، وفى الرواية السومرية تشارك الآلهة فى الخلق، فإنكى يتابع ما بدأه «إنليل»، و «ننحور ساج» تخلق الإنسان، ويقول الأب سهيل قاشا «لم يكن الخلق مهمة تولاها إله واحد فى سومر، فها هو الإله «إنكى» يتابع ما بدأه «إنليل» ويضع اللمسات الأخيرة على صورة الكون، فتخرج حيَّة نضرة، و «إنكى» هو إله الماء العذب عند السومريين وإله الحكمة أيضاً، ومن غير إله الماء العذب يستطيع أن يبعث الحياة

(١) أورده الأب سهيل قاشا – أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ٢٤٩

فى كون جامد لا حركة فيه ؟ ومن غير إله الحكمة يستطيع أن يدفع الحياة نحو غايتها، ويحدد أغراضها ومراميها ؟»[1].

١٠- قالوا أن الأساطير وسفر التكوين يتفقان على الظلام البدئى الذى ساد الكون أولاً.

والحقيقة أن الشعوب البدائية ظنت أن الشر كان أولاً، ولهذا جاء بالأساطير أن الظلمة كانت أولاً. أما ما جاء فى سفر التكوين «**وكانت ظلمة على وجه الغمر**» فكان يعنى أن الأبخرة المتصاعدة من الأرض لم تسمح للنور بالنفاذ إليها، وقد سبق مناقشة هذا الموضوع بالتفصيل فى الكتاب الثالث من هذا البحث (راجع إجابة السؤال رقم ١٧٠) بل أن «موريس بوكاى» الذى طالما هاجم الكتاب المقدَّس فإنه ينفى هذه التهمة عنه، فيقول «فقد أراد البعض أن يشتمَ من الكتب المقدَّسة رائحة لبعض أساطير نشوء الكون، ومن تلك على سبيل المثال إعتقاد البولينزيين Polynesiens بوجود سوائل أولى غائصة فى الظلمات التى إنفصلت عند ظهور النور، وبالتالى تكوَّنت الأرض والسماء، فإذا قارنا الأسطورة برواية الخلق فى التوراة وجدنا بالتأكيد تشابها (ما) ولكن من الإستخفاف الذهاب إلى إتهام التوراة بأنها أخذت لعاتقها أسطورة نشوء الكون هذه»[2].

١١- قالوا أن الأساطير وسفر التكوين إتفقا على وجود الضوء والليل والنهار قبل خلقة الأجرام السمائية، ففى الأينوما إيليش لم يستطع «أبسو» النوم ليلاً ولا الراحة نهاراً من ضجيج الآلهة الصغار، وإن مردوخ نفسه كان يشع بالنور، وهذا قبل خلقة الكون، وفى سفر التكوين يقول «**وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً**» (تك ١: ٥) .

---

(١) التوراة البابلية ص ١١٦

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٧٣، ١٧٤

والحقيقة أن سفر التكوين تكلم عن المساء والصباح بعد حديثه عن بدء الخلقة، فجاءت الآية الأولى فى سفر التكوين تتحدث عن قصة الخلق فى كلمات معدودة «**فى البدء خلق الله السموات والأرض**» (تك ١ : ١) ومن هنا بدأت تتوالى أحداث الخلقة، أما فى الأينوما إيليش فقد ذكر إنزعاج «أبسو» من ضجيج الآلهة وعدم قدرته على النوم ليلاً ولا الراحة نهاراً فى اللوح الأول، قبل خلقة العالم، التى جاءت بعد زمن طويل فى اللوح الخامس.

١٢- قالوا أن سفر التكوين إتفق مع الأساطير فى خلق الأجرام المضيئة، ولاسيماالقمر والشمس.

والحقيقة أن الهدف من خلقة الأجرام السمائية فى الأساطير أن تكون محطات ومساكن للآلهة. أما فى سفر التكوين فكانت بهدف تحديد الأوقات وإنارة وجه الأرض. وفى الأساطير وَلَدَ «نانا» (القمر) «أتو» (الشمس) وهذا صدى لظهور عبادة القمر فى الشعوب البدائية أولاً، فالقمر يعبر عن المجتمع الأمومى، أما الشمس فإنها تعبر عن المجتمع الذكورى. وفى الأساطير نجد النجوم قد أتت من تناسل الآلهة، فجاء فى إحدى الأساطير «إيل هو والد الآلهة، يلتقى على شاطئ البحر بالهتين أشيرة وبديلتها . . (وينجب) منهما شخصين هما نجمة الصبح ونجمة المساء، وهذا يعنى خلق الزمن أو خلق عالم النجوم. ثم ضاجع إيل المرأتين فولدتا الآلهة المشهورين بالشراهة»[1] أما فى سفر التكوين فنرى الشمس والقمر والنجوم من خلائق الله الواحد، وقال المرنم «**ما أعظم أعمالك يارب. كلها بحكمة صُنعت. ملآنة الأرض من غناك**» (مز ١٠٤ : ٢٤) فبينما كانت الشعوب تعبد الشمس والقمر والكواكب والريح والنار والأشجار والحيوانات، فإن التوراة أوضحت جلياً أن كل هذه الكائنات هى مخلوقات الله.

---

(١) الخورى بولس الفغالى – المدخل إلى الكتاب المقدَّس جـ ١ ص ٤٧٣

١٣- **قالوا أن الأساطير وسفر التكوين إتفقا فى خلقة السماء،** ففى نشيد الأينوما إيليش شق مردوخ جسد تيامات، ورفع الجزء الأعلى، فكانت السماء، وجاء فى سفر التكوين **«وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد. وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء»** (تك ١: ٦ – ٨).

والحقيقة أنه فى سفر التكوين فصل الله بين مياه ومياه، فالمياه العليا هى المياه فى حالتها البخارية، والمياه السفلى هى المياه فى حالتها السائلة، وقد تجمعت فى المسطحات المائية، بينما فى قصة الأينوما إيليش لم يتم الفصل بين مياه ومياه، إنما تم شطر تيامات، فالشطر الأعلى من جسدها صار سماءً، والأسفل صار أرضاً، ومن لعاب تيامات جاءت الغيوم والضباب، وقد إعتبر الأقدمون أن السماء إلهاً فعبدوه، أما فى سفر التكوين فتظهر السماء مجرد خليقة مثل سائر المخلوقات.

١٤- **قالوا أن الأساطير وسفر التكوين إتفقا فى خلقة الأرض،** ففى الأينوماإيليش خُلقت الأرض من نصف جسد تيامات الأسفل، وفى سفر التكوين ظهرت اليابسة من الماء **«وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة . . وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً »**(تك ١: ٩، ١٠).

وهنا نلاحظ مغالطة واضحة من جانب النُقَّاد، إذ يقولون أن فى الأينوما إيليش خُلقت الأرض والحقيقة إن فعل «خلق» يعنى الخلق من العدم، وهذا ما لا تقول به الأساطير، ففى الأينوما إيليش أن النصف الأسفل من جسد تيامات هو الذى صار أرضاً، وعظامها صارت جبالاً، فأين الخلق هنا ؟ . . لا يوجد، فأرض التكويـن قد خلقت فعلاً من العدم **«فى البدء خلق الله السموات والأرض»** (تك ١: ١) أما أرض الأساطير فهى غير مخلوقة.

١٥- من ينظر للأساطير بنظرة ثاقبة يجدها لم تذكر خلقة النباتات والزحافات والكائنات البحرية والطيور والحيوانات، بينما هذه الأمور واضحة تماماً فى سفر التكوين، إذ خلق الله النباتات فى اليوم الثالث، وخلق الزحافات والكائنات البحرية والطيور فى اليوم الخامس، وخلق الحيوانات فى اليوم السادس، ففى سفر التكوين نجد التسلسل المنطقى لحلقات الخلق خلال الأيام الستة (أى الفترات الزمنية الستة) **بينما تفتقر الأساطير عنصر الزمن تماماً.**

١٦- **قالوا أن الأساطير وسفر التكوين يتفقان فى خلق الإنسان،** وظهر فى الأينوما إيليش أن هذا العمل كان رائعاً، فمردوخ عظيم الآلهة حدثته نفسه بخلق أشياء مبدعة، ففكر فى خلق الإنسان، ووصف هذا العمل بأنه يسمو على الأفهام، وفى سفر التكوين خُلق الإنسان على صورة الله، ويقول د. كارم محمود عزيز «أما فيما يتعلق بخلق الإنسان، فهناك تشابه واضح أيضاً فى الروايتين: البابلية والعبرية فى الكثير من عناصر قصة هذا الخلق، فقبل خلق الإنسان حدثت فى القصة البابلية إستشارة بين الآلهة وبعضها بشأن إتخاذ قرار بخلقه، وذلك كما فى حديث «مردوك» مع «آيا» الوارد فى بداية اللوح السادس. وكذلك الحال فى القصة العبرية، حيث يدل النص الوارد فى الرواية الأولى (١ : ٢٦) على حدوث مثل تلك الإستشارة . . كذلك كان الإنسان فى القصتين هو آخر أعمال الخلق. كما تم خلقه فى القصتين من الطين، ممزوجاً بالمبدأ الإلهى للحياة «الدم «فى القصة البابلية، و «نسمة الحياة «فى القصة العبرية . . وشبه الإنسان بالرب ورد ذكره فى القصتين أيضاً حيث إن الآلهة البابلية علقت صورتها على الإنسان بعد خلقه، فأتى على شبهها، كما إنه فى القصة العبرية صنع الإنسان على صورة الرب بصريح النص . . »[(١)].

(١) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١١٦، ١١٧

والحقيقة أن هناك خلافات جمة بين سفر التكوين والأساطير فى خلقة الإنسان، نذكر بعضاً منها فيما يلى :

أ - الهدف : ففى الأساطير خُلق الإنسان ليحمل عبء العمل عن الآلهة. أما فى سفر التكوين فإن الله خلق الإنسان حباً فيه، فالإنسان هو نتاج المحبة الإلهية، ولهذا ميَّزه الله عن جميع المخلوقات الأرضية، بل والسماوية، إذ هو الوحيد الذى خُلق على صورة الله، وباركه الله وجعله ملكاً على الخليقة «**وباركهم الله وقال لهم إثمروا وإكثروا وإملأوا الأرض وإخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبُّ على الأرض**»(تك ١ : ٢٧) ولم يتحمل الإنسان مشقة العمل إلاَّ بعد المعصية والسقوط، وبهذا يتضح أن إنسان الأساطير هو عبد لا يتمتع بأى مركز أدبى، بينما إنسان التكوين له كرامته ومركزه الأدبى الرفيع، حتى بعد السقوط لم يرفضه الله ولم يهمله، ولكن تعهده بالمراحم والرآفات.

ب- مادة الخلقة: صُنع الإنسان فى الأساطير من طين الأرض الممتزج بدم الإله الخبيث مثير الفتنة، ومن المفروض أن يكون الإله روحاً لا جسد له، أما آلهة الأساطير فلها أجساد تأكل وتشرب وتنام وتتزاوج . . إلخ وقد علَّل «جان بوتيرو»إختيار السومريين لمادة الطين لخلقة الإنسان فقال «إن هذا التمثيل والصنع من الطين لأجسام البشر الأوائل يعتبر صورة طبيعية جداً، فى بلد يلعب فيه الفُخَّار دوراً كبيراً، حيث نجد صنع التماثيل من الطين الفخارى بشكل إنسان، عملاً منتشراً بصورة واسعة» (ترجمة وليد الجادر - الديانة عند البابليين ص ١١١)[١]. ويؤكد الخورى بولس الفغالى نفس المعنى فيقول «من أين يأتى الإنسان ؟ هل هو حيواناً تطوَّر فصار إنساناً، أم أنه جُبل من تراب الأرض ؟ لاشك فى أن الكتاب أخذ أسلوب القدماء (صورة الإله الخالق أشتوم فى قصر الأقصر وهو يكوّن أجساداً بشرية كما

---

(١) أورده د. سيد القمنى - قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ص ٥٢

يفعل الفخارى) فتصوَّر الله فخارياً، ولكنه جعل النفس (نسمة الحياة) تخرج من الله وتدخل هذا المركَّب الترابى الذى هو الإنسان»[1].

ويؤيد السيد سلامة غنمى رأى جيمس فريزر فيقول «يبدو أن المؤلف اليهودى قد تصوَّر أن الإله قد شكل الرجل الأول من الطين، على نحو ما يفعل صانع الفخار تماماً. أو كما يفعل الطفل حين يشكل دمية من الطين، فبعد أن عجن الإله الطين وسواه على الصورة المعلومة بث فيه الروح، بأن نفخ فى فم التمثال ومنخاريه . . إن فكرة العبريين فى أن الجنس البشرى يرجع فى أصله إلى التراب تتضح لنا على نحو طبيعى للغاية، إذ أننا نجد كلمة (أدمة) فى لغتهم ومعناها الأرض هى الصيغة المؤنثة لكلمة (آدم) ومعناها الرجل، ويبدو من نصوص مختلفة من الأدب البابلى أن البابليين كذلك كانوا يرون أن الإنسان قد خُلق من طين «(الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ١١١)[2] ويعتقد بهذ الفكرة كثير من شعوب العالم مثل سكان إستراليا السود، وشعب بولينيزيا، والدياكيون، وسومطرة والباجويش (الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ٥٤) وبالمثل يحكى فى الأسطورة الإغريقية أن (بروميثوس) قد خلق الإنسان الأول من الطين. كما يحكى . . سكان نيوزيلندة أن الإله (تو – تيكى – تانى) قد صنع رجلاً من الطين الأحمر شديد الشبه به وسماه (تيكى أهوا) أى شبيه تيكى. وفى تاهيتى يزعمون إن الإله (تاروا) الإله الأكبر خلق أول زوجين من الطين الأحمر. وعلى كلٍ فإن قصة خلق أول إمرأة من ضلع أول رجل تصادفنا فى أماكن أخرى فى شكل روايات شديدة الشبه بحكايات الكتاب المقدَّس إلى درجة أننا لا يمكن أن نعدها مستقلة عنها» (الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ١١٨)[3].

---

(١) البدايات أو مسيرة الإنسان إلى الخلق ص ٨٩

(٢) التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير ص ٧٠. ٧١

(٣) المرجع السابق ص ٧٢

أما د. سيد القمنى فيقول «أما نحن فنعتقد ببساطة، إنه كان يكفى للسومرى أن يلاحظ الطين وما ينشأ فيه من حياة (فطر) نبات، ديدان . . إلخ حتى تنشأ لديه قناعة أن هذا هو مصدر ومنشأ الحياة عموماً»[1].

أما فى سفر التكوين فقد «**جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض. ونفخ فى أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفساً حية**» (تك ٢: ٧) وشتان بين الله الذى يهب الإنسان نسمة الحياة، وهو لم ينقص شيئاً قط. وبين إله خبيث يُذبح فيفقد حياته تماماً، ويخلط دمه مع طين الأرض لصنع الإنسان.

وقد أورد د. سيد القمنى قول «جان بوتيرو» ، وأورد السيد سلامة غنمى قول «جيمس فريزر» وينصب القولان على أن ما ذكره سفر التكوين من خلقة الإنسان من التراب يرجع للأساطير التى جاءت نتيجة رؤية الشعوب البدائية للفخارى الذى يشكل الآنية الفخارية من الطين، أو الطفل الذى يلهو فيصنع دمية من الطين، من أن القرآن ذكر صراحة ومراراً وتكراراً خلقة الإنسان من الطين :

«خلق الإنسان من صلصال كالفخار» (الرحمن ١٣)

«هو الذى خلقكم من طين» (الأنعام ٢)

«إنا خلقناكم من تراب » (الحج ٥)

«وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشر من صلصال من حما سنون»(الحجر ٢٨)

«قال (إبليس) أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين»(الأعراف ١٢)

---

(١) قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ص ٥٣

عجباً لهؤلاء الكتّاب الذين ينقلون الهجوم على الكتاب المقدَّس ويتغافلون أن مثل هذه الأقوال تعد طعناً فى القرآن الذى يؤمنون به.

جـ- مدة الخلق: بينما يذكر سفر التكوين أن الله خلق كل من آدم وحواء فى زمن وجيز من اليوم السادس، فإن هناك إسطورة إفريقية تقول «إن الإله الخالق قد أخذ حفنة من طين شكلها على هيئة إنسان، ثم تركها فى بركة مليئة بماء البحر مدة سبعة أيام، وفى اليوم الثامن رفعها فكانت بشراً سوياً»[1].

د - الإنسان الأول: واضح فى سفر التكوين أن الله خلق آدم واحد وحواء واحدة، أما الأساطير فهى تحكى غير هذا فى الأسطورة الفيليبينية أن الله وضع أول حفنة طين فى الفرن وأخرجها قبل الآوان فكان الإنسان الأبيض، وفى الحفنة الثانية تركها فخرج الإنسان الأسود، وفى الثالثة كان الوقت مضبوطاً فخرج الإنسان الفيلبينى، وفى أسطورة أخرى صنعت الإلهة ننخرساج سيدة النسل ستة أشخاص لكل منهم عيبه، ثم خلق إنكى شخصين أحدهما بائساً والآخر مريضاً، وفى أسطورة ثالثة أخذت الإلهة «تنتو» أو «مامى» ١٤ قطعة من الطين فخلقت سبع ذكور وسبع إناث، ويقول بولس الفغالى «إن الإنسان جُبل تراباً من الأرض، وهذه الفكـرة شائعة فى النصوص الأشورية والبابلية، كما عند المصريين واليونان، فإليك مثلاً عن الإلهة «مامى» التى أرادت أن تخلق سبعة رجال وسبع نساء، فإقتطعت أربع عشرة قطعة من التراب المبلل. أخذ أعوانها هذه القطع وبنوا منها أجساماً، فأعادوها إليها فوضعت اللمسات الأخيرة (كالفاخورى على فخاره) ثم رسمت قسمات الوجه البشرى بحسب صورتها. لا حاجة إلى القول كم يتقارب نص الكتاب المقدَّس من هذه الأسطورة»[2] لقد نظر بولس الفغالى فقط للمادة التى جُبل منها الإنسان، بينما تغافل عن الفروق الهائلة فى طريقة الخلق، فهل نجد فى سفر التكوين آدم وحواء أم ١٤ شخصاً ؟! .. وهل نجد فى سفر التكوين خالق واحد أم آلهة عديدة تتعاون معاً لخلقة الإنسان ؟! .. وهل خلق الإنسان دفعة واحدة أم إنه خُلق على دفعات ؟! .. إلخ.

---

(١) فراس السواح - مغامرة العقل الأولى ص ٣٩

(٢) سفر التكوين ص ٨٠

هـ- فى بعض الأساطير الفارسية خُلق الإنسان ذكراً وإنثى متصلين من الخلف، ثم رأى الخالق أن يفصل أحدهما عن الآخر، وهذا لا نجد له أثراً فى سفر التكوين لأن الله خلق آدم أولاً، ثم أوقع عليه ثباتاً وأخذ منه ضلعاً، بناه لحماً وخلق منه حواء.

و - فى الأساطير خُلق الإنسان ثم طبعت الآلهة عليه صورتها. أما فى سفر التكوين فقد جُبل الإنسان على صورة الله فى الخلود والقداسة والتفكير والإبتكار . . إلخ.

١٧- قالوا أن سفر التكوين إتفق مع الأساطير فى أن الخالق ليس إلهاً بل هو جمع من الآلهة، فيقول د. كارم محمود عزيز عن قصة الخلق التوراتيـــة «يبدو أن تلك الرواية قد حملت بين طياتها إشارات غير مباشرة إلى أن الخالق لم يكن واحداً، وإنما كان هناك مجلس إلهى يرأسه «إيلوهيم» يطلب منهم العون أحياناً، ويستشيرهم فى أحيان أخرى . . يوضح الخالق الهدف من خلق النورين العظيمين . . كذلك يوضح . . الهدف من خلق الإنسان . . ويوحى النص فى هذين الموضعين بمعاونة تلك الأشياء المخلوقة، الشمس والقمر والنجوم والإنسان للخالق فى حكم الكون، ما يضفى سمة محدودية القدرة على الإله الخالق، فلو كان ذلك الإله كلى القدرة، ما كان بحاجة إلى معاونة هذه المخلوقات له فى حكم المخلوقات الأخرى، ويعكس النص هنا أصداء عن عقائد الشرق الأدنى القديم المتعلقة بألوهية الكواكب، حيث كان القمر معبوداً رئيسياً فى بلاد النهرين، كذلك كانت الشمس معبوداً رئيسياً فى مصر . . «**نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا**» . . مما يوحى بإستشارة «إيلوهيم» للمجلس الإلهى، ومما يدعم ذلك، إنه توجد إشارات أخرى . . «**هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم**» (تك ١١: ٧) «**اله قائم فى مجمع الله. فى وسط الآلهة يقضى**» (مز ٨٢: ١) «**هل تنصّت فى مجلس الله أو قصرتَ الحكمة على نفسك**»(أى ١٨: ٨) »[1].

---

(١) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ٨٥ - ٨٧

كما يقول السيد سلامة غنمى «ما الذى رمت إليه الحية عندما قالت لحواء «**ستكونان كالآلهة**» إن ثمة كثرة من الآلهة. زد على ذلك أن كلمة «آلهة» تتردد فى نصوص توراتية أخرى . . إن الإله اليهودى بهذه لا يعتبر نفسه إلهاً وحيداً وحدانياً . . وهكذا تبقى السذاجة والتضليل سمتين دائمتين للتوراة»(١) .

والحقيقة أن الأساطير أقرت تعدد الآلهة، وتحدثت عنه بصراحة وبصورة واضحة (ولو إنه كله خرافات) فكل إله قائم بذاته، وهناك تزاوج وتناسل، وصراعـات . . إلخ بينما إستخدام سفر التكوين لصيغة الجمع «إيلوهيم»، والقول «**نعمل الإنسان على صورتنا**» أو «**هلمَّ ننزل ونبلبل هناك ألسنتهم**» فإنه كان يعبر عن وحدانية الله الجامعة، فوحدانية الله ليس وحدانية صامتة، لكنها وحدانية جامعــة، وحدانية موجودة عاقلة حية . . فيها الآب والإبن والروح القدس، وقد إستخدم الكتاب الفعل فى صيغة المفرد «**وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . . فخلق الإنسان على صورته**» (تك ١: ٢٦، ٢٧) فقول الكتاب«**قال**» و «**خلـق**»، و «**صورتـه**» إشارات واضحة للجوهر الإلهى الواحد، و«**صورتنا كشبهنا**» إشارة للثالوث القدوس الواحد فى الجوهر الإلهى، ولا نجد مجالاً هنا لشرح عقيدة الثالوث ولكن يمكنك أيها القارئ الرجوع إلى كتابنا أسئلة حول التثليث.

١٨- **من يهيئ الطعام لمن ؟** فى سفر التكوين نجد الله يهيئ الطعام للإنسان والحيوان وطيور السماء «**وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقلٍ يُبزر بزراً على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يُبزر بزراً يكون لكم طعاماً . . ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبَّابة على الأرض فيها نفس حيَّة أعطيت كل عشب أخضر طعاماً. وكان كذلك**» (تك ١: ٢٩، ٣٠) أما فى الأساطير فنرى

(١) التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير ص ١٢٥

العكس إذ أن الإنسان ملزم بتوفير الطعام والشراب والخدمات للآلهة، ويقول الأب سهيل قاشا «ماذا خُلق الإنسان ؟ فإن الأسطورة السومرية لا تتردد فى الإجابة على هذا السؤال ولا توارب، فالإنسان خُلق عبداً للآلهة، يقدم لها طعامها وشرابها أو يزرع أرضها، ويرعى قطعانها. خُلق الإنسان لحمل عبء العمل ورفعه عن كاهل الآلهة، فمنذ البدء كان الآلهة يقومون بكل الأعمال التى تقيم أودهم وتحفظ حياتهم، ولكنهم تعبوا من ذلك فراحوا يشتكون لإنكى الحكيم ليجد لهم مخرجاً»(١) وكانت الأسطورة تعتبر صدى للأوضاع الإجتماعية التى كانت سائدة فى بابل حينذاك، فعلى كل الشعب خدمة الملك والوزراء.

١٩- **قالوا أن سفر التكوين إتفق مع الأساطير فى خلقة حواء،** فإسم حواء فى السومرية «السيدة التى تحيى» أو «سيدة الضلع» . .» فحسب الأسطورة السومرية عانى الإله «إنكا» من مرض فى ضلعه، ومعنى كلمة ضلع باللغة السومرية هو «تى» أما الإلهة التى دُعيت لتعالج ضلع» إنكا» كان إسمها «نينتى» أى (إمرأة من الضلع) ولكن كلمة «نينتى» تعنى أيضاً إعطاء الحياة، وهكذا تكون كلمة «نينتى» ذات معنيين :

إمرأة من الضلع، وإمرأة مانحة الحياة . .

فقد إستبدلت القبائل العبرية القديمة» نينتى» بحواء، ذلك لأنها، أى حواء كانت بالنسبة لهم أم الإنسانية أى المرأة المانحة الحياة»(٢) .

والحقيقة إنه عندما إلتقى أبونا آدم بأمنا حواء أول مرة أسماها إمرأة» **فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى. هذه تدعى امرأة لأنها من أمرء أخذت»** (تك ١ : ٢٣) وبعد السقوط والطرد من الفردوس» **دعا آدم إسم إمرأته حواء لأنها أم كل حى»**

---

(١) التوراة البابلية ص ١١٨

(٢) زينون كوسيدوفسكى – الأسطورة والحقيقة فى القصص التوراتية ص ١٥

(تك ٣: ٢٠) فليس معنـى حـواء كما قالت الأساطير «إمرأة مانحة الحياة» لأن مانح الحياة هو الله وحده، ولكن معناها بحسب سفر التكوين أنها أم كل إنسان حي. كما أن «نينتى» فى الأساطير هى إلهة أما حواء فإنها إنسانة، وليس من المعقول أن يأخذ موسى إسم إلهة من الإلهات الوثنيات ويطلقها على إسم أمنا حواء.

٢٠- يقولون إن سفر التكوين إتفق مع الأساطير فى إستراحة الخالق بعد عناء الخلق، فجاء فى الأسطورة السومرية «بعد الإنتهاء من عناء الخلق، يخلد إنكى للراحة والسكينة، ويشرع فى بناء بيت له فى الأعماق المائية . . بعد أن تفرقت مياه التكوين . . وعمت البركة أقطار السماء . . وغطى الزرع والعشب وجه الأرض . . إنكى إله القمر، إنكى، الملك . .إنكى، الرب الذى يُقرّر المصائر . . بنى بيته من فضة ولازورد . . فضة ولازورد كأنها النور الخاطف . . حيث إستقر هناك فى الأعماق . . وبعد أن إنتهى من بناء بيته، كان لابد له، ككل الآلهة العظام، من مدينة أيضاً فرفع من أعمال البحر مدينة أريدو (ويعتبرها علماء الآثار من أقدم مدن سومر، ومازال معظمها مطموراً تحت الأرض) وغطاها شجراً وخضرة ونباتاً، وملأ مياهها سمكاً، ثـم قـرَّر السفـــر إلى أبيه «إنليل» ليحصل على بركته . .»[1] وفى الأسطورة البابلية» فهذا إله بابل، يبنى له الآلهة بيتاً يناطح برجه المدَّرج عنان السماء، بعد إنتهائه من فعل الخلق. وحول الهيكل المقدَّس يبنى الآلهة أيضاً مدينة بابل. وها هو إله اليهود يقلده إذ يطالب ببناء بيت له بعد أن تعب من التجوال فى خيمة بنى إسرائيل»[2] وجاء فى سفر التكوين **«وبارك الله اليوم السابع وقدَّسه لأنه فيه إستراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً»** (تك ٢: ٣) .

---

(١) الأب سهيل قاشا – التوراة البابلية ص ١٢٠، ١٢١

(٢) المرجع السابق ص ١٢١

والحقيقة أن المقصود مما ورد فى الأسطورة المعنى الحرفى، فالآلهة التى تأكل وتشرب وتتزاوج وتنسل، فلابد أنها تتعب وتنام كما حدث مع «أبسو» أبو الآلهة إذ أزعجته الآلهة الصغار بضجيجها فلم يعرف أن ينام ليلاً ولا يستريح نهاراً. أما الله فى سفر التكوين فهو منزَّه عن كل هذه الأمور المادية، وبالتالى فإنه منزَّه عـــن التعـــب «**إلــه الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكلُّ ولا يعيا**» (أش ٤٠: ٢٨) فقط أراد الوحى أن يعبر عن إرتياح الله للعمل الذى عمله وإنتهى بخلق الإنسان، ورأى الله أن ذلك حسن جداً، ولم يطلب الله فى سفر التكوين بناء بيت له كما حدث مع «إنكى» أو«مردوخ» لأنه هو الله غير المحدود مالئ السماء والأرض. إذاً شتان بين ما ذكره سفر التكوين عن راحة الخالق المعنوية، وما ذكرته الأساطير من خرافات لا يصدقها عقل الإنسان المعاصر.

٢١- **فى الأساطير نجد الآلهة هى التى تُعلّم الإنسان كل شئ**، ففى أحد الأساطير نجد آيا (إنكى) الحكيم له رأسان، فتحت رأس السمكة هناك رأس إنسان، وعند الذنب يخرج له ساقاً إنسان، وله صوت إنسان «فآيا هو أحكم الآلهة وسيد كل علم . . علَّم الإنسان فن الكتابة والعلوم وكل أنواع الفنون، من طين الأنهر جبل القرميد وعلَّم الحرفيين ذوى الرؤس السود كيف يبنون الجدران . . وعلَّمهم مبادئ التشريع والهندسة، وبنى حول كل مدينة سدوداً ليروى السهول فى فصل الجفاف فلا يُلفح القمح بشمس الظهيرة. كذلك علَّم الإنسان الزراعة والحصاد . . وفى التلال ساق الأغنام إلى المروج تتبعها صغارها وبنى لها الحظائر . . وعلَّم الأسماك فى النهرين العظيمين أن تبيض بين أعشاب النهر لتتوالد . . ولما إنحنت أعواد الشعير بثقل السنابل بنى آيا الصوامع وملأها بإنتاج الحقول وثمار البساتين . . وزين الحدائق بأشجار النخيل . . عند المغيب كان آيا يغطس فى البحر ويقضى طوال الليل تحت الأمواج، لأنه كان برمائياً، وأخيراً ألَّف كتاباً عن أصول الأشياء وعن الحضارة ووهبه للبشر. وبعد أن إنتهى آيا من تعليم الإنسان سبل الحياة إختفى»[١] .

---

(١) الأب سهيل قاشا – أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ١٢٩، ١٣٠

وكل الصور السابقة لا نجد لها أثراً على الإطلاق فى سفر التكوين، بل نجد أن الله خلق الإنسان على صورته فى الخلود والتفكير والإبتكار، فأخذ الإنسان يكتشف الوسط المحيط به، ويتعلَّم ويبتكر كل ما هو جديد إلى ما وصل إليه من علم حديث يدعونا للدهشة، وهذه هى عطية الله للإنسان.

٢٢- أى باحث يلاحظ أن أساطير الخلق رغم إختلافاتها فى بعض التفاصيل، إلاَّ أنها تتفق إلى حد بعيد فى الجوهر، وقد تقتصر الخلافات على مجرد تغيير أسماء أبطال الأسطورة، فيتغيَّر إسم «إنليـل» فـى الأسطـورة السومريـة إلى «مردوخ» فى الأسطورة البابلية، أيضاً إسم «إنكى» يتغير إلى إسم «آيا». أما قصة الخلق التوراتية فتختلف جوهرياً عما ورد فى الأساطير، وشهد بهذا فاضل عبد الأحد على الذى يقول «وقصة الخليقة هذه تتصدَّر وحدها الكتاب المقدَّس وتمثل أقصى ما بلغه الفكر اللاهوتى العبرانى من التطور والتقدم، فآراؤها جميلة رائعة ومعانيها سامية تكسبها مكانة خاصة بها، بالرغم من إختلافها كلياً عن بقية قصص الخليقـة الواردة فى الكتب الأخرى غير التوراة» (الطوفان ص ٤٩، ٥٠)(١).

٢٣- لاحظ الإنسان فى الأفق البعيد أن السماء تنحنى على الأرض، ولذلك إعتقد أنهما كانتا متطابقتان، وهذا يمثل تفكيراً بشرياً، أينما كان الإنسان، ولذلك لا عجب أن نرى أسطورة نيوزلاندية بهذا المعنى «ففى نيوزيلاند وناهيتى وجزر كوك، يروى السكان الأسطورة التالية: بعد أن إتحدت السماء بالأرض أنجبتا عدداً من الآلهة الصغار الذين كانوا يعيشون فى ضيق وظلمة لشدة إلتصاق السماء بالأرض، فقرَّروا التمرد على هذا الوضع بزعامة الإله الجرئ «تانى» الذى رفع السماء بقوة ذراعيه حتى إستقرت مكانها، ثم قال لتبق السماء بعيدة عنا. أما الأرض فلتبق قريبة منا، أُماً رؤوماً»(٢).

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٥

(٢) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص٣٠

فبالرغم من قرب هذه الأسطورة من أساطير بلاد الرافدين، لكن لم يقل أحد النُقَّاد أن النيوزلانديين أخذوا من هذه الأساطير السومرية أو البابلية، فلماذا يدَّعون أن سفر التكوين أخذ من هذه الأساطير . . ألم يكن بالأولى أن يأخذ أنبياء اليهود مـن أساطير البلاد التى حلوا فيها وهى البلاد الكنعانية ؟! ولكن هذا لم يحدث.

٢٤- لو أخذ سفر التكوين من أساطير الأولين فلماذا قاوم السحر والسحرة ؟
فيقول أ. م هودجكن «قالت مسز موندر Mrs Maunder – وهى حجة فى العاديات البابلية – فى أحد إجتماعات معهد فيكتوريا، أن من يقول بأن كاتب سفر التكوين قد تأثر بالأفكار البابلية يحكم على نفسه بالجهل بتلك الأفكار، فالكتاب المقدَّس لا يوجد به أى أثر لفكرة السحر الشائعة فى المعتقدات البابلية، فهو لهذا لم يستق أى معلومات من الأفكار البابلية»(١).

٢٥- ربط ميلاد وقيامة ميثهرا مع عيد ميلاد وقيامة السيد المسيح ربط غير صحيح، لأن شخصية السيد المسيح شخصية تاريخية حقيقية تجدها فى الكتاب المقدَّس، والقرآن أيضاً. بينما شخصية ميثهرا شخصية أسطورية لم يكن لها وجود على أرض الواقع، ولماذا أخذ الأستاذ عباس العقاد مع إحترامى الشديد لشخصه هذه الجزئية، وترك بقية ما جاء فى الأساطير الفارسية، وهل يصدق ما جاء عن زرادشت أنه سيأتى إثنى عشر مهدياً، يظهر كل ألف سنة مهدى، وفى عصر المهدى الثانى عشر ستكون القيامة ؟!

٢٦- **أقول للقيادات الكاثوليكية** التى تدَّعى بأن سفر التكوين أخذ من أساطير الأولين، لو كانت خلقة الإنسان أسطورة وليدة الشعوب الوثنية، فكيف أكدها السيد المسيح له المجد على أنها حقيقة وليست أسطورة «**وقال لهم أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وإنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأتـه ويكـون الإثنان**

---

(١) ترجمة حافظ داود – شهادة علم الآثار للكتاب المقدَّس ص ٢٠

جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد إثنين بل جسد واحد. فالذى جمَّعه الله لا يفرقه إنسان» (مت ١٩: ٤ – ٧) وهذه تقابل ما جاء فى سفر التكون **«ذكراً وإنثى خلقهم»** (تك ١: ٢٧) . . **«لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكونان جسداً واحدا»** (تك ٢: ٢٤) . فالطعن فيما ورد فى العهد القديم هو عدم تصديق لكلام السيد المسيح نفسه، بل وطعن فى الإيمان المسيحى، مهما قدموا من تبريرات لطريقة تفكيرهم العقلانية البعيدة عن منطق الإيمان.

٢٧- **عتاباً لأخوتى من الكتَّاب المسلمين**، الذى يسارعون بترجمة وبنشر أفكار مدرسة النقد الأعلـى، وهم يتغافلون أنهم فيما هم يهاجمون الحقائق الكتابية، كثيراً ما يهاجمون ما ورد فى القرآن ذاته مثل قصة الخلق «هو الذى خلق السموات والأرض فــى ستة أيام ثم استوى على العرش» (سورة الحديد ٤) . .» إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين» (سورة ص ٧١) .

وأيضاً لا يضع النقاد المسلمون فى إعتبارهم أن ليست كل الأمور الكتابية يستوعبها العقل، بل نقبلها بالإيمان، وهذا ليس فى الكتاب المقدَّس وحده، بل وفى القرآن أيضاً، وإلاَّ فليفسروا لى كيف يوجد الله فى كل مكان بالكامل ؟! وكيف ستقوم الأجساد فى يوم الدين ؟! . . يقول الدكتور سيد القمنى «لا شك سيجد أصحاب تلك الرؤية (الذين يستبعدون الأمور التى لا يقبلها العقل) عسراً شديداً فى قياس مواضيع إيمانية بحتة – لا شأن للعقل بها – . . مثل تحديد موقع حادثة الإســراء والمعراج من هذا المعقول، وهل نرفضها بمنطق رفض اللامعقول ؟ أم نبقى عليها بمنطق الإيمان ؟ . . ثم كيف نصف دابة البراق – التى حملت الرسول صلعم من مكة إلى القدس – تصنيفاً علمياً يضعها ضمن فصيلتها الحية، وكيف تحدد تحديداً دقيقاً أمة ياجوج وماجوج بين الشعوب، وتحديد مواطنها، وهى أمة يتحدد معها مصير العالم . . ثم لا شك أن أى مؤمن وأى شاكٍ، ستطيب نفسه إن تمكن من تفسير الحكمة الإلهية فى إهلاك شعب مقابل ناقة تلدها

صخرة !! كما لا جدال فى إيجاد تفسير معقول لإفناء قوم نوح . . سيكون مريحاً لكثير من النفوس الحيرى والقلقة، وغير ذلك كثير لا يعنينا زيادة السرد بشأنه شيئاً، لأنه ليس موضوع عقل، إنما كما قلنا هو موضول قبول أو رفض، موضوع إيمان»[1] .

وكيف يدَّعى هؤلاء الكتَّاب والنُقَّاد بأن التوراة حوت كثير من الأساطير، بينما القرآن شهد لها مراراً وتكراراً . . فهل شهد القرآن لكتاب أساطير ؟!

- «وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس» (آل عمران ٣، ٤) .

- «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون» (المائدة ٤٤) .

- «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله» (المائدة ٤٣) .

- «قل ياأهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم» (المائدة ٦٨) .

- «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتى هى أحسن. إلاَّ الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد» (العنكبوت ٤٦) .

- «فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فسل الذين يقرأون الكتاب من قبلك» (يونس ٩٤) .

٢٨- **تؤيد الإكتشافات الأثرية سفر التكوين**، ومن هذه الإكتشافات إكتشافات «أبلا» فى شمال سوريا، فقد وصلت مدينة إبلا إلى أقصى تقدم لها ٢٥٠٠ ق.م، وبلغ عدد سكانها

---

(١) الأسطورة والتراث ص ٢٦، ٢٧

٦٢٠ ألف نسمة، ودُمرت ٢٢٥٠ ق.م على يد نارام شن حفيد الملك سرجون العظيم، وفى مكان يدعى تل مردوخ قام عالِم الآثار «باولو ماثيا» ومُحلّل النقوش «جيوفانى باتينانو» سنة ١٩٦٤م بأعمال الحفر، وفى سنة ١٩٦٨م إكتشفا تمثال للملك إبيت – ليم، وعليه نقش يشير إلى عشتار الإلهة التى «نورها يسطع فى أبلا» كما تم إكتشاف ١٦ ألف لوح، وعلى إحدى الألواح قصة الخلق، وهى قريبة جداً مما جاء فى سفر التكوين. ووجدت فى هذه الألواح أسماء بعض المدن التى ذُكرت فى سفر التكوين مما يؤكد حقيقة تواجد تلك البلدان حينذاك مثل أور، وسدوم، وعمورة، بالإضافة إلى بعض الآلهة الوثنية مثل بعل، وبعض أسماء الأشخاص الذين وردت أسماؤهم فى سفر التكوين مثل آدم، وحواء، ونوح.

وتعتبر قصة الخلق التى جاءت فى ألواح أبلا، أقدم من قصة الخلق البابلية بنحو ستمائة سنة، وقد إعتقد أهل إبلا بأن الله واحد، هو الذى خلق السموات والأرض والقمر والنجوم، بينما إعتقد أهل بابل بأن هناك عدد ضخم من الآلهة، وقد خلق العالم نتيجة صراع هذه الآلهة.

وإعتقد أهل إبلا بأن الله خلق العالم من العدم، فجاء فى أحد الألواح «أنت هو سيد السماء والأرض، عندما لم تكن الأرض، أنت خلقتها، عندما لم يكن ضوء النهار، أنت خلقته . .» (Ebla Archives-259) . . لقد أثبتت إكتشافات إبلا أن الإصحاحات الإحدى عشر الأولى من سفر التكوين تعتبر من التاريخ، وليس من الأساطير، وقد قضت إكتشافات إبلا على زعم داروين (١٨٠٩ – ١٨٨٢م) وليوليوس ويلهوزن (١٨٤٤ – ١٩١٥م) بأن الإعتقاد بالتوحيد جاء نتيجة تطوُّر الفكر البشرى من الإعتقاد بتعدد الآلهة (راجع جوش مكدويل – برهان يتطلب قراراً ص ٣٤٣، ٣٤٤).

الفصل الثالث : قصة السقوط والأساطير

نتعرض فى هذا الفصل لبعض آراء أرباب النقد الذين إدَّعوا أن سفر التكوين أخذ من أساطير الأولين قصة جنة عدن، وقصة السقوط، ودور الحيَّة فى السقوط، ودور الكروبيم فى حفظ شجرة الحياة، ومعنى إسم حواء، وأيضاً نتعرض للإدعاءات بأن آدم عرف إمرأته قبل السقوط، وعاشر ليليت وأنجب منها عدة شياطين، وحواء أيضاً تزوجت بشيطان ٠٠ إلخ من خرافات وخزعبلات٠

وإننى مازلت أتعجب من أخوتى الكتَّاب المسلمين الذين من أجل نقدهم للعهد القديم، راحوا يتغافلون معتقداتهم ٠٠ أليست قصة آدم وحواء، وسكناهما الجنة، وغواية إبليس لهما، وخروجهما من الجنة ٠٠ إلخ أمور أكدها القرآن مراراً وتكراراً، فلماذا ينتقدون ما يعتقدون به ؟!!

س٢٨١ : هل أخذ سفر التكوين تصُّور جنة عدن من أساطير الأولين ؟

قال النُقَّاد توجد إسطورتان فى حضارة سومر تتحدثان عن الجنة، قد إقتبس منهم سفر التكوين، الأسطورة الأولى هى أسطورة العصر الذهبى وجاء فيها «فى تلك الأيام، لم يكن هناك حيَّة ولا عقرب ولا ضبع ٠٠ لم يكن هناك أسد ولا كلب شرس ولا ذئب ٠٠ لم يكن هناك خوف ولا رعب ٠٠ لم يكن للإنسان من منافس ٠٠ وكان العالم أجمع يعيش فى إنسجام تام ٠٠ وبلسان واحد يسبح الكل بحمد إنليل . .» [١].

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٩١

أما الأسطورة الثانية فهى أسطورة دلمون، وجاء فيها «أرض دلمون مكان طاهر، أرض دلمون مكان نظيف ٠٠ أرض دلمون مكان نظيف، أرض دلمون مكان مضئ ٠٠ فى أرض دلمون لا تنعق الغربان ٠٠ ولا تصرخ الشوحة صراخها المعروف ٠٠ حيث الأسد لا يفترس أحداً ٠٠ ولا الذئب ينقض على الحمل ٠٠ ولا الكلب المتوحش على الجدى ٠٠ ولا الخنزير البرى يلتهم الزرع ٠٠ حيث لا أحد يعرف رمد العين ٠٠ ولا أحد يعرف آلام الرأس ٠٠ حيث لا يشتكى الرجل من الشيخوخة ٠٠ ولا تشتكى المرأة من العجز ٠٠ حيث لا وجود لمنشد ينوح ٠٠ ولا لجوال يعول» (١).

ج : ١- معنى كلمة «جنة» أى بستان كبير وحديقة مزهرة، ومعنى كلمة «عدن» أى بهجة وسعادة وإن كانت أسطورة دلمون قد صوَّرت الحيوانات المفترسة على أنها آليفة بعيدة تماماً عن طابعها الوحشى، فإن أسطورة العصر الذهبى اختلفت معها لأنها تصوَّرت الحيوانات المفترسة والزواحف لم يكن لها وجود فى جنة عدن، ويقول الخورى بولس الفغالى «تخيَّلت الأساطير الأشورية جنة عدن بشكل بستان سحرى كانت تعيش فيه حيوانات داجنة أليفة بعد أن أبعدت الحيوانات المفترسة، وكان الإنسان فى هذه الجنة لا يعرف المرض ولا الشيخوخة» (٢) والتصوُّر الأخير لا أثر له فى سفر التكوين٠

٢- هناك أساطير بابلية صوَّرت الفردوس على أنه العيش فى سلام وعدالة، وإزدهار بناء المدن «وزع الإله (آيا) عدله بين المخلوقات وهكذا ساد فيها العدل وساد فيها السلام، وكان الإله (آيا) يرعى بحكمته حياة الإنسان الذى يعمل بجد للآلهة ويمجدها، وقد بنى معابد ومزارات لها٠ الإنسان الذى خلقه (آيا) بحكمته وريث الآلهة على الأرض، فساد الخير، وكان الإبن يحترم أباه، والبنت تحترم أمها، والأخ الصغير يحترم الأخ الكبير، والجاهل يخشى العارف ويهابه٠ كان المرء يحجم عن الشفاهة ويُكرِم الصغار، وكان يظهر الإحترام جلياً بين البشر، وعلَّم (آيا)

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٩٢

(٢) سفر التكوين ص ٨٠

الإنسان ضرورة الحكمة والإحترام ٠٠» [١] وواضح أن هذه الصورة لا وجود لها على الإطلاق فى جنة سفر التكوين، ففى جنة عدن لم يكن هناك بشر غير آدم وحواء فقط مع حيوانات الأرض وطيور السماء، ولم يكن هناك بيوت ولا مدن٠

٣- جاء فى الأساطير البابلية عن الفردوس «كان العشاق يملأون الأرض، والعدالة تسود، كان الراعى يحب حقله والفلاح يحب أرضه، ولم يكن هناك سيد وعبد، ولم يكن هناك حاكم ولا محكوم، فى تلك الأيام لم يكن ما هو شرير، ولم تكن الحيوانات شريرة، ولم يكن هناك خوف ولا رعب، لم يكن للإنسان ما ينافسة» [٢].

والحقيقة أن سفر التكوين لم يفصح عن الحياة فى جنة عدن إلاَّ بقدر قليل، فكيف كان يعيش الإنسان فى سعادة مطلقة ؟ وكيف كانت علاقته بالحيوانات والطيور ؟ وكيف عاش ملكاً متوَّجاً على الطبيعة وجميع مخلوقات الأرض ؟ ٠٠ ولكن ما نعرفه أنه شتان بين ما جاء فى سفر التكوين، وما جاء فى الأساطير من خيالات وآلهة تتزاوج وتلد وتتصارع، وعُشاق يملأون الأرض، لأنه لم يكن فى جنة عدن غير أبونا آدم وأمنا حواء فقط، فلو أن موسى النبى أخذ من هذه الأساطير فلماذا لم يذكر هؤلاء العشاق الذين يملأون الأرض ؟!٠

٤- جاء تصوير الأساطير للفردوس بهذه الطريقة كرد فعل للواقع المؤلم الذى عاشه الإنسان بعد السقوط، ومازال يحياه للآن، ويقول الدكتور كارم محمود عزيز «الجنة بما تحمله من معانى الخلود والرفاهية ورغد العيش، قد وردت فى القصة التوراتية وفى غيرها من قصص السقوط فى العالم، كمقابل للحياة البشرية بما تحمله من معانى الفناء والشقاء، فمؤلفوا أسطورة السقوط جميعهم لم يشهدوا الجنة ورغدها ٠ ولما كان الواقع من حولهم يقدم لهم

---

(١) خَزْعَل الماجدى – إنجيل بابل ص ١١٦، ١١٨

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢

شكلاً للحياة البشرية يتسم بالفناء والكد والعناء، ولما كان المعبر إلى هذا الشكل من أشكال الحياة فى تصوُّرهم هو الخطيئة والشرور، فقد كان من الضرورى اللجوء إلى الخيال الأسطورى لتصوُّر ذلك العالم الفردوسى الأول الذى عبر عنه الإنسان بخطيئته إلى حالته تلك، فقدم لهم الخيار الأسطورى صورة مثالية لما يمكن أن تكون عليه الحياة : الخلود - النعيم - رغد العيش، وهى أشكال مغايرة بالطبع لشكل الحياة الإنسانية المعاشة» [1].

ونحن نقرُّ قول الدكتور كارم محمود هذا بالنسبة للأساطير والخيال الفكرى، أما بالنسبة لما ذكره سفر التكوين عن الحياة الفردوسية وقصة السقوط، فهذه حقائق، وإن شك فيها الدكتور كارم فليرجع إلى كتابه الذى يشهد لهذه الحقائق (سورة البقرة ٣٥ - ٣٨) .

س٢٨٢ : هل أخذ سفر التكوين قصة سقوط الإنسان فى المعصية الأولى من أساطير الأولى ؟

ج : ١- قال النُقَّاد إنه عثر على ختم إسطوانى نقش على الطرف الأيمن منه رجل متميز بقرنين رمز القوة، وعلى الطرف الأيسر إمرأة، وبين الرجل والمرأة نخلة، وخلف المرأة تدلت حية، وقاربت رأسها رأس المرأة وكأنها تحادثها، وقد إمتدت يد المرأة تدعو الرجل للأكل من ثمار النخلة (راجع الأب سهيل قاشا - أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ٢٦٨، ٢٦٩، ودكتور سيد القمنى - قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ص ٥٧) كما يعلق فراس السواح على هذا الختم قائلاً «فهل يحكى لنا هذا الرسم فعلاً أسطورة السقوط الأصلية ؟ وهل سنجد فى المستقبل

---

(١) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١٦٥

النص الذى يحدثنا عنه ؟ فى الواقع أن شدة قرب الرسم للرواية التوراتية يجعلنى أميـل للرأى القائل بأن هذا الختم يصوّر لنا رواية فقدت نصوصها، وتظهر فى التورارة من جديد» [1].

والحقيقة أن هذا الختم يثبت حقيقة قصة السقوط، وإن هذه القصة قد وصلت بالتواتر لشعوب الأرض عن طريق نوح وأولاده، وليس معنى هذا الختم أن سفر التكوين أخذ من هذه الأسطورة، فالختم مثلاً لم يذكر الحديث الذى دار بين الحيَّة والمرأة، وقد ذكر سفر التكوين هذا الحديث. أما التشابه بين ما جاء فى الختم وسفر التكوين فيرجع كما قلنا مراراً وتكراراً إلى وجود أصل واحد للقصة، إحتفظ به التقليد اليهودى نقياً، بينما دمج مع الخرافات لدى الشعوب الوثنية، ويقول نيافة المتنيح الأنبـا إيسـيذورس أسـقف دير السـريان «وُجِد فى كتاب قديم فى قبيلة تقطن فى بلاد النرويج شمالى أوربا قصـة سـقوط الإنسان، وقد ترجمتهـا مدام «دى بوجا» إلى الفرنسية ونشرتهـا سنـة ١٨٤٠م وهـى بإختصـار تحكى عن «أيدهونا» غير المائية (إشارة لحواء) التى تسكن مع» براجى» (إشارة لآدم) فى أسكرد فى وسط العالم فى الفردوس، وكانت تعيش فى حالة البرارة، فسلَّم إليها الآلهة حراسة ثمار عدم الميتوتة (إشارة لشجرة الحياة) على أن «لولى» المحتال علة كل شر وممثل المبدأ الشرير (إشارة للشيطان) خدعها بثمار أخرى (إشارة لشجرة معرفة الخير والشر) قال إنه رآها فى غابة وأغراها بإتباعه لتجنى منها، فخطفها جبار (إشارة للسقوط) فلم تبق السعادة بعـد ذلك فى أسكرد (إشارة لنتائج السقوط)» [2] فالقصة السابقة تشرح قصة السقوط بطريقة أسطورية.

٢- يقول د. كارم محمود عزيز «وفكرة الغواية والخديعة أيضاً هى فكرة مشتركة بين النص العبرى والنصوص الفارسية على وجه الخصوص، ففى قصة «ماشيان» و «ماشيانج» ظهر لهما «أهريمن» فى صورة شيخ هرم، وأكل من ثمار الشجرة، فتبعاه ووقعا فى البلاء، وفى

---

(١) مغامرة العقل الأولى ص ١٩٩

(٢) المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية ص ٤٨٠، ٤٨١

قصة «يامة» سوّلت له نفسه، التى يمكن إعتبارها هنا بمثابة الشيطان، بمناظرة الإله، فجنى علـى نفسه وعلى ذريتـه، وكذلك فـى الروايـة السريانيـة التى ذكرها «بركوناتى» كـان الإله «نرسائى» العارى الواقف خلف الشيطان يمثل عنصر الغواية فيها ٠٠ وفى قصة «يامة» الفارسية، وكذلك قصة «ماشيا» و «ماشيناج» عوقبوا بتقرير الموت عليهـم، الأول بسبب تكبـره على الإله، والآخران بسبب غواية «أهريمن» لهما [1].

والحقيقة أن الدكتور كارم قد أغفل الفاصل الزمنى الطويل بين سفر التكوين الذى كُتب فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وبين الحضارة الفارسية فى القرن السادس قبل الميلاد ٠ ثم كيف يعتقد الدكتور كارم محمود أن قصة الغواية والسقوط أسطورة فارسية ؟ وما رأيه فيما ذكره القرآن عن قصة السقوط :

«وقلنا ياآدم إسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين٠ فأزلهمـا الشيطـان عنهـا فأخرجهما ما كان فيه ٠٠»(البقرة ٣٥، ٣٦) ٠

«ويا آدم إسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ٠٠ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وُرى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاَّ أن تكونا مَلَكين أو تكونا من الخالدين ٠ وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين٠ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهاكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين٠ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين٠ قال إهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين»(الأعراف ١٩ – ٢٤) ٠

---

(١) أساطير التورارة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١٨٨، ١٨٩

«فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدُلك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى • فأكلا منها فبدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى» (طه ١٢٠، ١٢١)•

٣- من الأساطير التى ذكرت قصة السقوط أيضاً أسطورة «آدابا» فيقول فراس السواح «أما سقوط الإنسان فتنقله لنا أسطورة أخرى وهى أسطورة» آدابا «وآدابا هنا هو الإنسان الأول الذى خسر الخلود بسبب غلطة»[1].

وجاء فى أسطورة «آدابا» أن أبيه الإله «آيا» هو الذى خلق إبنه «آدابا» بلا عيب» لقد زُود بالفهم الكامل لإنقاذ كلمة الآلهة على الأرض •• لقد أُعطى الحكمة ولكنه لم يُمنح الحياة الأبدية •• آيا خلقه ليكون أول البشر ورائداً لهم •• (وكان آدابا يخدم الآلهة فى منطقة أريدو) فكان خبازاً يصنع الخبز •• كان خبازاً يقدم الخبز لآريدو •• كان يقدم الطعام والماء كل يوم لآريدو •• كان يشرع مركبه ويصطاد السمك لآريدو •• آدابا بن آيا كان يؤوب كل مساء إلى بيته •• ويقصد بوابة المدينة فى نهاية كل يوم •• ويرسى مركبه على رصيفها فى ميناء القمر الجديد •• وذات مرة هبت الريح ودفعت بمركبه بعيداً •• فراح يضرب بمجدافيه بقوة •• لقد هبت ريح الجنوب وأغرقته•

(وعاقب «آدابا» الريح التى أغرقت مركبه قائلاً :)

سأكسر لك جناحيك، وما أن نطق فمه بذلك •• حتى كسر جناح الريح، وسبعة أيام •• لم تهب على الأرض •• «آنو» إستدعى وزيره «لابرات» قائلاً •• لماذا لم تهب رياح الجنوب فى الأيام السبعة الأخيرة •• فأجابه وزيره لابرات قائلاً : مولاى •• إن آدابا إبن آيا كسر جناح رياح الجنوب •• فلما سمع آنو هذا القول •• نهض عن عرشـه وصاح قائلاً : ليأتوا إليَّ به

---

(١) مغامرة العقل الأولى ص ١٩٤

.. وهنا عرف آيا بالأمر، وهو المطلع على مجريات السماء .. فألبس آدابا شعراً طويلاً .. وزوده بوشاح الحداد يضعه عليه .. وقال له : أى آدابا، ستمضى إلى آنو، الملك .. وفى صعودك ستأخذ طريق السماء .. وتقترب من بوابة آنو .. وسيكون فى حراستها «تموز» و «جزيدا» .. وعندما يريانك سيسألانك قائلين : أيها الإنسان .. من أجل من تبدو هذه الهيئة ؟ .. من أجل من ترتدى وشاح الحزن ؟ فتجيب .. لقد غاب عن الأرض إلهان .. ولذا تجدنى حزيناً عليهما، فيسألان : ومن هما الإلهان الغائبان ؟ فتجيب .. إنهما تموز وجيزيدا، وهنا سينظران لبعضهما .. وسيبتسمان ويقولا لك قولاً كريماً .. وسيتحدثان من أجلك فى حضرة آنو .. وسيقفان إلى جانبك لدى مثولك أمام آنو .. ولسوف يقدم لك طعام الموت .. فلا تأكله، وشراب الموت سيقدم إليك .. فلا تشربه، وسيعطونك عباءة .. فإلبسها، وزيتاً فإدهن به نفسك .. هــذه وصاياى فأعمل بها ..

(وفعلاً إلتقى «آدابا» مع حارسى بوابة «آنو» وهما «تموز» و «جيزيدا» وكسب تعاطفهما معه، ووقف «آدابا» أمام «آنو» وحصل على البراءة، بل أراد «آنو» أن يكافئه فقال :)

فماذا يصنع به ؟ هاتوا له .. بطعام الحياة ليأكل منه .. فجلبوا طعام الحياة، ولكنه لم يقربه. وشراب الحياة .. فلم يشرب منه. وعباءة .. جلبوا له فلبسها، وزيتاً .. جلبوا له فدهن نفسه .. فنظر «آنو» إليه وضحك منه : .. تعالى إليَّ يا آدابا . لماذا لم تأكل ولم تشرب .. أليست صحتك على ما يرام ؟ : «لقــد أمرنــى آيــا سيدى .. ألاَّ آكل أو أشرب» .. خذوه وأعيدوه إلى الأرض»[1] .

(راجع أيضاً سلسلة الأساطير السورية – ديانات الشرق الأوسط ص ٣٤٢ – ٣٤٦) .

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٩٥ – ١٩٨

ثم يقول فراس السواح» وهكذا فعل «آيا» كما فعل يهوه فى الأسطورة التوراتية · لقد خلق الإنسان وحجب عنه الخلود، صنعه كاملاً وحكيماً وسيداً ولكنه دفعه للخطيئة المميتة، لأن الحياة الأبدية يجب أن تبقى وقفاً على الآلهة وحدهم · ونستطيع أن نلمح تشابهاً بين العباءة التى أعطيت لآدابا ليلبسها، وبين الردائين اللذين أعطيا لآدم وزوجه ليلبساهما عشية خروجهما من الجنة { **وصنع الرب الإله لآدم وإمرأته أقمصة من جلد وألبسهما** }»[1]·

ويرى الأب سهيل قاشا أن هناك تشابها بين قصة آدابا وقصة آدم فى الآتى :

أ - أخطأ آدم وأكل من الشجرة المحرمة، وحطم آدابا جناحى ريح الجنوب·

ب- فى قصة آدم ترى شجرة الحياة المحرمة، وفى قصة آدابا ترى خبز الحياة وماء الحياة المحرمان·

جـ- عصى آدابا الإله «آنو» وعصى آدم الإله يهوه·

د - خرج آدابا من السماء وعاد إلى أرضه، وخرج آدم من الفردوس إلى الأرض·

هـ - لحقت بالإنسان فى القصتين خيبة أمل شديد بسبب العصيان، سواء من الأكل من شجرة الحياة وهو ما فعله آدم، أو برفض الأكل من طعام وماء الحياة وهو ما فعله آدابا·

و - بسبب نصيحة آيا رفض آدابا أوامر «آنو» إله السماء، وبسبب الحيَّة رفض آدم وحواء أوامر يهوه (راجع أثر الكتابات البابلية مع المدوَّنات التوراتية ص ١٧١، ١٧٢) ·

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٩٨

عندما رأى فراس السواح أن هناك تشابهاً بيـن قصة آدابا وقصة سقوط آدم، بنى رأيه هذا على ثلاث نقاط، نناقشها بإختصار :

أ - حجب يهوه الخلود عن الإنسان، و «آيا» حجب الخلود عن «آدابا» والحقيقة أن الإنسان خُلق لكيما يكون خالداً، فالله وهب الخلود للإنسان، ولكن ما خسره آدم هو الحياة الفردوسية، وليس الخلود، لأنه بعد الموت هناك قيامة سواء للأبرار أو الأشرار، والجميع سيخلدون كلٍ إلى مكانه، سواء أن كان الملكوت السماوى أو جهنم النار ·

ب – لم يدفع الله الإنسان للخطيئة المميتة كما إدعى فراس السواح، إنما الإنسان إختار بمحض إرادته وكامل وعيه طريق الموت، ومع هذا فإن الله رحمه وفداه، وأعاده ليس إلى رتبته فقط، بل رفعه إلى الملكوت السماوى.

جـ- أقمصة الجلد التى صنعها الله لآدم وحواء كان الهدف منها ستر عرى آدم وحواء اللذان فشلا فى ستر عريهما، أما العباءة التى إرتداها آدابا فلم يرتديها لستر عريه·

أما الأب سهيل قاشا الذى ذكر ستة أمور متشابهة، فإنه لم يذكر أوجه الخلاف بين القصتين وما أكثرها، فمثلاً :

أ - شتان بيـن آلهة الأساطير وإله سفر التكوين، فآلهة الأساطير تتزاوج وتلد، فآيا يلد آدابا، وآلهة تخاف من العقـوبة مثل آدابـا الذى خشـى «آنو» إله السماء ·

ب – أخطأ آدم عندما خالف الوصية الإلهية وأكل من شجرة معرفة الخير والشر، أما آدابا فلم يعصى الإله «آنـو» لأن «آنـو» لم يعطه أمـراً بأن لا يكـسر جناح الريح·

جـ- كان هناك وصية إلهية لآدم بأن لا يأكل من شجرة معرفة الخير، بينما لم تكن هناك أية وصية لآدابا حتى لا يأكل من خبز الحياة وماء الحياة، فشجرة الحياة كانت محرَّمة بوصة إلهية٠ أما خبز وماء الحياة فلم يحرمهما لا «آنو» إله السماء ولا «آيا» ٠

د - لم يعصى «آدابا» الإله «آنو» لأن «آنو» فقط قدم له خبز وماء الحياة، دون أن يأمره بالأكل منهما، بل ترك له حرية الإختيار، أما آدم فقد أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها٠

هـ- ذهب «آدابا» فـى مأمورية محددة للسماء، وهى أن يقدم جواباً عما صنع، فلم تكن السماء موطنه وتركها إلى الأرض ٠ أما آدم فقد عاش فى الفردوس كموطن له، ثم طُرد منه نتيجة معصيته٠

و - الذى حرَّض الإنسان على السقوط فى المخالفة هو إبليس بغواية الحيَّة٠ أما« آيا» فلم يحرض إبنه «آدابا» على رفض الخلود ٠

ز - ظن «آيا» خطأ أن «آنو» سيقدم له خبز الموت وماء الموت، وهذا لم يحدث، فيظهر هنا جهل «آيـا» بالمستقبل، ويطيع «آدابا» أباه «آيا» دون تمييز، فيظهر جهله وفقدانه للتمييز، وهذه ليست صفات آلهة٠

س٢٨٣ : هل أخذ سفر التكويـن دور الحيَّة فى السقوط من أساطير الأولين ؟ وهل الحيَّة كانت رسولاً من الله تحمل خبز الخلود لآدم، ولكنها هى التى سلبت الخلود لنفسها ؟

ج : ١- يرى الخورى بولس الفغالى أن الحيَّة ترمز لدى الكنعانيين للقوى الخفية التى يرهبها الإنسان، وتعلو تاج الآلهة والملوك عند المصريين، وهى التى سلبت من جلجامش نبات الخلود

لدى البابليين (راجع البدايات أو مسيرة الإنسان إلى الله ص ٩٣) كما قال أن كاتب سفر التكوين أخذ من خرافات عصره «الحيَّة تتميَّز عن سائر الحيوانات بذكائها الحاد، ولكنها لا تُجسّد فى أى حال من الأحوال قوة شيطانية كما كان الأقدمون يعتقدون وكل ما فى الأمر هو أن الكاتب إنطلق من خرافة عن عالم الحيات وحكمتها»[١] كما يقول أيضاً «الحيَّة ليست فقط التى سرقت جلجامش، وحية الكنعانيين السحرية، والحيَّة التى تعارض الشمس فى عالم مصر، وليست الحيَّة السياسية التى هى شعار يُرسم على جبين فرعون فيدل على القدرة السياسية والدبلوماسية • الحيَّة هى كائن محتال (تك ٣ : ١)»[٢].

ويقول أيضاً بولس الفغالى عن الحيَّة «لماذا جعل الكاتب الحيَّة تتكلم ؟ لأن خبرة البرية علَّمته الكثير عن هـذا الحيوان المحتال الذى كثيراً ما يجلب معه الموت • إن الحيَّة هى بالنسبة إلى اليهودى المؤمن، رمز عبادة الأوثان، وقد وقع فيها مراراً مقتفياً عادات الكنعانيين، وعندما يذكر الكاتب الحيَّة فهو يُعبِّر عن إحتقاره لإله يعبده الكنعانيون»[٣].

والحقيقة أن موسى النبى لم يتأثر بمعتقدات المصريين الذى تربى بينهم وعاش معهم حتى بلغ الأربعين من عمره، لأنه لو تأثر موسى بتقديس المصريين للحية، ونظرتهم لها على أنها رمز للقدرة السياسية، ما كان صوَّرها كرمز للخداع والإحتيال، ولكن كون موسى يُظهِر الحيَّة بهذه الصورة البشعة ودورها فى سقوط الإنسان، فهذا يؤكد أن الكاتب لم يتأثر قط بمعتقدات وخرافات وأساطير عصره•

والحقيقة أن سفر التكوين عندما سجل دور الحيَّة فى قصة السقوط لم يكن يعكس كراهية الكاتب لعبادات الكنعانيين، لأن موسى النبى عندما كتب سفر

---

(١) سفر التكوين ص ٦٨

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدَّس جـ ٢ ص ٥١

(٣) سفر التكوين ص ٩١

التكوين فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد فى صحراء سيناء، لم يكن قد ذهب إلى أرض كنعان، ولم يعايش الكنعانيين·

وإن كان الإنسان قد عبد الحيَّة، فهذا ليس بأمر غريب، لأن الإنسان عبد حيوانات وزواحف أخرى، مثلما عبد المصريون القدماء عجل أبيس، والتمساح، ومثلما عبد الهنود البقر وحتى الفئران ·· إلخ ولماذا نتعجب، وحتى هذا اليوم يعبد الإنسان بعض الحيوانات، بل يعبدون الشيطان ويقدمون له الذبائح فى بلاد الحريات·

والكاتب لم يجعل الحيَّة تتكلم، ولا تهيأ له هذا، ولم يكن هذا جموح فى الخيال، إنما الحيَّة تكلمت فعلاً، والذى جعلها تتكلم أو تكلم على لسانها هو إبليس «الحيَّة القديمة» (رؤ ١٢ : ٩)·

٢- قال الدكتور سيد القمنى «وفى القصيدة الفارسية القديمة، نجد فى الفصل الثالث من كتاب Bundahesh أن (إهرمان) إله الشر تشكَّل بهيئة الحيَّة وملأ الوجود كله، ثم أرسل سمومه فى كل شئ، ولم ينهزم حتى هبط هرمز إله الخير إلى الأرض وأعاده إلى قراره»[١]

والحقيقة أن ما جاء فى القصيدة الفارسية السابقة بأن إله الشر تشكَّل بشكل الحيَّة، وقد أرسل سمومه فى كل شئ، حتى هبط إله الخير «هرمز» وأعاده إلى مكانه، نقول أنه لا يوجد أى أثر فى سفر التكوين لمثل هذا التصوُّر، عندما ذكر قصة السقوط، ولم يذكر سفر التكوين ولا أى سفر آخر أن إلهاً أو ملاكاً أعاد إله الشر إلى مكانه، لأن الشر مازال يعيش فى العالم وسيعيش حتى المجئ الثانى والحكم عليه، وكل ما ذكره سفر التكوين هو أن الله عاقب الحيَّة، وبالسقوط إنتشر الشر وإستشرى، ومع هذا فإنه كان دائماً هناك أبناء الله الأمناء الذى إنتصروا على عدو الخير·

---

(١) الأسطورة والتراث ص ٥٦

٣- إدعى ليوتاكسل أن سفر التكوين أخذ من أساطير الأولين بدليل إنه جعل ببساطة الحيَّة تتكلم، كما إعتقد أهل بابل بأسطورة السمكة التى تكلمت، فقال» إن أول ما يثير الدهشة فى هذه القصة هو، أن حديث الحيَّة مع المرأة ·· لم يقدمها المؤلف لنا حدثاً خارقاً عجيباً، أو رمزاً ·· إن المؤلف يرى هذا الحيوان الزاحف بعينى أتباع مختلف الديانات، فالقدماء إعتبروا الحيَّة حيواناً فى غاية الخبث والدهاء والأذى، وقد عبدتها بعض القبائل الإفريقية·

من جهة أخرى، نستطيع أن نصادف الحيَّة المتكلمة فى مختلف آداب الشرق، ومن المعروف أيضاً أن الميثولوجيات قد إزدهرت فى آسيا، مليئة بالحيوانات الناطقة، فعند الكلدانيين مثلاً، كانت السمكة أدانيس تُخرِج رأسها من مياه نهر الفرات كل يوم لتلقى مواعظها الطويلة على الذين يتجمعون عند الشاطئ، وكانت تعطيهم مختلف النصائح والإرشادات، وتعلمهم الغناء والزراعة»[١]

والحقيقة أن قصة الحيَّة التى كلَّمت أمنا حواء كانت متداولة ومعروفة ولذلك ذكرها موسى النبى كخبر عادى دون أن يظهر دهشته من هذا، لأن هذا ما حدث، وهناك خبر مشابه لهذا فى سفر العدد، وذكره موسى النبى أيضاً ببساطة شديدة، وهو نطق حمارة بلعام، وإن إحتج أحد قائلاً ولكن الله هو أنطق حمارة بلعام «**ففتح الرب فم الآتان فقالت لبلعام ··**» (عد ٢٢ : ٢٨) فقول له والشيطان هو الذى نطق على لسان الحيَّة، ولا يوجد فى الكتاب المقدَّس كله ما يشير إلى أن الشيطان ليست لديه هذه المقدرة، ولماذا نتعجب ولليوم نرى بعض الذين عليهم أرواح نجسة ينطقون بصوت غير صوتهم، فإمرأة عليها روح نجس تتحدث بصوت رجل، ورجل يتحدث بصوت طفل صغير وهلم جرا·· ولو كان موسى النبى أخذ من

(١) هل التوراة كتاب مقدَّس أم جمع من الأساطير ص ٢٢ - ٢٤

أساطير الكلدانيين فلماذا لم يجعل السمكة تتكلم عوضاً عن الحيَّة ؟!! ولماذا غيَّر دور الخير الذى قامت به السمكة المتكلمة إلى دور الشر الذى قامت به الحيَّة المتكلمة ؟!٠

وأيضاً يتساءل ليوتاكسل : لـو أن الحيَّة تكلمت فلماذا كفت عن الكلام الآن، مع أن الحرمان من الكلام لم يكن من العقوبات التى أوقعها الله على الحيَّة ؟ (راجع التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير ص ١٣٨) نقول له أن الشيطان نطق على لسان الحيَّة بهدف معين وهو إسقاط الإنسان فى المعصية الأولى، وقد تحقق هدفه، وصارت خطته مكشوفة للكل، فلم يعد هناك فائدة لإعادة الكرَّة والنطق على لسان الحيَّة ثانية٠

٤- إدَّعى جيمس فريزر أن الحيَّة كانـت رسولاً من الله يحمل لآدم خبر الخلود، ولكنها سلبت هذا الخلود لنفسها، ولذلك فهى تنسلخ من جلدها وتجدد حياتها، لكن كاتب سفر التكوين أخذ هذه القصة التى روتها الأساطير وشوهَّها، فيقول» هذه الرواية (المتوارثة من الفلكلور الشعبى) تشير دون دليل على أن الحيَّة فى الحكاية الأصلية التى أفسدها الكاتب اليهودى وشوهَّها، كانت رسولاً من الله للإنسان يحمل إليه نبأ الخلود السار، ولكن هذا المخلوق الماكر إستغل الرسالة لصالح نوعه ولدمار البشر ٠ أما منحة الكلام التى إستغلتها الحيَّة من أجل تحقيق غرضها الخبيث فقد زودها الإله بها لتكون قادرة على تبليغ رسالته إلى الإنسان ٠٠ أنبت (الله) فى وسط الجنة شجرتين عجيبتين، تحمل كل منهما فاكهة من كل نوع، وتجلب فاكهة أحديهما الفناء لآكلها، بينما تكسب ثمار الشجرة الثانية الخلود لمن يأكل منها، وبعد ذلك أرسل الحيَّة برسالة لكل من الرجل والمرأة تقول لهما : لا تأكلا من شجرة الفناء، ففى اليوم الذى تأكلان فيه من فاكهتها يكون مصيركما الموت المحتوم٠ على أن الحيَّة التى كانت أكثر الحيوانات مكراً فكرت وهى فى طريقها إلى الرجل والمرأة فى أن تغير فحوى الرسالة، فلما وصلت إلى الجنة السعيدة حيث وجدت حواء بمفردها قالت لها { إن الله يقول : لا تأكلا من شجرة الحياة، لأنه سيُقضى عليكما بالموت المحتم فى اليوم الذى تأكلان فيه منها، ولكن كلا من شجرة الفناء لتعيشا

إلى الأبد، وصدقتها المرأة الحمقاء وأكلت من الفاكهة المهلكة، وأعطت منها لزوجها فأكل منها كذلك ٠ أما الحيَّة الماكرة فقد أكلت من ثمار شجرة الخلود ٠٠ ولو أن الحيَّة لم تشوّه رسالة الخالق ولم تخدع أمنا الأولى لمُنحنا الخلود بدلاً منها ٠ ذلك إننا كنا سنغير جلودنا فى كل عام كما تفعل الحيَّة، ومع تغيرّها نتجدَّد شباباً على الدوام»[1]

تعليق :

١- كما قلنا من قبل أن أدب الشرق الأدنى القديم إعتاد على التطويل والإضافة، فالقصة البسيطة يضيف إليها من خياله فتصير أسطورة، وليس من المعقول أن موسى النبى إختزل الأسطورة أو الأساطير العديد لتصبح قصة بسيطة، ويقول جيمس فريزر «ويبدو أن قصة سقوط الإنسان التى تُروى فى الفصل الثالث من سفر التكوين، تعد رواية مختصرة لهذه الأسطورة البدائية»[2] فهو يعترف أن ما ذكر فى سفر التكوين هو القصة البسيطة، إذاً طبقاً لما إستقر عليه علماء الأدب تكون هذه القصة هى الأصل الصحيح، ثم أضيف إليها بطرق شتى فكانت الأساطير المختلفة المتضاربة٠

٢- دعت الأساطير شجرة معرفة الخير والشر شجرة الفناء، وهذا مخالف للحقيقة، لأن الإنسان أكل منها ولم يفنى، إنما دخل الشر إلى حياته وفسدت طبيعته، وسرى عليه حكم الموت، وليس الفناء، لأن بعد الموت قيامة، وآدم الذى أكل من هذه الشجرة ستراه البشرية فى اليوم الأخير، فهو لم يفنى ولم يضمحل٠

٣- قالت الأسطورة أن كل شجرة من شجرتى الحياة، ومعرفة الخير والشر، تحمل كل منهما فاكهة من كل نوع، بينما حدد سفر التكوين أن كل

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ١٥٠ - ١٥٢

(٢) المرجع السابق ص ١٨٣

شـجرة لا تثـــمر إلاَّ ثمـــراً واحـداً مـن نفـس النـوع **«وشــجراً ذا ثمـــر يعمـل ثمـراً كجنســه»**(تك ١ : ١١) ٠

٤- الـذى نهى آدم وحواء عن الأكل من شجرة معرفة لخير والشر هو الله ذاته، وبطريق مباشر، ولم يبلغهما الخبر عن طريق وسيط آخر كالحيَّة أو غيرها٠

٥- تقول الأسطورة عن الحيَّة «فلما وصلت إلى الجنة السعيدة» ٠٠ إذاً أين كانت تعيش الحية ؟ هل فى السموات مع الله ؟!!

٦- تقول الأسطورة عن حواء أنها أمنا الأولى، ثم تنعتها بالحمقاء، وهذا لا يليق٠

٧- راح جيمس فريـزر يحكى عـن أساطيـر شتى، فقبائل «الناماكوا» أو «الهوتنتوت» تعتقد أن القمر أراد أن يبلغ الإنسان بنبأ خلوده فأرسل إليه الأرنب قائلاً لهم «كما إننى أموت ثم أعود إلى الحياة فإنكم ستموتون وتعودون إلى الحياة مرة أخرى كذلك «ولكن الأرنب حرَّف الرسالة قائلاً للبشرية كما أننى أموت ولا أعود إلى الحياة مرة أخرى، فإنكم كذلك ستموتون ولا تعودون إلى الحياة مرة أخرى» فغضب عليه القمر، ورماه بعصا فشقت شفته، وأسرع الأرنب بالهرب، وللآن مازال الأرنب يجرى بسرعة٠

وفى أسطورة أخرى لقبيلة «ناندى» أن القمر كلف الكلب بإبلاغ رسالة الخلود للإنسان، ولكن الكلب وضع شرطاً للإنسان بأن يُقدم له اللبن والجعة، ولأن الإنسان قدم له اللبن فى وعاء يتبول فيه، لذلك غضب الكلب وأبلغ الإنسان أنه بعد الموت لن يعود أحد للحياة إلاَّ القمر الذى يعود بعد موته فى اليوم الثالث، وفى أسطورة ثالثة لقبال «تانى برشمان» أن القمر أرسل السلحفاة لتبلغ الإنسان رسالة الخلود، ولكن بسبب بطء السلحفاة وضعف ذاكرتها، عاد وأرسل الأرنب، الذى أبلـغ الرسالة مغلوطة، وعندما وصلت السلحفاة بعده أبلغت الرسالة الصحيحة،

فغضب الناس على الأرنب، ورماه أحدهم بحجر فشق شفته العليا، وفى أساطير أخرى كان الرسول الذى يحمل الرسالة حشرة، أو شاة، أو عنزه، أو ضفدعة، أو حرباء، أو سحلية ٠٠ إلخ (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ١٥٢ – ١٦٦) ومن الواضح أننا لا نجد أى أثر فى سفر التكوين لمثل هذه الأساطير ولا لهذه الحيوانات والزواحف والحشرات التى أبلغت الرسالة، كما أن لو القمر شق شفة الأرنب، فطبقاً لقوانين الوراثة لا تخرج ذريته مشقوقة الشفاة، وإن كان فريزر يعلل هروب الأرنب بسرعة خوفاً من القمر، فبماذا يعلل هروب الغزال ؟!

٨- تقول الأسطورة لو أبلغت الحيَّة الرسالة صحيحة لحُزنا الخلود بتغيّير جلودنا كل عام حتى يتجدد شبابنا، ولا أدرى هل كنا سنصير حيَّات ؟! ٠٠ وقد أورد جيمس فريزر عدة أساطير عن خلود الحيات، فقال إن الإله «ليزا» فى إحدى الأساطير وجد كل الكائنات نائمة ما عدا الحيَّات، وعندما سأل الكائنات : من منكم يرد ألاَّ يموت ؟ قالت الحيَّات : أنا أرغب فى هذا، ولذلك حصلت هى فقط على الخلود عن طريق تغيير جلدها ٠

وفى أسطورة أخرى إن الله وجه ذات السؤال (عن الخلود) وللأسف فإن هناك إمرأة عجوز تدهورت قواها العقلية مثَّلت الجنس البشرى، فلم تستمع لكلام الإله، بينما سمعت الحيَّات وحصلت على صفة الخلود، وفى أسطورة ثالثة أن الخالق هبط على الأرض يستطلع أحوال الإنسان، ولكن الناس حاولوا أن يقتلوه، ولذلك حرمهم من الخلود، وفى أسطورة رابعة أن الخالق مكث على الأرض فترة بين الناس، ثم إستقل قارباً ليعبر به الشط الآخر من البحر المالح الشاسع، وعندما تجاوز الشاطئ قليلاً قال للبشر : إنكم ستغيرون جلودكم، فأجابته إمرأة عجوز بسخرية قائلة : آه، فغضب الخالق وقال : إنكم ستموتون، وفى أساطير أخرى أن إمرأة عجوز ذهبت إلى النهر وغيرَّت جلدها وعادت للشباب، فلم يتعرف عليها ذويها، فعادت للنهر وإستردت جلدها القديم ٠

وفى إحدى الأساطير أن «نحبك هوانج» أرسل رسالة للناس ليغيّروا جلودهم عندما يهرمون، أما الحيَّات عندما تهرم ستموت، وأبلغ الرسول الرسالة الصحيحة، ولكن تصدى لها عدد من الثعابين قائلين له : أعد كلامك وإعكس العبارة وإلاً لدغناك، فخاف الرسول وأعاد العبارة بعد تغييرها، وبهذا حصلت الحيَّات على الخلود وصار الإنسان يموت ولا يقوم ٠٠ إلخ٠ (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ١٦٦ - ١٨١) ٠

ولا نجد أثر لمثل هذه الخرافات فى العهد القديم، وإن الحيَّات ليست بخالدة، ولو كانت الحيَّات خالدة لاكتظ عالمنا بالحيات، ولكنها تموت وتفنى بينما الإنسان وإن مات فإنه لا يفنى، وكل ما يحدث للحيَّات فى حياتها أن جلدها الخارجى لا يتمدد مع نمو الجسم، فلهذا تنسلخ عنه عدة مرات، ولكن نهايتها المحتمة هى الموت والإنحلال٠

س٢٨٤ : هل أخذ سفر التكوين الأنهار الأربعة، وشجرة الحياة، والكروبيم، وإسم حواء من أساطير الأولين ؟

ج : ١- قال الأب سهيل قاشا إنه تم إكتشاف» رسم جدارى ٠٠ بالألوان فى قصر الملك زمريلم فى مدينة مادى (القرن الثامن عشر قبل الميلاد) فنحن نشاهد فى وسط المشهد ضمن أفريز مستطيل الملك زمريلم وهو يتسلم شارات الحكم من الآلهة عشتار، ويظهر تحت ذلك أفريز آخر بالحجم نفسه يُصوّر إلهتين تقف كل منهما مقابل الأخرى وهى تحمل وعاء يتدفق الماء منه على شكل جداول أربعة تتشعب وتتلاقى بعضها مع البعض الآخر، وفى طرفى المنظر نشاهد نخلة وشجرة محورة عالية، وأخيراً نشاهد أربعة حيوانات، إثنين على كل جانب وهى تقف أمام الشجرة العالية لحراستها٠ إن هذا المشهد الجدارى بجداوله الأربعة المتدفقة، وبحيواناته

الخرافية التى تحرس الشجرة العالية تدعو الباحث إلى إستذكار جنة عدن فى التوراة : أنهارها الأربعة أيضاً والكروبيم Cherubim التى أقامها الرب شرقى جنة عدن لحراسة شجرة الحياة · تُرى هل إن هذا التشابه مجرد صدفة، أم إنه فى الواقع دليل آخر مادى فى هذه المرة»[1].

والحقيقة أن وجه المقارنة هنا لا ينبغى أن يكون بين زمن هذه الجدارية فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وبين تاريخ تدوين سفر التكوين فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ثم ننتهى بنتيجة خاطئة وهى أن سفر التكوين أخذ من أساطير الأولين، لا يجب أن تؤخذ الأمور هكذا، فالمقارنة يجب أن تكون بين تاريخ هذه الجدارية، وتاريخ وقوع الحدث نفسه، وبلا شك فإن الحدث نفسه هو الأقدم أقدمية مطلقة، ومنه أخذت الشعوب الكثيرة، فالحدث لحقه بعض الإضافات والتشوهات بينما إحتفظت به الأمة اليهودية الدقيقة الأمينة نقياً، وسجله موسى النبى بالوحى الإلهى مطابقاً للأصل تماماً، والدليل على هذا ما تلاحظه ياصديقى من إختلافات بين ما ورد فى سفر التكوين وما ورد فى هذه الجدارية مثل :

أ - الذى خلق جنة عدن بأنهارها الأربعة هو الإله الواحد، بينما تظهر الجداول الأربعة فى الجدارية نتيجة تدفق الماء من إلهتين وهذا ما يبرز تعدد الآلهة المجافى للحقيقة·

ب- لماذا لا نقول أن الجداول الأربعة تشير إلى جهات الأرض الأربع، وليس لأنهار جنة عدن ؟!!

جـ- أوجد الله فى جنة عدن شجرتين أحدهما شجرة المعرفة والأخرى شجرة معرفة الخير والشر، بينما رُسِم فى الجدارية شجرة ونخلة، والنخلة لم تكن طرفاً فى حدث السقوط قط·

(١) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ١٦٢، ١٦٤

د - الذى حرس شجرة الحياة بعد طرد آدم وحواء هو الكاروبيم وليس أربعة حيوانات، فهذا ملاك روحانى وتلك حيوانات مادية.

هـ- لم يظهر فى الجدارية أهم ما فى الموضوع، وهو آدم وحواء أثناء طردهما من جنة عدن .. إلخ.

٢- يرى الأب سهيل قاشا أن أول من تصوَّر الملائكة هم البابليون، فيقول «نعرف أن التخيُّل عن رسل الإله أى الملائكة منشؤة بابل أيضاً، ولا يذكرهم المصريون القدامى البتة، وكذلك صور الكاروبيم والساروفيم والملائكة الحارسين الذين يرافقون الإنسان ترجع فى أصلحها إلى بابل»[١].

ويتساءل ليوتاكسل ساخراً كيف يمسك الملاك الروحى سيفاً مادياً ؟ فيقول «ولكن من هو الحارس المزعوم ؟ فالنص اليهودى القديم لسفر التكوين يستخدم كلمة «كيروب» وهى تعنى «ثوراً» وقد إشتقت من كلمة «كاراب» أى يحرث. لقد أخذ اليهود عن البابليين كثيراً من العادات والتقاليد المتصلة بالدين، فصنعوا ثيراناً كبيرة، وصنعوا ما يشبه أبا الهول، وحيوانات معقدة وضعوها فى معابدهم. وكانت تلك الصور ذات وجهين : إنسانى، ووجه ثور، وكانت لها أجنحة وأرجل بشرية، وأطراف ثور . ثم جاء اللاهوتيون المسيحيون وجعلوا الكيروب» كيروبيم» والكيروبيمات عندهم ملائكة فتية لا جسم لها، وليس لها شئ سوى رؤوس أطفال، واضحة صغيرة .. أما إذا كيروبيما مسيحياً، لا جسد له، ولا يدين، فإنه سيمسك السيف الملتهب بأسنانه، وستكون هذه هى العلامة التى تميزه»[٢].

والحقيقة أن ورود الملائكة فى الأساطير الأولى لا يعنى على الإطلاق أن سفر التكوين أخذ من هذه الأساطير، لأننا لو أخذنا بالقياس، فمعنى هذا أن ورود إسم الجلالة فى الأساطير الأولى

---

(١) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ٢٧٠

(٢) هل التوراة كتاب مقدَّس أم جمع من الأساطير ؟ ص ٣٩، ٤٠

يعنى أن التوراة أخذت فكرة وجود الله من الأساطير، وهذا غير حقيقية، فالله كائن وملائكته قائمون حوله يسبحونه قبل تدوين التوراة، وقبل الأساطير، بل وقبل خلقة العالم المادى كله.

ورداً على قول ليوتاكسل بأن كلمة «كيروب» تعنى ثوراً، وهى مشتقة من كلمة كاراب أى يحرث، فهو قول غير واضح، لأنه ما هو وجه الشبه بين ملاك من الملائكة وبين ثور يشد محراث يحرث الأرض ؟!! ولم يوضح أصل الكلمة، بينما كلمة» كروب» كلمة عبرية معناها «ذو الحكمة» وجمعها كاروبيم، وهى طغمة من الطغمات الملائكية مثلهم مثل السرافيم وسائر الملائكة، وليست المسيحية هى التى جعلت الكاروبيم ملائكة، بل هذا واضح أيضاً فى العهد القديم، فالذى حرس طريق شجرة الحياة هو كاروب يحمل سيفاً ليس سيفاً عادياً، إنما سيف يظهر منه لهب فى جميع الجهات، وهو ما عبر عنه سفر التكوين «وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف مُتقلّب لحراسة طريق شجرة الحياة» (تك ٣ : ٢٤) وهم حملة العرش الإلهى (راجع سفر حزقيال الإصحاح الأول) .

٣- يقول الخورى بولس الفغالى أن كاتب سفر التكوين لو علم أن إسم حواء هو إسم إلهة قديمة ما كان دعاها بهذا الإسم «قال البعض أن حواء تعنى الأم، دلالة على وحدة الجنس البشرى، ورأى البعض الآخر تقارباً بين الحيَّة وحواء، لأن الحيَّة تمثل قوة الحياة فى التقاليد الكنعانية .. ولو عرف الكاتب المُلهَم أن كلمة «حواء» هـو إسـم إلهـة من الآلهات القديمة لأعرض عن تسمية المرأة بها»(١).

ويعترض كمال الصليبى على دعوة المرأة الأولى بإسم «حواء» ومعناها «أم كل حى» لأنها أم للبشر فقط وليست أماً لكل الكائنات الحيَّة، ولذلك يرى أن حواء كانت إلهة فى الجنة، وكان معها إله آخر هو الحنش، وإله المعرفة، وإله الحياة اللذان عبَّر عنهما سفر التكوين بشجرتى

---

(١) سفر التكوين ص ٧٤، ٧٥

المعرفة والحياة، فقال «تقول القصة أن الإنسان أطلق إسم حواء على المرأة قبيل خروجه من الجنة لأنها «أم كل حى» ·· ولم تكن المرأة بعد قد ولدت أى مولود للإنسان عندما أُطلق عليها هذا الإسم ·· لا يكون إلاَّ لإلهة الأمومة المطلقة التى تشمل جميع المخلوقات الحية بما فيها البشر ·· ويستنتج من ذلك أن حواء فى القصة لم تكن فى الواقع زوجة الإنسان الأول، بل إلهة أماً لجميع المخلوقات الحية · وكان مقامها أصلاً فى الجنة، ويبدو أن الحنش أيضاً كان من الآلهة الموجودين أصـلاً فـى الجنـة، وهـو إله «الحكمة» ·· أو «الحيلة» ·· وهو إله المعرفة المتمثل فى الجنة بشجرة المعرفة، وربما كانت حواء إلهة للأمومة المطلقة مساعدة لآل حياة، وهو إله الحياة المتمثل فى الجنة ذاتها بشجرة الحياة ·· إذاً نحن بصدد قصة لا تتحدث عن الرب يهوه والإنسان الذى خلقه فحسب، بل عن وضع الإنسان عند خلقه بين ما لا يقل عن ستة آلهة»[1].

والحقيقة أن موسى النبى كاتب سفر التكوين لم يخترع إسم حواء، إنما كتب ما تسلَّمه من التقليد محفوظاً من الخطأ بالروح القدس، والأصل فى القصة أن آدم دعى زوجته بعد السقوط بإسم حواء، وبعد أجيال طويلـة إنحرفت الشعوب، وتصوَّر أبناء آدم أن حواء إسم إلهة عاشت فى الجنة مع بعض الآلهة، وما دامت القصة دخلت فى تعدد الآلهة فهذا يعنى أنها إنحرفت عن مسارها الصحيح، فلماذا يُعاب على موسى النبى، ويُتهم بالجهل ؟ · وليس المقصود من تسمية المرأة بحواء بـ «أم كل حى» أنها أم للإنسان والحيوان والطيور والأسماك ·· إلخ فإن آدم الإنسان الحكيم العاقل كان يدرك ما يقول، وكان يتصوَّر أن أبنائه سيدركون مثله مغزى التسمية أنها أم كل إنسان حى، فإسقاط المعلوم لا يعتبر عيباً فى أسلوب التعبير، ولم يكن آدم يتصوَّر أن من أبنائه سيخرج النقاد سيئى النية، يحاولون تصيُّد ما يتصورونه أخطاء بأى طريقة كانت·

---

(١) خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص ٣٠، ٣١

س٢٨٥ : هل قامت علاقة زوجية بين آدم وزوجته قبل السقوط ؟ وهل تزوج آدم من ليليت وأنجب شياطين ؟ وهل الشيطان تزوج من حواء ؟

ج : ١- قال الخورى بولس الفغالى «{ ورزقت من عند الرب } الولد هو عطية الله، وإقامة العلاقة الزوجية بين الرجل وإمرأته أمر إلهى تقبَّله أبوانا الأولان قبل الخطيئة، والله لا يرجع عن هباته وعطاياه (رو ١١ : ٢٩)»[1].

والحقيقة أن الله قدس العلاقات الزوجية، ولذلك قـــال الإنجيل صراحة «**ليكن الزواج مكرَّماً عند كل واحدٍ والمضجع غير نجس**» (عب ١٣ : ٤) ولكن لا توجد أى إشارة فى الكتاب المقدَّس لقيام علاقة زوجية بين آدم وحواء قبل السقوط، فلا حـواء أنجبت أولاداً فى الجنة، ولم تكن حاملاً عند طردها من الجنة، بينما أوضح الكتاب المقدَّس قيام هذه العلاقة بعد السقوط، عندما تحدث عن ذلك بلغة رفيعة وأسلوب مهذب للغاية «وعرف آدم حواء إمرأته فحبلت وولدت» (تك ٤ : ١) فقد إستخدم الكتاب لفظ «عرف» ليدل به على قيام العلاقة الزوجية.

٢- نســب ليوتاكســل هرطقات وخرافات لبعض اللاهوتيين قائلاً «فأنتم لا تعرفون اللاهوتيين قط ! فقد إختلق بعضهم خرافة تقول : إن آدم عاش بتولاً على إمتداد مائة وخمسين عاماً، وكان ذلك كله بسبب تلك الثمرة المحرمة، وقد عاش طوال الوقت المذكور مع المدعوة ليليت التى كانت مثله مصنوعة من طين، وولد منها عدداً من الشياطين، وبعد إنقضاء سـنوات طويلة، تزوج آدم وحـواء، أى بعد أن رفع يهوه عنه عقوبة التفريق، وعندئذ فقط بدأ ينجب أولاداً، وأخيراً هناك من الشارحين من يؤكد أن الشـيطان عاشـر حواء معاشرة الأزواج، بعد أن طردت من الجنة»[2].

---

(١) سفر التكوين ص ٩٨

(٢) هل التوراة كتاب مقدَّس أم جمع من الأساطير ص ٤٢

والحقيقة أنه ليس كل من تكلم فى الأمور الدينية يدعى لاهوتياً، فلم يكن فى الجنة من البشر غير آدم وحواء، ولم تكن هناك مخلوقة أخرى من طين تُدعى «ليليت» ، ولو كان هناك «ليليت» المصنوعة من الطين وتزوجت بآدم المخلوق من الطين فلماذا تنجب شياطين لا أجساد لها ؟! ٠٠ ومن قال أن الله أوقع على آدم عقوبة التفريق بينه وبين حواء لمدة مائة وخمسين سنة ؟! ومن قال أن الشيطان عاشر حواء ؟ وكيف عاشرها وهو روح وليس له جسد ؟! ٠٠ مَن هؤلاء اللاهوتيين الذين قالوا هذا ؟! وأين تجد مثل هذه الأقوال بين أقوال الآباء التى تملأ آذان وسمع العالم كله ؟! إن كل ما ذكره ليوتاكسل يظهر المسافة الشاسعة بين ما قالت به الأساطير، وما جاءت به كلمة الله ٠

س٢٨٦ : هل أخذ سفر التكوين من قصة قايين وهابيل من الأساطير ؟

يرى الخورى بولس الفغالى أن قصة قايين وهابيل مأخوذة من الأساطير السومرية حيث الصراع بين إله الرعى وإله الزراعة، وأن الكتاب بدَّل الصراع بين الإلهين إلى صراع بين الأخوين، فيقول «صورة من الصراع بين قايين وهابيل نستطيع أن نقرأها فى عالم السومريين بالعراق، بين إله الرعاة وإله الفلاحين، ولكن الكتاب المقدَّس بدَّل هذا المفهوم الأول وجعله قتالاً بين أخوين إثنين ٠٠ سيفسر الترجوم هذا المقطع فيقول : وقال قايين لأخيه هابيل «لنخرج معاً إلى البرية» ولما خرجا معاً إلى البرية قال قايين لهابيل «أنا أرى أن الله لم يخلق العالم بمحبة، وإنه لا يدبره بحسب ثمرة الأعمال الصالحة، وإنه حين يدين فهو يحابى الوجـوه، وإلاَّ فلماذا رضى عن تقدمتك كل الرضى، ولم يرضَ عن تقدمتى ؟» أجاب هابيل وقال لقايين «إن الله خلق العالم بمحبة وهو يدبره بحسب ثمرة أعمالنا الصالحة، وبما أن أعمالى أفضل من أعمالك، فالله قبل تقدمتى ولم يقبل تقدمتك» أجاب قايين وقال لهابيل «لا دينونة، ولا ديان، ولا عالم آخر، ولا مجازاة خير للصالحين، ولا عقاب للأشرار» فقال هابيل «بل هناك مجازاة خير للصالحين

وعقاب للأشرار» وأخذا يتجادلان فى البرية، فوقف قايين تجاه أخيه هابيل وضربه بحجر على رأسه فقتله»[1].

ويقول زينون كوسيدوفسكى أن كاتب سفر التكوين أظهر هابيل الراعى كمجنى عليه، وذلك تعاطفاً مع القبائل العبرانية التى تعيش كقبائـــل رعوية رُحَّل «كانت القبائل العبرانية آنذاك قبائل رعوية رحَّلاً، ولهذا كان هابيل راعى الماشية، فى أساطيرهم محبوباً من الله وضحية بريئة للمزارع قايين، وبالمناسبة يجب الإعتراف هنا أن تاريخ البشرية يعرف العكس، لكن الإنحياز إلى الرعاة الرُحَّل فى الأساطير العبرانية مفهوم (وواضح)٠ ذلك لأن قصة قايين وهابيل ظهرت إلى الوجود فى العهد القديم جداً عندما كان العبرانيون قبائل تمارس الرعى والترحُّل»[2].

ويورد فراس السواح ثلاثة أساطير سومرية تتحدث عن الصراع بين الراعى والمزارع، نذكرها بإختصار فيما يلى :

١- **إيميش وانتين** : تتكون من ٣٠٨ سطراً فى حالة سيئة، ولكن الخطوط العامة تقول أن الإله إنليل أراد أن يُعمّر الأرض بالنباتات والحيوانات، فخلق إيميش الراعى وأنتين المزارع، ولسبب مجهول قام خصام بينهما، فذهبا إلى الإله إنليل ليفصل بينهما، ففضَّل إنليل المزارع أنتين عن الراعى إيميش قائلاً :

«لقد أجرى أنتين ماء الحياة فى كل بقاع الأرض ٠٠ وأنتج للآلهة كل شئ، إن مزارع الآلهة ٠٠ فيا إيميش يابنى كيف تقارن نفسك بأنتين أخيك ٠٠ هذه كانت كلمات إنليل المقدسة العميقة المعبرة ٠٠ فإنحنى إيميش وركع، وأنتين»[3]وإنتهى الأمر بصلح الأخوين، وإنتهى النص بمديح للأب إنليل :

---

(١) البدايات أو مسيرة الإنسان إلى الله ص ١٠٥، ١٠٦

(٢) الأسطورة والحقيقة فى القصص التوراتية ص ١٦

(٣) مغامرة العقل الأولى ص ٢١١

«أى إنليل أيها الأب نسبح بحمدك» [1]

٢- لهار وأشنان : خلقت الآلهـــة الإلـه «لهار» الراعى، وإخته الإلهة «أشنان» المزارعة، فكان لهار وأشنان يمثلان بطلان حضاريان، أرسلهما الآلهة للبشر لتعليمهم الزراعة، وتربية الحيوانات والدواجـن، والكتابة، والفنون، والنار، ولكن خصاماً وقع بينهما، فأخذا يتجادلان أيهما أفضل من الآخر، ثم إحتكما للآلهة، ففضَّل الإلهان «إنليل» و«إنكى» المزارعة «أشنان» عن«لهار» الراعى، وإنتصرت الزراعة للمرة الثانية (راجع مغامـرة العقل الأولى ص ٢١١، ٢١٢) ٠

٣- إنكمد ودوموزى : فى هذه الأسطورة نجد الإلهــة «أنانا» تبحث عن زوج، فيتقدم لها كل من «أنكمد» المزارع و «دوموزى» الراعى، فتفضل المزارع قائلة : «أنا العذراء سأتزوج المزارع ٠٠ الفلاح الذى يزرع النباتات ويعطى الغلال الوفيرة ٠٠ الفلاح الذى ينتج الحبوب الغزيرة» ٠

ولكـن «أوتـو» إله الشمس شجـع إختـــه «أنانا» للزواج من الراعى «دوموزى» قائلاً «أى إختاه عليك بالراعى ٠٠ الكثير الأنعام ٠٠ أنانا أيتها العذراء لماذا تعرضين عنه ؟ ٠٠ أن زبدته لطيبة وحليبه لسائغ ٠٠ وكل ما يمسه يغدو براقاً ٠٠ أى أنانا إن دوموزى الكثير الأنعام ٠٠ ملئ بالجواهر والأحجار الكريمة فلماذا عنه تعرضين ٠٠ ستأكلان معاً زبدته الطيبة ٠٠ وهو البطل حامى الملك، فلماذا عنه تعرضين» [2] ٠

فتختار «أنانا» الراعى «دوموزى» ، فيفتخر الراعى على المزارع، ويذهب إليه فى الحقل، ويدوس بمواشيه مزروعات «أنكمد»، ولكن «أنكمد» يسامحه قائلاً «أيها الراعى لماذا تريد أن

---

(١) فراس السواح - مغامرة العقل الأولى ص ٢١١

(٢) المرجع السابق ص ٢١٢

تبدأ معى خصاماً ؟ ٠٠ أى دوموزى لماذا تريد أن تبدأ معى خصاماً ؟ ٠٠ ولماذا نعقد بيننا المقارنة ؟ ٠٠ ألا فلتدع مواشيك تأكل عشب الأرض ٠٠ وفى مروجى الخضراء فلترتع قطعانك ٠٠ وفى سهول «زايالام» فلتأكل الحبوب ٠٠ ولتشرب من ماء نهرى «أونم» ٠٠»[١] ٠

ولكن «دوموزى» الراعى يتمادى فى غيه قائلاً «أنا الراعى، لن تحضر حفل زفافى يا أنكمد كصديق ٠٠ أيها المزارع كصديق لى، أيها المزارع كصديق لى لا تأتى»[٢] ٠

أما «أنكمد» المزارع فيتمادى فى تسامحه، ويعرض على «دوموزى» تقديم هدايا له ولعروسه قائلاً «ما الذى أستطيع تقديمه ؟ سأجلب عدساً لك ٠٠ عدس ٠٠ سأجلب لك ٠٠ وأنتِ أيتها العذراء أنانا، فكل ما يسرك ٠٠ أيتها العذراء أنانا سأقدمه لكِ»[٣] ٠

وبعد زواج أنانا بدموزى تحدث المفاجأة، أو ترسل أنانا زوجها دوموزى للعالم الأسفل نيابة عنها، وهنا ترى التضحية بالراعى، وإنتصار الزراعة للمرة الثالثة٠

أما كمال الصليبى فيدَّعى أن أصل قصة قايين وهابيل هى تصارع الإله العربى «هُبَل» مع «فين» الجد الأعلى لقبلية الفين العربية، فيقول «من هنا يبتدى الإختلاط فى القصة بين الخرافة والأسطورة، فهابيل فى القصة، كما قلنا، هو الإله العربى القديم «هُبَل» ٠٠ أما قايين ٠٠ ففى إسمه ما يشير إلى أنه كان يعتبر الجد الأعلى لقبيلة الفين (فين) ٠٠ ويبدو أن شعب الفين كان فى قِدمه يمارس النباتية فيحجم عن أكل اللحوم وتقديم القرابين للآلهة منها٠ والأسطورة فى قصتنا تمثل قايين (فين) الجد الأعلى لشعب الفين، على أنه كان فى الأصل أخاً للإله هُبَل، فتخاصم مع أخيه حول قضية أكل اللحوم أو عدم أكلها، وحول تقديم القرابين من الحيوان

---

(١) فراس السواح - مغامرة العقل الأولى ص ٢١٣

(٢) المرجع السابق ص ٢١٣

(٣) المرجع السابق ص ٢١٣

أو النبات، وإنتهى الخصام بقتل جد شعب الفين للإله هُبَل، فحل به وبذريته ما حل من التيه والتشتت ووضاعة الحال»[1].

تعليق :

١- هناك إختلافات جمة بين قصة قايين وهابيل التوراتية، وبين ما جاء فى الأساطير، بل وهناك إختلافات بين الأساطير وبعضها، وعلى سبيل المثال نذكر الإختلافات الآتية :

أ – جاءت الأساطير السومرية صدى للصراع بين الرعاة والفلاحين، بينما كُتب سفر التكوين فى صحراء سيناء، حيث لا توجد زراعة ولا فلاحة، بل بالكاد تقوم حرفة الرعى. إذاً ليس هناك صراع بين الرعاة والفلاحين الذى لا وجود لهم.

ب- فى القصة التوراتية قدم قايين من ثمار الأرض فقط، وقدم هابيل من أبكار غنمه وسمانها فقط، بينما فى الأسطورة نجد أينميش الراعى يقدم من الثمار والأغنام ويزيد عليها الطيور، «بعد أن أنجز كل من الأخوين مهمته قرَّرا الذهاب إلى «نفر» إلى «بيت الحياة» ومعهما قرابين الشكر إلى أبيهما : أنليل «فجلب» أينميش «أنواعاً عديدة من الحيوانات البرية والمدجنة، والطيور، والنباتات كهدية منه إلى «إنليل» ..»[2] .. وقدم أينتين الفلاح «المعادن الثمينة والأحجار الكريمة، والأشجار، والأسماك كقربان إلى «إنليل» ..»[3] فلو كان موسى النبى إقتبس من هذه الأساطير فلماذا لم يذكر كل هذه الأصناف ؟!

جـ- فى القصة التوراتية لم يشر قايين ولا هابيل الخمر، لأنها لم تكن قد عُرفت بعد، بينما جاء فى الأساطير أن الأخين شربا الخمر.

---

(١) خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص ٣٧

(٢) الأب سهيل قاشا – التوراة البابلية ص ١٠٩

(٣) المرجع السابق ص ١١٠

د - فى القصة التوراتية لم تحدث مناظرة بين قايين وهابيل، أما فى الأساطير السومرية فقد قام «لهار» و «أشنان» على بعضهما البعض، وإحتكما إلى «إنليل» الذى فضل «أشنان» ، ففى القصة التوراتية لم يحتكم الأخان للرب، بينما فى الأساطير إحتكما للإله «إنليل» ·

هـ- إنتهت القصة التوراتية بقتل قايين لهابيل، بينما فى إحدى الأساطير السومرية لم يُقتَل أحداً، ويقول الأب سهيل قاشا «يغتنم قايين الفرصة ويقتل أخاه هابيل، خلافاً للنتيجة التى توصل إليها (النص) السومرى وهى الإذعان إلى حكم الإله والتسليم بأفضلية الزراعة على الرعى»[1] ·· «وقبل الأخوان قرار إنليل وتمت المصالحة ·· فكانت كلمة إنليل المجدة ·· ذات المغزى العميق ·· وقُبل القضاء الذى لا يُبدَّل ·· فمن ذا الذى يغيره ؟ ·· فركع أينميش إزاء أينتين ·· وسكبا معاً القربان المقدَّس ·· بأخوة وصداقة ·· وتعاهدا بأن يعملا معاً ·· بحكمة وطيب ·· فسبحانك أيها الأب إنليل»[2].

و - تجد فى الأساطير السومرية خلطاً، فمثلاً أينتين الذى يمثل الفلاح يهتم بالماشية والأغنام التى هى من إختصاص الراعى أينميش «أينتين كان يجعل النعاج والماعز تلد صغارها ·· كثَّر البقرات والعجول ووفر بسخاء السمن واللبن ·· وفى السهول، جعل البهجة تعم العنز البرى والأرويَّات والحُمر الوحشية»[3] ونجد أينميش الذى يمثل الراعى يهتم بالزراعة وإقامة المنازل والمعابد التى هى من إختصاص الفلاح «أما أينميش، فقد نمى الأشجار والزروع ووسع المزاود والحظائر ·· وضاعف إنتاج المزارع ·· كما أتى بحصاد غنى ليُكدس من العنابر ·· ودفع فى بناء المساكن والتجمعات السكنية وفى ·· إشادة البيوت فى كل مكان ·· وإلى إقامة المعابد لتضاهى الجبال فى شموخها»[4] ·

---

(١) الأب سهيل قاشا – التوراة البابلية ص ١٠٢، ١٠٣

(٢) المرجع السابق ص ١٠٨

(٣) المرجع السابق ص ١٠٦

(٤) الأب سهيل قاشا – التوراة البابلية ص ١٠٧

٢- بينما ذكر فراس السواح أسطورة تخبرنا بأن «أنانا» تزوجت من الراعى، فإن هناك أسطورة أخرى تخبرنا بأن «أنانا» تزوجت من الفلاح، رغم تشجيع شقيقها لها على الزواج من الراعى وجاء فى هذه الأسطورة قـــول شقيقها «إقترنى بالراعى، يا إختاه ٠٠ إنانا أيتها الفتاة، لم ترفضينه ؟ ٠٠ لذيذ قشدته ومنعش لبنه ٠٠ كل ما يمسه هذا الراعى يتألق ٠٠ إقترنى إذاً بالراعى يا أنانا ٠٠ أنتِ التى تتزينين بالأحجار الكريمـة «أونو» و «شوب» ٠٠ لِمَ ترفضينه ٠٠ أنتِ حامية الملوك، لِمَ ترفضينه ؟ ٠٠

إنانا تصر على رأيها ٠٠ كلاً لن أتزوج من الراعى ٠٠ أنا لا أريد إرتداء ألبسته الخشنة ٠٠ أنا لا أريد ألبس صوفه الصفيق ٠٠ أنا الفتاة الصبية، أريد الإقتران بالفلاح ٠٠ الفلاح الذى ينتج بكثرة زروعاً كهذه ٠٠ الفلاح الذى ينتج بكثرة حبوباً كهذه ! ٠٠

بينما كان الراعى مبتهجاً على الضفة ٠٠ على شاطئ النهر ! ٠٠ كان الراعى إذاً يقود أغنامه على الضفة ٠٠ وبينما كان الراعى يسهر على أغنامه على الضفة ٠٠ إقترب منه الفلاح، أنكميدو الفلاح أقترب ! - (وتكلم الفلاح) أنا وأنت، أيها الراعى، أنا وأنت ٠٠ ما الذى يدفعنى للتنازع معك ؟ ٠٠ دع أغنامك تقضم عشب الضفة ٠٠ دع أغنامك ترعى فى حقولى المزروعة ٠٠ دعها تأكل شعيرى وهو على ساقــه ٠٠ دعها تقضم نباتى الحبّى عبر ريف ٠٠ وليرتو جديانك وحملانك من قناتى ٠٠

(ثم يقدم الفلاح دعواه للعروس) سوف أحمل إليكِ الطحين وأجلب لك البيقة ٠٠ سوف أجلب لك العدس ٠٠ أيتها المرأة الصبية، كل ما ترغبين به ٠٠ سوف أقدمه لك أيتها الفتاة إنانا ٠٠ الحب والبيقة ٠٠

(وتزوج الفلاح من إنانا وخاطب الراعى) هيا، أيها الراعى، دعنى، يجب أن أعود إلى بيتنا ٠٠ دعنى إذاً ياصديق إنليل ٠٠ يجب أن أعود إلى بيتنا ٠٠»[١] ٠

٣- يقول نيافة المتنيح الأنبا إيسيذورس أن الآثار تشهد لقصة قايين وهابيل «روى الجوالة «هومبولد» فى كتابه المدعو (منظر جبال كورديلار) فى أمريكا أنه عثر فى المكسيك على أثر يمثل إمرأة تخاطبها حية وعلى جانبها رجلان يعتدى أحدهما على الأخر، وقد قال هذا السائح : إن تقليدات أهل المكسيك تقول أن أم النوع البشرى هذه المرأة، وأنها قد ولدت ولدين توأمين»[٢].

٤- كيف يدَّعى ناجح المعمورى وغيره من الكتَّاب المسلمين بأن قصة قايين وهابيل إقتبسها الكاتب من أساطير الأولين بينما ذُكرت فى القرآن أن قايين قتل هابيل، وتعلَّم من الغراب كيف يوارى أخيه التراب «وأتل عليهم نبأ إبنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ٠٠» (المائدة ٢٦ – ٣١) ٠

س٢٨٧ : يقول سفر التكوين «جعل الرب لقايين علامة لكى لا يقتله كل من وجده» (تك ٤ : ١٥) فهل هذه العلامة تدخل فى نطاق الأساطير التى توارثتها الشعوب البدائية ؟ وهل سقط بيت قايين عليه فمات قتيلاً ؟

يقول جيمس فريزر أن الإنسان البدائى إعتقد أن دم القتيل يلوث القاتل، والقاتل يلوث الأرض، ولذلك فرض قانون «أتيكا» على الإنسان المُتهم بالقتل بأن يحضر إلى بلده على ظهر سفينة ويظل عليها يدافع عن نفسه، فلا يُسمح له بالنزول على الأرض، ولا يُسمح للسفينة بأن

---

(١) ناجح المعمورى – أقنعة التوراة تزوير الرموز وإستبدال العقائد والأساطير ص ٢٥٦

(٢) المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية ص ٤٨٢

تنزل مرساها على الأرض، ولا يُسمح للقضاة الإتصال بالمتهم، وكذلك يعد القاتل عند سكان مراكش بالمغرب شخصاً نجساً، ينضح السم من تحت أظافره، فلا يُسمح له بالسير فى حقول الخضر، ولا حدائق الفاكهة، ولا يدخل مخازن الغلال، ولا يأكل أحد من لحم الحيوان الذى يذبحه القاتل، بل أن الأرض تطرده إلى المتاهات الكاحلة حيث يهيم بلا مأوى أو طعام، لأن الأرض ذات ألوهية قوية فلا تهدأ من دم القتيل إلاً بتقديم الذبائح لها، ففى أقليم «البوبو» يقدم القاتل شاتين وكلباً وديكاً لزعيم القرية التى يقدمها بدوره ضحية للأرض لتهدئة ثورتها، وفى قبيلة «ناونوما» يقدم الكاهن الذى يحمل لقب «سيد الأرض» الثيران ضحية للأرض الغضبى، حتى لا تقتل القاتل وكل أسرته (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ١٨٧ - ١٩٥) .

ثم يقول جيمس فريزر أن القاتل يظل مطارداً من شبح القتيل، وكذلك فى قبيلة «نيلوتيك كافيروند» يُعزل القاتل لمدة ثلاثة أيام فى كوخ، تطعمه إمرأة عجوز لأنه لا يجوز له أن يلمس الطعام، وفى اليوم الرابع يأتى قاتل سابق فيصطحب هذا القاتل الحديث إلى مجرى مائى ويغسل له جسمه، ويذبح نعجة، ويلف شريطاً من جلدها حول رقبة القاتل، وكذلك حول كل معصم يلف شريطاً، كعلامة يأمن بها القاتل من خطر شبح القتيل، ومن عادات «اليابيم» عندما يقبلون ديه القتيل يضعون على جبهته علامة بالطباشير حتــى لا يتعرض لخطر شبح القتيل، وفى قبيلة «بارياكان» يضع القاتل فى المعارك ريشاً أحمر من ريش ذيل الببغاء على رأسه، ويصبغ جبهته باللون الأحمر، حتى ينجو من مطاردة روح القتيل له، وفى قبائل «البانتو» يحلق القاتل رأسه ويدلق جسده بروث البقر حتى ينجو من مضايقات شبح القتيل، والمحاربين من «الماساى» عندما يقتلون بعض الهمجيين، يطلون النصف الأيمن من أجسادهم باللون الأحمر، والنصف الأيسر باللون الأبيض، وفى قبيلة «داجوجو» يرسم القاتــل دائرة حمراء حول عينه اليمنى، وأخرى سوداء حول عينه اليسرى، والهنود «الطومسونيين» الذين يقتلون أعدائهم يطلون وجوههم باللون الأسود، والهنود « التشينوكيين» يطلون وجه القاتل بالفحم المعجون

بالشحم، وبعد خمسة أيام يزيل القاتل الفحم ليطلى وجهه باللون الأحمر، وعند الفيجيين يطلى الملك جسم القاتل بالكركم، ويعتزل القاتل فى كوخ ثلاث ليال لا ينام فيها مستلقياً (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ١٩٨ - ٢١٠) ٠

وأيضاً يفترض جيمس فريزر «أن الرب يكون بذلك علَّم قايين بعلامة حمراء أو بيضاء، أو سوداء، وربما مزج بين هذه الألوان ليكون لوناً مناسباً فعلَّمه به ٠٠ إن تفسير علامة قايين على هذا النحو من شأنه أن يخلص القصة التوراتية من السخف الواضح فيها ٠ فإن تفسير العلامة بأن الرب علَّم قايين بها لكى يحول بينه وبين أن يُقتل على يدى إنسان آخر، فيه إغفال لحقيقة أنه لم يكن على وجه الأرض من يقتله، حيث أن الأرض لم تكن يُعمِّرها آنذاك سوى القاتل ووالديه ٠ أما إذا تبنينا التفسير الذى مؤداه أن العدو الذى كان يخشاه القاتل هو شبح القتيل وليس إنساناً حيًّا، فإننا نتحدث بذلك التهاون الوقح الماثل فى إتهام الرب بزلة فى ذاكرته، الأمر الذى لا يتلاءم كلية مع صفات الرب العالم بكل شئ»[1].

ويقول زينون كوسيدوفسكى إنه جاء فى سفر التهاليل الأبوكريفا «فى نهاية ذلك اليوبيل قُتل قايين بعده بعام، وسقط بيته عليه، ومات فى وسط بيته، وقُتل بحجارته لأنه قتل هابيل بحجر، ولذلك قُتل هو بحجر قصاصاً وعدلاً ٠ ولذلك كُتب فى الألواح المسمارية، الأسلحة التى يقتل بها الإنسان رفيقه سيُقتل ٠ مثلما جرحه، كذلك فإنهم سيجرحونه»[2]

تعليق :

١- عندما يصمت الوحى الإلهى عن توضيح العلامة التى جعلها الله لقايين، فلا يحق لإنسان أن يتصوَّر من ذاته ما كانت عليه هذه العلامة، ويروح يتصوَّرها تارة بألوان يصبغ

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ٢١١ - ٢١٣

(٢) ترجمة عدنان حسن - الماضى الخرافى - التوراة والتاريخ ص ٥٠٦

بها الوجه أو العينين، أو ريشة ببغاء حمراء توضع على الرأس ٠٠ إلخ من تخيلات وأساطير وخرافات لا يقبلها العقل.

٢- كيف يدَّعى النُقَّاد أن سفر التكوين أخذ من أساطير الأولين، وراحوا يوردون علامات وعلامات، بينما سفر التكوين أصلاً لم يوضح ماهية هذه العلامة، فعلى أى شئ بنوا مقارناتهم ؟! هل بنوها على الأساطير التى ذكرت علامات شتى من جهة وسفر التكوين الذى لم يوضح ماهية هذه العلامة من جهة أخرى ؟ وهل تصح مثل هذه المقارنة ؟!

٣- يقول أبونا الحبيب القمص تادرس يعقوب «أما العلامة التى قدمها الله لقايين حتى لا يقتله كل من وجده، فربما تشير إلى علامة الصليب التى فيها يختفى الخاطئ ليجد آماناً وسلاماً خلال مصالحته مع الله ٠ هذه هى العلامة التى يوسم بها أولاد الله الذين لا يطيقون الرجاسات فتحفظهم من الملاك المهلك كما رأى حزقيال النبى (حز ٩ : ٦) ويرى القديس أوغسطينوس أنها علامة العهد الذى وُهب لرجال العهد القديم كظل للصليب، معلناً فى ناموسهم وطقوسهم، أو يقول { هذه العلامة لليهود إذ أمسكوا بناموسهم وإختتنوا وحفظوا السبوت وذبحوا الفصح وأكلوا خبزاً غير مختمر }»[1].

٤- قال الرب لقايين القاتل «**تائهاً وهارباً تكون فى الأرض**» (تك ٤ : ١٢) وللوقت شعر قايين بالتيهان والخوف والرعبة، ولذلك «**قال قايين للرب ذنبى أعظم من أن يُحتمل. إنك قد طردتنى اليوم من وجه الأرض ومن وجهك أختفى وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض ٠ فيكون كل من وجدنى يقتلنى**» (تك٤ :١٣،١٤) ولا عجب فإن «**الشرير يهرب ولا طارد**» (أم٢٨ :١) ولابد أن قايين شك فى محبة والديه وأخوته الذى ولدوا أو الذين سيولدوا، لأن الخطية تشوُّه صورة المحبة، وتؤدى إلى فقدان الثقة بين الأخوة، والأباء، ولذلك شك فى أن والده،

---

(١) من تفسير وتأملات الأباء الأولين – سفر التكوين ص ٨٩

أو أحد أخوته سيقتله، أو أحد الحيوانات سيفترسه، ولذلك طمأنه الله الرحوم **«فقال له الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف يُنتقم منه · وجعل الرب لقايين علامة لكى لا يقتله كل من وجده»** (تك٤ : ١٥) ·

٥- نحن لا نعترف بما جاء فى التهاليل الأبوكريفا لأنها مجرد جهود بشرية شابتها الأخطاء، فهى لا تدخل ضمن الأسفار القانونية، ولا توضع بمحازاتها، وليس من المعقول أن الله الذى أراد أن يحفظ قايين من القتل بأيدى إنسان، يسمح بأن يُقتَل بحجر سقط عليه من بيت منهار·

٦- ننتهز هذه الفرصة لإلقاء الضوء قليلاً على سير جيمس فريزر (١٨٥٤ – ١٩٤١م) فقد وُلِد فى مدينة «جلاسجو» باسكتلندا شمال المملكة المتحدة، ودرس الأنثروبولوجيا الإجتماعية فى جامعة كمبردج حتى نهاية حياته، وقد تزوج «جيمس فريزر» من «اليزابيث جروف» سنة ١٨٩٦م التى ساندته فى حياته العلمية، ولاسيما فى أواخر حياته عندما فقد بصره ·

وقد إرتبط إسم «جيمس فريزر» باسم كتابه «الغصن الذهبى» The Golden Baugh الذى كتبه خلال المدة ١٨٩٠ – ١٩١٠م فى ١٢ مجلداً، وهو عبارة عن دراسة مقارنة فى فولكلور المجتمعات البدائية، ومقارنته بما جاء فى الكتاب المقدَّس، وقد تأثر جيمس فريزر بنظرية «ادوارد تايلور» (١٨٣٢ – ١٩١٧م) الذى أعتبر أن الدين تطور من عمل الإنسان، ولذلك إعتقد فريزر أن الفكر البشرى تطوَّر خلال ثلاث مراحل هى :

١- السحر ٢- الدين ٣- العلم

فالدين فى نظر فريزر هو مرحلة متطورة لمرحلة السحر، وفى العصور الوسطى تطوَّر الفكر الدينى إلى الفكر العلمى، وإعتبر فريزر أن الدين هو من صنع الناس الأذكياء بقصد السيطرة على بقية أفراد المجتمع·

وقال العلماء عن جيمس فريزر أنه من أصحاب «علماء المقاعد المريحة» Armchair Scientists الذين إكتفوا بجمع معلوماتهم من كتابات الإرساليات والبعثات التبشيرية، وبعضها كُتب بطريقة غير دقيقة، حيث أنهم لم يستندوا فى جمع معلوماتهم على دراسات ميدانية حقلية، والتى تعتبر الشرط الأساسى لقيام علم الأنثروبولوجى فى شكله الصحيح.

ولجيمس فريزر عدة مؤلفات أخرى مثل :

١- الإله الميت The Dying God (سنة ١٩١١م).

٢- عقيدة الخلود وعبادة الموتى، وكُتب فى ثلاث مجلدات خلال الفترة ١٩١٣ - ١٩٢٤م.

٣- الفولكلور فى العهد القديم (١٩١٩م) وقد ترجمته للغة العربية الدكتورة نبيلة إبراهيم، وجاءت الترجمة متحيزة، ويقول الأستاذ رشدى السيسى «كما يزعم جيمس فريزر فى كتابه المشوش (الفولكلور فى العهد القديم) وهو عبارت عن أشتــات المعلومات، التى لا ترقى بما كتبه هذا الرجل، ومن نسج على منواله، إلى مصاف البحوث التى تتغلغل إلى الأصول، وتتشعب منها أو معها إلى الفروع وتستقصى العلل، وتقيم على أُسسها النتائج والأحكام، ثم تسويتها جميعاً إلى القارئ، فى تعمق وتدقيق وأمانة لا محيص عنها لكل باحث»(١) كما يعلق الأستاذ رشدى السيسى على الترجمة العربية لكتاب الفولكلور فيقول «فى ترجمة محرَّفة غيــر أمينة لكتاب بعنوان { الفولكلور فى العهد القديم } لمؤلفه«جيمس فريزر» تقول المترجمة المتحاملة ..»(٢).

(١) مجلة الكرازة فى ١٥/٨/١٩٧٥م ص ٧

(٢) مجلة الكرازة فى ٢٢/٨/١٩٧٥م ص ٦

الفصل الرابع : قصة الطوفان والأساطير

فى هذا الفصل نلقى الضوء قليلاً على بعض الأساطير التى جاءت عن الطوفان فى الحضارتين السومرية والبابلية، حتى يرى الجميع فساد الرأى القائل بأن الكتاب المقدَّس أخذ من هذه الأساطير التى سبقته فى الظهور لعالم النور، ثم نطرح السؤال الهام على مائدة البحث وهو : **هل يمكن أن يكون سفر التكوين قد أخذ من أساطير الأولين ؟**

س٢٨٨ : كيف نظر السومريون والمصريون والفارسيون وغيرهم إلى قصة الطوفان ؟

ج : عُثر على أسطورة الطوفان السومرية «زى· أو· سود· را ومعناها «ذو الحياة الطويلة» فى خرائب مدينة «نفر» السومرية، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

«١- (صدر) قرار إلهى بتدمير الأرض بواسطة طوفان شامل·

٢- (تم) إختيار واحد من البشر، لإنقاذ مجموعة صغيرة من البشر، وعدد محدود من الحيوانات·

٣- حدوث الطوفان ونجاة المجموعة المختارة فى قارب·

٤- إنتهاء الطوفان وإستمرار الحياة من جديد بواسطة من نجا من الإنسان والحيوان» ·[1]

وفيما يلى نورد نص الأسطورة كما سجلها خَزْعَل الماجدى :

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٢٥

«قرَّر مجمع الآلهة أن يفنى البشر من على الأرض، أن يمحوهم تماماً بطوفان عظيم يغطى وجــه الأرض كلها، وكانت لعنة الطوفان أمراً إلهياً لا يُرد، ولكن (ننتو) بكت على مصير (الإنسان) الذى صنعته بأيديها، وصُعقت (أنانا) أما إنكى فقد دهش لقرار الآلهة ورأى أن مخلوقه سيفنى، فكيف يعيش الآلهة دون خدم أو عبيد، فقرر إنكى الخروج على إجتماع الآلهة ٠٠ لقد قرَّر إنقاذ الإنسان، وخطرت له فكرة عظيمة حين نظر إلى الأرض فرأى البشر جميعاً وإختار من بينهم ملكاً حكيماً إسمــه (زيوسدرا) الذى هــو (باشيشو) وكــان يحكــم مدينة (شروباك) تقياً ورعاً راعياً لمعبد الآلهة الذى نذر القرابين الكثيرة للآلهة٠ كان يسجد ويركع بخشوع، فقرَّر إنكى أن يُوكِل إليه مهمة تنفيذ خطته٠

توجه (زيوسدرا) إلى المعبد فى ذلك اليوم، وبعد أن قدَّم الطقوس الإلهية أدركه التعب فنام فى المعبد، ورأى حلماً لم يرَ له مثيلاً من قبل ٠٠ لقد رأى إنكى يقف قرب جدار وهو يقف قرب الجدار وسمع الإله إنكى يناديه :

قف قرب الجدار على يسارى وإسمع، سأقول كلاماً فإتبعه، أعطنى إذناً صاغية واسمع وصاياى، لقد قرَّر الآلهة إرسال طوفان عظيم على الأرض يقضى على البشر ٠٠ حكم مجمع الآلهة بذلك، وأنهم لمرسلون فيضاناً عظيماً يملأ الأرض ليضعوا هذا حداً لملكوت البشر فإصغ إلىَّ يازيوسدرا ٠٠ أصنع سفينة ضخمة واحمل بذرة من كل ذى حياة، حتى لا تفنى الحياة على الأرض، ويوم يأتى الطوفان، أقفل سفينتك عليك وامخر عبابه ٠٠

نهض زيرسدرا مذعوراً من نومه وأيقن أن حلمه هذا نذير شديد، وإن عليه أن ينفذ مشيئة الإله (إنكى) فقام ببناء سفينته الضخمة التى لم يعرف سرها أحد، وذات يوم هبت العاصفة كلها دفعة واحدة، ومعها انداحت سيول الطوفان فوق وجه الأرض ولسبعة أيام وسبع ليالٍ غمرت سيول الأمطار وجه الأرض ودفعت العواصف المركب العملاق فوق المياه

العظيمة، كانت الأرض تنضح الماء، وكانت السفينة مثل حبة رمل فى محيط المياه ٠٠ السفينة كانت تحمل سر الحياة، وكان الصراع بين الحياة والموت رهيباً ٠٠ ولسبعة أيام إحتجبت الشمس، وعكف (أوتو) خلف الغيوم السوداء يرقب دفق المياه وغضبها، المياه المظلمة التى أفنت الحياة من الأرض وأغرقت فيها كل شئ٠

وفى اليوم الثامن ظهر (أوتو) ناشراً ضوءه فى السماء وعلى الأرض، وفتح (زيوسدرا) كوة فى المركب الكبير تاركاً أشعة البطل (أوتو) تدخل منه، فخر (زيوسدرا) أمام (أونو) ونحر ثوراً وقدم ذبيحة مـن الغنـم٠ خـرَّ أمام (أونو) و (إنليل) ساجداً، ومثل إله وهباه حياة أبدية، ومثل إله وهباه روحاً خالدة، عند ذلك دُعى زيوسدرا الملك بإسم حافظ بذرة الحياة، وفى أرض دلمون حيث تشرق الشمس أسكناه»[١] (راجع أيضاً فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٢٦، ١٢٧) ٠

ولا توجد قصة مصرية واضحة عن الطوفان، فيقول د٠ كارم محمود عزيز «لا يوجد بين هذه النصوص (المصرية) نص واحد عن أسطورة الطوفان ٠٠ وكل ما هنالك أسطورة تتفق فى مفهومها العام مع نموذج أسطورة الطوفان ٠٠ هذه الأسطورة المصرية تُسمى أسطورة «هلاك البشــر» وملخصها أن الإله «رع» إله الشمس شعر بأنه صار مسناً، وأن رعيته من بنى الإنسان يتآمرون على قتله، فاستنجد بالإلهة «حتحور» التى تُسمى فى هذه القصة «عين رع» لتقضى على بنى الإنسان جملة، ولكنها بعد أن بدأت عملها، عزَّ على «رع» ذلك، فدبر طريقة ينقذ بها من بقى من البشر، ويخلصهم من بطش هذه الإلهة، وتم له ذلك بمعونة شراب الجعة المحبب إلى قلبها، فإحتست منه حتى ثملت، ولم تعِ ما كانت تريد» ٠[٢]

---

(١) إنجيل سومر ص ١٦٤ – ١٦٦

(٢) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١٩٨

أما عن الأساطير الفارسية، فيقول د. كارم محمود عزيز «فى إحدى الأساطير الفارسية، تــرد إشـــارة غير مفصلة إلى ذلك الطوفان مضمونها أن «أهرمن» كان يحارب «مثرا» Mithra ويتعقبه بالمكـــر والخديعـــة، فأرسل «مثرا» طوفاناً إلى الأرض، فغرقت، ولم ينجُ سوى رجل واحد، حمل معه أسرته وبعض الحيوانات فى مركب صغير، وقد قام هذا الرجل بتجديد الحياة على الأرض مرة أخرى، كما طهر الأرض بالنار، وتناول مع ملائكته الخبز طعام الوداع، ثم صعد إلى السماء، حيث قام بدور المرشد للأبرار، كما كان يعينهم على النجاة من حبائل الشيطان»[1]

وهنــاك أسطورة أفريقية عــن الطوفــان تقــول أن كبير آلهة الأوليمب «زيوس» قرَّر تدمير الحياة فأرسل طوفاناً عارماً لمدة تسعة أيام قضى على الجميع ما عدا «ديكليون» وزوجته «فرحة» اللذان طافا بسفينة إستقرت بهما على جبل البرنا، ثم أراد زيوس أن يعيد الحياة، فأمر الزوجين أن يقوما برمى الأحجار الصغيرة خلفهما، فتحوَّلت هذه الأحجار إلى مخلوقات حيَّة (راجع فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٢٣، ١٢٤) .

أما تعليقنا على القول بأن سفر التكوين أخذ من هذه الأساطير فنرجئه لإجابة السؤال رقم (٢٩١).

س٢٨٩ : فى الأساطير البابلية أزعج البشر الآلهة، فضربتهم الآلهة بمرض الطاعون، ثم بالمجاعة، وأخيراً بالطوفان .. كيف حدث هذا فى الأساطير ؟

---

(١) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص ١٩٧، ١٩٨

ج : تحكى ملحمة أتراحسيس Atrahasis قصة خلق الإنسان والطوفان وتعمير الأرض من جديد، وقد عثر على نسختين لهذه الملحمة أحدهما يرجع تاريخها للقرن السابع عشر قبل الميلاد، والثانية يرجع تاريخها إلى النصف الأول للألف الأولى قبل الميلاد، وكلتا النسختين غير كاملة .

فقد تزايد عدد البشر، وإزداد ضجيجهم، مما سبب قلقاً بالغاً للآلهة، التى أرادت ضربهم بمرض الطاعون : «قبل أن تمضى ألف ومئتا سنة .. بدأت البلاد المأهولة تتوسع والبشرية تتكاثر .. وكانت تخور أرض البشر كالثور .. ومن الضجيج الذى أحدثوه تعكر صفو الآلهة .. لقد سمع إنليل ضجيجهم .. فقال للآلهة الكبار :

إنه يثقل عليَّ جداً ضجيج البشرية .. وهذا الصخب الذى يحدثونه يمنع عينى من الرقاد فليكن ثمة طاعون يسكتهم» .[١]

وطلب الإله من الإلهة «ننكارك «أن ترفع يدها عن الأمراض لتفتك بالبشر، فأوصت ننكارك الإله «نمتار» Nimtar وهو أحد آلهة العالم الأسفل، ويوصف بأنه إله الطاعون، بضرب البشر «فإنتشرت الأمراض، كما إنتشرت رائحة الموت فى المدينة، وطارت الشياطين فوق البيوت، وأخذ البشر يتساقطون كالأوراق اليابسة»[٢] .

وماتت زوجة أتراحاسيس وإبنه، فنعاهما بعبارات مؤثرة، وذهب إلى معبد الإله «آيا» معترفاً بخطيته، وطلب الصفح والمغفرة فقال «إننى خادمك قد أخطأت وجدَّفت بالآلهة .. لم أعـد أنطق بالشر، لم آكل من الطعام الخاص بالآلهة، ولم أنتهك المحرمات وأرتكب الشر، ولم أوجه رغباتى نحو ممتلكاتك الواسعة، لم يتجه طمعى إلى فضتك الثمينة .. لم أرتكب

---

(١) سلسلة الأساطير السومرية - ديانات الشرق الأوسط ص ٣١

(٢) خَزْعَل الماجدى - إنجيل بابل ص ١٦١

المعصية المعلنة والمكتومة، ولم أقترف المخازى، ياإلهى لقد أخذت منى زوجتى وولدى وجعلت الناس فى مدينتى يئنون من المرض فهل كان هذا كافياً ؟ عسى أن يهدأ قلبك، وعسى أن تغفر وتسامح ٠٠ كانت أخطائى كثيرة، آه ٠٠ إننى أعيش أيام الألم وأشهر الحزن وسنى الخيبة ويحيق بى الخراب والإضطراب والهيجان٠ لقد جعلت الموت والبؤس نهايتى ٠٠ أتيت إليك مبتهلاً أن تمحى لعنتى ولعنة شعبى، وأن تمحى إساءتى وذنبى وشرى وخطيئتى»٠[1]

وإستمع «آيا» لشكوى أتراحسيس، فأسدى له النصيحة بأن يجمع شيوخ المدينة ويبنوا معبداً للإله «نمتار» ويقدمون هدايا من الدقيق والأرغفة المحمَّصة، ففعلوا هكذا فرفع «نمتار» يده عن الناس فتركهم الوباء، وهبضت «ننكارك» لكيما تداوى الناس وتسهر عليهم، فعاش الناس عيشة طيبة، وإزداد عددهم، وعادوا إلى الضجيج مما أزعج الإله «آنو» ثانية، فدعى الآلهة لكيما تمنع المطر والمياه الجوفية عن الأرض، لتحل المجاعات والقحط، فمنع «أدد» إله الرعد المطر، ومنعت «نصابا» إلهــة الحنطة فيض الحنطة من ثدييها، وفعلاً حدث هذا، فهلك الكثيرون من الجوع (راجع خَزْعَل الماجدى – إنجيل بابل ص ١٧٠ – ١٧٢) ٠

وجاء فى نص الأسطورة «لم تنته بعد ألف ومئتا عام ٠٠ حتى إمتلأت البلاد وتوسعت وتكاثرت الشعوب ٠٠ وأمست أرض البشر تخور كالثور ٠٠ ومن الجلبة التى أحدثوها تعكر صفــو الآلهة ٠٠ سمع إنليل ضجيجهم فقال للآلهة الكبار :

كم هى ثقيلة على نفسى ضجة البشرية ٠٠ وبسبب الصخب الذى يحدثونه لم يغمض لى جفن ٠٠ ليحبس «حدد» (الإله أدد) الأمطار ٠٠ ولتتوقف على الأرض فيضانات المياه الجوفية

---

(١) خَزْعَل الماجدى – إنجيل بابل ص ١٦٨، ١٦٩

·· وليعصف الريح وتجف الأرض ·· ولتتجمع الغيوم دون أن تسقط قطرة ماء ·· وليقلل الحق إنتاجه ·· ولتغلق آلهة الحصاد صدرها حين كان ·· ولينته كل فرح للإنسان » ·[1]

ولكن عندما أسرع أتراحاسيس إلى معبد «آيا «يصلى ويقدم شكواه نصحه «آيا «ببناء معبد للإله «أدد «(حدد) وتقديم هدايا له من الدقيق والأرغفة المحمصة، فخجل الإله «حدد «ورفع يده، وأرسل الضباب والمطر خفية عن الإله «إنليل «فابتعد شبح المجاعة عن البشر، وعندما رأى «إنليل «الحقول أخضرت والمياه عادت غضب جداً، وأمر بفرض مجاعة ست سنوات على البشر ·

«فعاشت البشرية عامها الأول تقتات النجيل ·· وفى السنة الثانية أعثرتهم الحكمة ·· وحين حلت السنة الثالثة ·· غابت ملامحهم من شدة الجوع وأصبحوا غير معروفين ·· وأصبحت وجوههم خضراء ·· ولما إنتهت السنة الرابعة ·· أصبحت سيقانهم الطويلة قصيرة ·· يروح الناس ويجيئون فى الدرب منحنى الظهور ·· وحينما أتت السنة الخامسة ·· كانت الإبنة ترصد عودة أمها ·· بيد أن الأم لم تفتح لإبنتها الباب ·· حين حلت السنة السادسة ·· كان الأهل يضعون على المائدة لحم إبنتهم ·· كما يتغذون بلحم ولدهم ·· لقد أمسى وجه البشـر وكأنه مطلى بملاط الموت » ·[2]

فاشتكى البشر لخالقهم الإله «آيا» الذى تأثر جداً، ففتح مزلاج البحر العميق وعارضته، فتدفق الماء وعادت الحياة، وعلم الإله «إنليل» فغضب جداً، وقد أخبرته الآلهة أن «آيا» هو الذى أعاد الحياة للإنسان الذى خلقه· أما «آيا» فقال بل تراكم الأسماك هو الذى كسر مزلاج البحر العميق، فأقسم الإله إنليل على فناء البشر بطوفان عظيم :

---

(١) سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق الأوسط ص ٣٢

(٢) المرجع السابق ص ٣٣، ٣٤

«وأقسم الإله «آنو» على هذا، وتبعه الإله «إنليل» وأبناؤه. أما «آيا» فقال : لماذا تريدون أن تربطونى بالقسم ؟ وكيف أنال شعبى بسوء بيدى هاتين ؟ وحزن «آيا» لأن شعبه الذى خلقه سيباد، فظهر فى حلم لأتراحسيس وقال له { حذار يا أتراحسيس، المياه .. المياه ستحطم كل شئ فانتبه لذلك، وخلص الإنسان بسلطان، حذار .. حذار} ففزع أتراحسيس من هذا الحلم ... وتوجه أتراحسيس فى الغد إلى معبد «آيا» يستفسر منه عن هـذا الحلم المزعج، فأوصاه «آيا» ببناء سفينة ضخمة مكعبة يدعوها (ماكور أوكر) أى منقذة الحياة، ويحمل فيها بذرة كل المخلوقات الحيَّة»[1] .

وجاء فى نص الأسطورة كما وردت فى سلسلة الأساطير السومرية ما قاله الإله «آيا» لأتراحسيس :

«أهدم بيتك وأصنع فلكاً .. لا تعتد بثروتك حتى تنجو بحياتك .. ليكن الفلك الذى ستصنعه ذات قياسات واحـدة (أى مكعـب الشكـل) .. غطه مثل «الأبسو».. حتى لا ترى الشمس ما فى داخله ... وليكن القار سميكاً، إجعله مقاوماً ..

(ثم أمره أن يحضر) الكثير من الطيور والكثير من الأسماك .. عندئذ ادخل الفلك وإغلق الباب .. إشحن فيه حبوبك وممتلكاتك وثرواتك .. وامرأتك وعائلتك .. وأقرباءك وأساتذة الفن أيضاً .. وسأنبهك حتى يكونوا قرب الباب.

فتح أتراحسيس فاه وتكلم .. قال : «آيا» سيدى .. أنا لم أصنع قط فلكاً .. إرسمه لى على التراب .. وهكذا بعد أن أرى الرسم أصنـع الفلـك .. رسم «آيا» على الأرض صورة الفلك .. وفتح الساعة المائية وملأها .. ملأها بالرمل ليعلن بعد سبع ليالٍ عن الطوفان .. تلق أتراحسيس هذه التعليمات .. وعند بيته جمع الشيوخ .. فتح أتراحسيس فمه .. وقال للشيوخ :

---

(١) خَزْعَل الماجى – إنجيل بابل ص ١٧٤، ١٧٥

مع إلهكم لم يعد إلهى على وفاق ٠٠ إن «أنكى» و «إنليل» فى خصام الواحد مع الآخر ٠

(وقبيل الطوفان) أصعد أتراحسيس إلى السفينة عائلته ٠٠ ومن ثمَّ أكلوا وشربوا، أما هو فكان يدخل ويخرج ٠٠ دون أن يجلس أو يقعد ٠٠ كان قلبه يتمزق ٠٠ والمرارة تملأ فمه ٠٠ وزمجر الإله «حدد» فى الغيوم ٠٠ وإذ سمعوا صوت الإله ٠٠ جلبوا القار لإحكام الباب ٠٠ وبعد أن أُغلق الباب ٠٠ كان يزمجر فى الغيوم «حدد» ٠٠ وحين يقف كانت الرياح تعصف ٠٠ عندئذ قطع الحبل وحرَّر السفينة ٠٠ فإنطلق الطوفان ٠٠ لم يعد الواحد يرى الآخر ٠٠ يخر الطوفان كالثور ٠٠ ويزأر كالنسر ويعوى كالريح ٠٠ كان الظلام دامساً وقد توارت الشمس»[١] ٠

وجاء ضمن النص الذى أورده فراس السواح ما قصه أتراحسيس لجلجامش فيما بعد عن أوصاف السفينة، وحمولتها، وهول الطوفان، وخوف الآلهة وبكائهم، وإنتهاء المأساة، وعودة البشر إلى الطين، ورسو السفينة، وإرسال الطيور، وتقديم الذبيحة، ومنح «إنليل» أتراحسيس الخلود، فدُعى باسم أوتنابشتيم، ونورد هذا الجزء الأكبر من النص بحسبما أورد فراس السواح

«جلب الأطفال القار { بينما } جلب الكبار { كل ذى } فائدة ٠٠ وفى اليوم الخامس أنهيت هيكل { السفينة } ٠٠٠ وحول كل جانب من جوانب سطحها مائة وعشرين ذراعاً ٠٠ حّددتُ شكلها الخارجى وشكَّلته ٠٠ وست سطوح سفلية بنيت فيها ٠٠ وبذلك قسمتها لسبع طوابق ٠٠ كما قمت بتقسيم أرضيتها لتسعة أقسام ٠٠ وثبتُ على جوانبها مصدات المياه ٠٠ زودتها بالمؤن والذخيرة ٠٠ وسكبت فى الفرن ست وزنات من القار ٠٠ وثلاث وزنات من الأسفلت ٠٠ ثلاث وزنات من الزيت آتى بها حاملو السلال ٠٠ واحدة إستهلكها نقع مصدات المياه

(١) سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق الأوسط ص ٣٥ – ٣٧

٠٠ وإثنتان قام ملامح السفينة بخزنها ٠٠ ذبحت للناس عجولاً ٠٠ ورحت أنحر الخراف كل يوم ٠٠ عصير العنب والخمر الأحمر والزيت والخمر الأبيض ٠٠ أعطيت الصناع فشربوا كما من نهر ماء ٠٠ وإحتفلوا كأعياد رأس السنة ٠٠

حملتُ إليها (إلى السفينة) ٠٠ كل ما أملكه من فضة حملت إليها ٠٠ كل ما أملكه من ذهب حملت إليها ٠٠ كل ما لدى من بذور، كل شئ حى إليها ٠٠ وبعد أن أدخلتُ إليها أهلى وأقاربى جميعاً ٠٠ وطرائد البرية ووحوشها وكل أصحاب الحرف ٠٠ عين لى الإله «شمس «وقتاً محدداً ٠٠ وعندما يرسل سيد العاصفة، مطراً مدمراً فى المساء ٠٠ أدخل الفلك وأغلق عليك بابك ٠٠

وما أن أزف الموعد ٠٠ حتى أرسل سيد العاصفة مطراً مدمراً فى المساء ٠٠ قلبت وجهى فى السماء، كان الجو مرعباً للنظر ٠٠ دخلت السفينة وأغلقت عليَّ بابى ٠٠ وأسلمت قيادتها للملاح بوزور – أمورى ٠٠ أسلمته الهيكل العظيم بكل ما فيه ٠٠ وما أن لاحت تباشير الصباح ٠٠ حتى علت للأفق غيمة كبيرة سوداء ٠٠ يجلجل فى وسطها صوت «حدد «٠٠ إلاَّ أن ثورة حدد بلغت حدود السماء ٠٠ أحالت إلى ظلمة ما كان مضيئاً ٠٠ وقام بتحطيم الأرض كما تحطم الجرة ٠٠ عصفت الريح العاتية يوماً كاملاً ٠٠ بعنف عصفت ٠٠ أتت على الناس وحصدتهم كما الحرب، حتى عمى الأخ عن أخيه ٠٠ وبات أهل السماء لا يرون أهل الأرض ٠٠

حتـى الآلهـة ذعروا مـن هول الطوفان ٠٠ وهربوا صاعدين إلى سماء «آنو «٠٠ إنكمشوا كالكلاب الخائفة وربضوا فى آسى٠ صرخت «عشتار «كإمرأة فى المخاض ٠٠ ناحت سيدة الآلهة ذات الصوت العذب ٠٠ وبكى معها آلهة الأنوناكى ٠٠ جلسوا يندبون وينوحون ٠٠ وقد غطوا أفواههم ٠٠ ستة أيام وستة ليالٍ ٠٠ والرياح تهب والعاصفة وسيول المطر تطغى على الأرض ٠٠ ومع حلول اليوم السابع، العاصفة والطوفان ٠٠ خففت من وطأتها وكانت قبل كأنها الجيوش المحاربة ٠٠ وأخذ البحر يهدأ والعاصفة تسكن، والطوفان يتوقف ٠٠

فتحتُ نافذة، فوقع النور على وجهى ·· نظرت إلى البحر، كان الهدوء شاملاً ·· وقد عاد البشر إلى الطين ·· جلست وإنحنيت أبكى ·· وإنسالت دموعى على وجهى ·· ثم نهضتُ وتطلعت فى كل الإتجاهات ·· مستطلعاً حدود البحر ·· على بعد إثنتى عشرة ساعة مضاعفة، إنبثقت قطع من الأرض ·· وإستقرت السفينة على جبل (نصير) ·· أمسك الجبل بالسفينة ومنعها من الحركة ·· ومضى اليوم الأول والثانى والجبل ممسك بالسفينة ·· ومضى اليوم الثالث والرابع والجبل ممسك بالسفينة ·· ومضى اليوم الخامس والسادس والجبل ممسك بالسفينة··

وعندما حل اليوم السابع ·· أتيتُ بحمامة وأطلقتها فى السماء ·· طارت الحمامة بعيداً وما لبثت أن عادت إليَّ ·· لم تجد مستقراً فآبت ·· فأتيت بسنونو وأطلقته فى السماء ·· طار بعيداً وما لبث أن عاد إليَّ ·· لم يجد موطناً لقدميه فآب ·· ثم أتيت بغراب وأطلقته فى السماء ·· فطار الغراب بعيداً ولما رأى أن الماء قد إنحسر ·· أكل وحام وحط ولم يعد ··

عند ذلك أطلقت الجميع للجهات الأربع وقدمت أضحية ·· سكبت خمر القربان على قمة الجبل ·· أقمتُ سبعة قدور وسبعة آخر ·· وجمعت تحتها قصب السكر الحلو وخشب الأز والأسى ·· فتنسم الآلهة الرائحة الزكية ·· تجمعوا على الأضحية كالذباب ·· وعندما وصلت الآلهة العظيمة (عشتار) ·· رفعت عقدها الكريم الذى صنعه «آنو» وفق رغباتها وقالت : ··

أيها الآلهة الحاضرون ·· كما لا أنسى هذا العقد اللازوردى ·· الذى يزين عنقى ·· فإننى لن أنسى هذه الأيام قط وسأذكرها دوماً ·· تقدموا جميعاً وقربوا من الذبيحة ·· إلاَّ إنليل وحده لن يقترب ·· لأنه سبب الطوفان دونما ترو ·· وأسلم شعبى للدمار ·· وعندما وصل إنليل ·· ورأى السفينة إنتابه الغيظ الشديد ·· وإستشاط غضباً من آلهة الأيجيجى

·· أنجا أحد من الفانين ؟ ألم يكن مُقدَّراً أن يهلكوا جميعاً ؟ ·· ففتح «ننورتا» فمه وقال مخاطباً إنليل المحارب :

من يستطيع أن يقوم بأمر دونما «آيا» ·· إن «آيا» وحده يعى كل الأمور ·· ففتح «آيا» فمه وقال مخاطباً إنليل المقاتل :

أيها المحارب، أيها الحكيم بين الآلهة ·· كيف، آه كيف دونما تفكر جلبت هذا الطوفان ؟ ·· حَمّل المذنب ذنبه، والآثم إثمه ·· إمهله حتى لا يفنى، ولا تهمله كى لا يفسد ·· كنتَ تستطيع بدل الطوفان أن تسلط الأسود لتنقص عدد البشر ·· كنتَ تستطيع أن تطلق الذئاب فتنقص من تعدادهم ·· أو تُحدث القحط الذى يهلك البلاد ·· أو تأتى بـ إيرا ·· فيحصد الناس ·· ثم أننى لستُ الذى أفشى سر الآلهة العظام ·· لقد أريتُ أتراحسيس ·· حلماً فاستشف منه السر ·· والآن أعقد أمرك بشأنه ··

فصعد إنليل إلى السفينة ·· وأخذ بيدى وأصعدنى معه ·· كما أصعد زوجتى أيضاً وجعلها تركع إلى جوارى ·· ثم وقف بيننا ولمس جبهتينا مباركاً :

ما كنت ياأوتونابشتيم إلاّ بشراً فانياً ·· ولكنك وزوجك منذ الآن ستغدوان مثلنا (خالدين) ·· وفى القاصى البعيد عند فم الأنهار ستعيشان ·· ثم أخذونى وأسكنونى فى البعيد حيث فم الأنهار»[1] ·

(راجع أيضاً خَزْعَل الماجدى – إنجيل بابل ص ١٧٨ – ١٨٤) ·

ونرجئ التعليق أيضاً على ملحمة أتراحسيس إلى إجابة السؤال رقم (٢٩١)·

---

(١) مغامرة العقل الأولى ص ١٣٠ - ١٢٤

س٢٩٠ : عاش جلجامش كشخصية أسطورية ملكاً لمدينة «أوروك» فظلم أهلهـا وبطش بهم، مما إضطر الآلهة لخلقة «أنكيدو» كغريم له، فتصارعا، ثم تصادقا، ومرَّ الإثنان بمغامرات عجيبة، ومات أنكيدو، وذهب جلجامش لمغامرته الكبرى يسعى نحو الخلود ٠٠ كيف حدث هذا فى الأساطير ؟

ج : ١- كثيرون من النُقَّاد يذكرون قصة جلجامش ويدَّعون أن سفر التكوين أخذ منها قصة الطوفان، ولذلك دعنا ياصديقى نخوض قليلاً فى أعماق هذه القصة ليدرك الجميع مدى بعدها عن سفر التكوين٠

٢- عُثــر على ملحمــة جلجــامش مجــزأة فى مكتبة ملــك أشــور «أشور بانيبال »(٦٦٩ – ٦٢٩ ق٠م) مسجلة على إثنى عشر لوحاً، تحتوى على ٣٦٠٠ بيت شعرى، وفــى سنة ١٨٧٢م أعلــن الموظف البسيط بالمتحــف البريطانى بلندن «جورج سميث» عن توصله لحل رموز أحد الألواح، وتتابعت البعثات الإستكشافية على المنطقة إلى أن تم الكشف عن الألواح الإثنى عشر، وبعد دراستها أعلن بعض البحاث أن هناك تشابهاً بينها وبين قصة الطوفان التوراتية، فيقول زينون كوسيدوفسكى «وقد أثبتت أدق التفاصيل صحة نظريته (نظرية جورج سميث الذى فك رموز ملحمة جلجامس) وذلك كإطلاق الغراب والحمامة، وكوصف الجبل الذى رسا عنده الفلك، وكطول مدة الطوفان، وكالعبرة من الأسطورة : عقاب البشرية على أخطائها وأفعالها الدنيئة وإنقاذ الإنسان المؤمن الشريف»٠ [1]

٣- جاء فى سلسلة الأساطير السورية «تحكى هذه الملحمة الطويلة مغامرات أحد ملوك «أوروك» فى غابر الأزمان وهو «جلجامش» الذى أُشتهر سواء بالنسبة إلى مآثره التى حققها أو للصعوبات التى تغلب عليها، وشخصية جلجامش هى بالفعل

---

(١) ترجمة د٠ محمد مخلوف – الأسطورة والحقيقية فى القصص التوراتية ص ١٦

نصف خرافية، وإن لائحة الملوك السومريين لتؤكد أن مدة حكم جلجامش إمتدت قرابة ١٢٧ سنة، وعلى هذا النحو يكون خامس ملك فى السلالة الأولى مباشرة بعد الطوفان ٠٠ فمن الممكن إذاً أن يكون الملك جلجامش قد لعب بالفعل دوراً هاماً فى مدينة «أوروك» حوالى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، وبعد موته، سرعان ما نشأت أسطورة حول شخصيته»[١] ٠

ويصف «ول ديورانت» جلجامش قائلاً «فهو طويل القامة، ضخم الجسم، مفتول العضلات، جرئ مقدام، جميل يفتن الناس بجماله ٠٠ لا يماثله أحد فى صورة جسمه ٠٠ يرى جميع الأشياء، ولو كانت فى أطراف العالم ٠٠ كان كل شئ وعرف كل شئ ٠٠ وإطلع على جميع الأسرار ٠٠ وإخترق ستار الحكمة الذى يحجب كل شئ ٠٠ ورأى ما كان خافياً ٠٠ وكشف الغطاء عما كان مغطى ٠٠ وجاء بأخبار الأيام التى كانت قبل الطوفان ٠٠ وسار فى طريق بعيد طويل ٠٠ كابد فيه المشاق والآلام ٠٠ ثم كتب على لوح حجرى كل ما قام به من الأعمال» ٠[٢]

٤- عاش جلجامش كما جاء فى الملحمة فى مدينة «أوروك» فصار ملكها وبطلها، وكان ثلثه إله، وثلثاه إنسان، وقد مهرته أمه الإلهـة «نينسون» بالجمال، عاش حياة اللهو والصيد والبطش بالناس، حتى لم يترك إبناً لأبيه، ولا إبنة لحبيبها، فشكاه الناس للآلهة، فطلب الإله «آنو» من الإلهة «أرورو» التى خلقت جلجامش أن تخلق غريماً له ليتصارعا معاً، وتستريح مدينة أوروك من شر جلجامش، فخلقـت «أرورو» «أنكيـدو» ، وبعـد أن تصـارع «أنكيدو» مع «جلجامش» صارت بينهما صداقة حميمة، وقام الصديقان بعدة مغامرات، وفى إحدى هذه المغامرات تعرض أنكيدو للموت، فاستيقظ جلجامش على المأساة الحقيقية وهى موت الإنسان، فهام على وجهه فى الصحارى والبرارى باحثاً عن وسيلة يحصل بها على الخلود، إلى أن

---

(١) سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق الأوسط ص ١٦٩

(٢) ترجمة د٠ زكى نجيب محمود، ومحمد بدران – قصة الحضارة – المجلد الأول (٢) ص ٢٣٩، ٢٤٠

وصل إلى أوتنابشتيم بطل الطوفان الذى حاز الخلود من قبل، فأرشده إلى نبات ينمو فى المياه العميقة، وإستطاع جلجامش الحصول على النبات، ورجع به فرحاً، وفى طريق عودته وجد ماءاً عذباً فنزل ليستحم فيه، وإذ بالحيَّة اللعينة تسرق هذا النبات، وتسلب الخلود من جلجامش، وهاك ملخص لما جاء فى الألواح الإثنى عشر والتى تضمنت الأحداث الآتية :

١- قـام جلجامش ببناء سور مدينة أوروك، ومعبد عشتار إلاَّ إنه ظلم الشعب، فشكوه إلى «آنو» رب الأرباب فأمر الربة «أرورو» فخلقت «أنكيدو» المخلوق العجيب المخيف نظيراً لجلجامش، فجاء فى الملحمة «أورورو أنتِ خلقتِ جلجامش ·· فأخلقى الآن شبيهاً له ·· لينافس قلبه الثائر ·· وليتباريا فترتاح أوروك ·· (أورورو) وهـى تستمـع إلـى هذه الأقوال ·· خلقته فى قلبها مثل (آنو) ·· غسلت (أورورو) يديها ·· فأخذت طينة ورمتها على الأرض ·· فخلقت البطل ·· المولود فى منتصف الليل، جندى (ننورتا) ·· يكسو الشعر كله جسمه» (ول ديورانت – قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران المجلد الأول جـ٢ القاهرة سنة ١٩٦١ ص ٢١٧)[١] ·

٢- أرسل جلجامش عاهرة إلى أنكيدو، فقادته إلى مدينة أوروك حتى إلتقى به جلجامس وتصارعا معاً·

٣- صارت صداقة حميمة بين جلجامش وأنكيدور، وقاما بثورة ضد خمبابا الذى يقيم فى غابة الأرز·

٤- وصول جلجامش وأنكيدو إلى بوابة الأرز التى يحرسها حارس يتلقى أوامره من خمبابا، وخوف جلجامش وتشجيع أنكيدو له·

---

(١) الأب سهيل قاشا – أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ٣٤٣

٥- جلجامش وأنكيدو يتاملأن أشجار الأرز المرتفعة، ويقبضان على خمبابا ويقطعان رأسه٠

٦- لقاء عشتار بجلجامش، وعرضها الزواج منه، إلاَّ أنه يرفض ويذكّرها بأحبابها السابقين الذين غدرت بهم، فترسل إليه الثور السماوى، ولكن جلجامش وأنكيدو يقتلانه٠

٧- موت أنكيدو بناء على قرار الأرباب٠

٨- حزن جلجامش ونوحه على أنكيدو، وإرتدائه جلد أسد وتجواله فى البرارى

٩- ذهاب جلجامش إلى ماشو حيث الرجل العقرب٠

١٠- وصول جلجامش إلى حانة، وصاحبة الحانة تنصحه بعدم مواصلة السفر بحثاً عن الخلود٠ ثم يلتقى جلجامش بالملاح أورشنابى الذى يطلب منه أن يقطع ١٢٠ عموداً كل منها ٦٠ ذراعاً، ففعل جلجامش هكذا، وعبر مع الملاك مياه الموت٠

١١- لقاء جلجامش مع أوتنبشتايم، الذى يحكى له قصة الطوفان والخلود٠

١٢- عودة جلجامش إلى أوروك عاصمته فاشلاً بعد أن سلبت الحيَّة منه شجرة الحياة (راجع الأب سهيل قاشا – أثر الكتابات البابلية على المدوَّنات التوراتية ص ١٩٧، ١٩٨) ٠

وفيما يلى نلقى الضوء على بعض عناصر الملحمة :

١- صداقة جلجامش مع أنكيدو بعد صراعهما معاً :

عندما شكى سكان مدينة «أوروك ملكهم الظالم جلجامش للإله «آنو» طلب الإله «آنو» من الإلهة «أرورو» أن تخلق غريماً لجلجامش، فغسلت «ارورو» يديها وأخذت قطعة

من الآجر ويصقت عليها، فخلقت أنكيدو البطل، الذى إكتسى جسمه كله بالشعـر، وكانت جدائل شعره كجدائل شعر المرأة، وعاش فى الصحراء، يأكل العشب مع الغزلان، وفى يوم رآه صياد شرير فإرتاع من منظره وهرب، بينما نزع أنكيدو الشباك التى نصبها الصياد لصيد الحيوانات، وتكرر اللقاء نحو ثلاث مرات، فأخبر الصياد أبيه بهذا الرجل المفتول العضلات، الذى لا يرتدى ملابس، ومنظره مرعب، فنصحه أباه بأن يذهب إلى الملك جلجامش ويخبره بهذا ٠

فذهب الصياد يخبر جلجامش «هناك رجل عجيب إنحدر من المرتفعات ٠٠ إنه أقوى من فى البلاد، وذو بأس شديـد ٠٠ وهـو فى شدة بأسه مثل عزم «آنو «إنه يجوب السُهوب ويأكل العشب ٠٠ ويرعى الكلا مع حيوان البر، ويسقى معها عند مورد الماء ٠٠ لقد ذعرت منه فلم أقوى على الإقتراب منه ٠٠ لقد طمى الآبار التى حفرتها ٠٠ ومزَّق شباكى التى نصبت» ٠[(١)]

فنصح جلجامش الصياد أن يصطحب معه امرأة عاهرة، تحاول أن تجتذبه بمفاتنها، حتى تسقطه، وعندئذ سيبتعد حيوان البر عنه، فأخذ الصياد المرأة وذهب إلى مورد المياه، وإنتظرا «أنكيدو» حتى حضر، فظهرت له المرأة وأغرته قائلة «إنك جميل يا إنكيدو كالأله، فلماذا تجوب البرية مع الحيوانات، تعالَ آخذك إلى أوروك» وإقتنع أنكيدو فذهب معها إلى المدينة وعلمته كيف يكتسى ويعيش كإنسان وسط الناس، وكيف يأكل الخبز ويشرب المسكر، وأخذ «أنكيدو» سلاحه وإنطلق يطارد الأسود ويصطاد الذئاب ليريح الرعاة، وعندما كلمته عن جلجامش الذى يعتقد بأنه أقوى الرجال، قال لها أنكيدو : إننى أرغب فى مصارعته، وفعلاً ذهب «انكيدو» إلى المدينة، وتصارع مع جلجامش حتى هدما العتبة وحطما عود الباب وإرتج الحائط، وقد إلتوَت رجل جلجامش بينما بقيت رجل أنكيدو ثابتة على الأرض، فاعترف جلجامش بقوة أنكيدو،

(١) الأب سهيل قاشا – التوراة البابلية ص ١٣٩، ١٤٠

وتعانق الإثنان وصارا صديقان (راجع سلسلة الأساطير الروسية – ديانات الشرق الأوسط ص ١٧٣ – ١٩٠) .

٢- صراع جلجامش وأنكيدو مع همبابا (هواواوا) :

همبابا هو حارس شجر الأرز على جبل لبنان ذو هيئة مرعبة، زمجرته كالطوفان، وفمه كالنار، ونفسه الموت الزؤوم، الكل يرتعبون من مجرد إسمه، فأراد جلجامش أن يقتله ليصنع له إسماً، ويصير ملكاً على كل البلاد، ولم يستجب جلجامش لتحذير أنكيدو ولا لشيوخ أوروك، فقال له شيوخ أوروك «ليكن معك إلهك الحارس «وصلى جلجامش إلى الإله «شمس» طالباً معونته، فلم يطمئنه الإله، فأسرع جلجامش إلى أمه الإلهة «نينسون» التى إغتسلت، وفركت جسمها بالطيب، وتزينت بالعقد وتمنطقت بالزنار ولبست التاج، وصعدت إلى الإله «شمس» وأحرقت أمامه البخور وقدمت القربان فاستجاب لها وقال «شمس» لجلجامش أسرع إلى همبابا قبل أن يختفى فى الغابة، وقبل أن يلبس دروعه السبعة، فقد لبس واحدة منها فقط، فأمسك جلجامش بيد أنكيدو وتوغلا معاً فى غابة الأرز كالثور الوحشى ، وإحتدمت المعركة، وإنتهت بقتل همبابا (راجع سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق الأوسط ص ١٩٠ – ٢١١) .

٣- صراع جلجامش وأنكيدو مع الثور السماوى :

بعد أن قتل جلجامش وأنكيدو «همبابا» عادا إلى أوروك ولبس جلجامش التاج، فأعجبت به الإلهة عشتار، وطلبت الزواج منه، ووعدته أنها ستهيئ له مركبة ذهبية تقودها الزوابع، وستجعل الكهان يقبلون قدميه، وينحنى أمامه الملوك والأمراء، ولكن جلجامش رفض طلبها

لأنها غدرت بكل من أحبتهـم قائلاً «إنى لن أقترن بك، أنتِ لستِ أكثر من موقد ينطفئ عند ملامسته الجليد، أنتِ كالباب الناقص لا يصد عاصفة ولا ريحاً، أنتِ قصر يتحطم عليه الأبطال ·· وقير (زفت) يلوث من يحمله، وقربة تُبلل من يحملها ·· أنتِ منجنيق حصاد يدمر البلاد ·· أنتِ حذاء يقرص قدم منتعله، من هو العشيق الذى أحببتيه أبداً ؟ أى طير ·· نجا من فخاخك، تعالِ أذكر لك عشاقك البؤساء» وأخذ يعدد لها عشاقهـا الـذى إنتقمت منهـم تموز، والأسد، والحصان، والراعى، والبستانى «أيشولانون» ·

ولما سمعت عشتار جلجامش غضبت وصعدت إلى أبيها الإله «آنو» وأمها الإلهة «آنتو» وطلبت الثور السماوى لينتقم لها من جلجامش وإلاَّ فإنها ستحطم باب العالم الأسفل وتقيم الأموات حتى يأكلوا الأحياء، فقال لها أبيها «آنو» إن أعطيتك الثور السماوى فستمر بلاد أوروك بسبع سنين عجاف، لا يبقى فيها غير التبن، فيجب أن تجمعى الحبوب بوفرة إستعدادا لهذه المجاعة، فأخبرته أنها فعلت هكذا، فأعطاها «الثور السماوى» الذى شرب من النهر سبع جرعات فجف ماءه، وعلى خواره إنفتحت ثغرة وقع فيها مئات المحاربين، وهكذا خار ثانية، وفى الخوار الثالث انفتحت ثغرة بجوار أنكيدو فوقع فيها، ثم قفز منها وأمسك بقرنى الثور، فرش الثور الزبد فى وجهه، وضربه بذنبه الغليظ، فإستنجد بجلجامش، وتمكن الإثنان من قتل الثور، فأخذت عشتار تنتحب وتنوح فقذفها جلجامش بفخذ الثور قائلا : لو أمسكت بك لقتلتك مثله، وخرج جلجامش بنصرته على الثور السماوى قائلا لوصيفات قصره : من هو الأجمل من بين الشباب ؟ من هو الرائع بين الذكور ؟ إنه جلجامش الأجمل بين الشباب، إنه جلجامش الرائـع بين الذكـور (راجع سلسلة الأساطير السـومرية – ديـانات الشرق الأوسط ص ٢١١- ٢١٨) ·

وفى قصة مشابهة هاجم «أكا» ملك كيش مدينة أوروك فإستشار جلجامش شيوخ أوروك فرأوا الإذعان لأكا، ولكن مجلس محاربى أوروك رفض مشورة الشيوخ، فإحتدمت المعركة وهُزم جلجامش وعاتب الإله «إنليل» بعد أن قدم له النذور، فأخبره «إنليل» إن أمر الحرب مع إبنته «إنانا» وإستدعاها، فأعجبت بجلجامش، وحاولت التقرب إليه، ولكن جلجامش إعتذر لأنه يعرف ماذا تفعل «إنانا» بأحبائها إذ تنتقم منهم، فأحمرت عيون «إنانا» وزمجرت وأرعدت، وهددت وتوعدت، وطلبت من«آن» رب الأرباب المقدَّس أن يهبها ثور السماء ليمح جلجامش مع مدينته، فنالت طلبها، وأخذ الثور يقتل ويدمر ويهدم، ففرَّ الناس مذعورين، وخرج جلجامش يحمل رمحه وشبكته وأسلحة قتاله، فألقى بشبكته على الثور ولكن الثور مزقها بقرنيه، فأطلق سلسلته على الثور فخر بين أقدامه وهزمه، فقال جلجامش لأنانا «لقد هزمت ثورك . هزمت غضبك المقدَّس يا إبنه السماء، وإنى لأسألك أن تكفى عن ملاحقتى . إنى لأسألك بإسم أخيك (أوتو) أن تكونى معى فى الحرب ضد الأعداء، إن أوروك مقدَّسة يا إبنه السماء، وأنت حارستها، فإرجعى إلى رشدك» وتشفع جلجامش بأوتو فرجعت أنانا عن ثورة غضبها، ورضت عن جلجامش، وتوَّجته بطلاً على أوروك وسومر كلها، وتعهدت برعايته (راجع خَزْعَل الماجدى - إنجيل سومر ص٢١١ - ٢١٧) .

٤- موت أنكيدو وطلب جلجامش الخلود :

بعد أن قتل جلجامش وأنكيدو الثور السماوى غضبت الآلهه، و قال «آنو» لإنليل : لماذا قتل جلجامش وانكيدو الثور السماوى، وقتلا أيضاً همبابا يجب أن يموتا، فقال «إنليل» يموت أنكيدو أما جلجامش فلا يموت، فإعترض الإله «شمس» قائلاً لإنليل : أليس بأمرك قتلا

الثور السماوى وهمبابا ؟ فلماذا يموت أنكيدو البرئ ؟ فثار إنليل على الإله «شمس» قائلاً : إنك فى كل يوم كنت تنزل إليهما، وكأنك رفيق لهما ·

وتعرض أنكيدو لمرض شديد، وأخذ يشتم الصياد والمرأة اللذان أخرجاه من حياته فى البرية، وبكى أمام الإله «شمس» طالبا النقمــة للصياد قائلاً لشمس « دَمِرْ رمحه وقلِّل من قدرته، فلتكن حصته أمامك ضئيلة، وبدلاً من أن تدخل الطريدة شباكه، تخرج منها مثل سحابة، وقال للمرأة التى أخرجته من حياة الصحراء : تعالِ إلى هنا أيتها البغى لأحدد لك قدرك ·· سأنزل بك لعنة كبرى، وستحل عليك لعنتى فوراً، إنك لن تقيمى بيتاً يجلب لــك السعادة ·· ولكن الإله « شمس » إحتج على أنكيدو قائلاً له : إن هذه المرأة هى التى أطعمتك الخبز الذى يليق بالآلهه، وقدمت لك الجعة الناعمة التى تليق بالأمراء، وألبستك رداءاً فخماً، وجعلت لك جلجامش الجميل رفيقاً· إن أمراء الأرض يقبلون قدميك، فهدأت ثورة أنكيدو وخاطب المرأة قائلاً : وأنتِ يابنت الهوى تعالى لأحدد لك قدرك، وليباركك فمى الذى سبق وشتمك، وليمجدك الحكام والأمراء ·· ويعطيك الحجر الأسود الكريم واللازورد، بأقراط من ذهب مطروق يملأ حضنك ··

ثم إشتد المرض على أنكيدو، ورأى حلماً قصه على صديقه جلجامش الذى لم يفارقه قائلاً : حلمت بمخلوق عجيب يداه تشبهان قوائم الأسد، وأظافره تحاكى مخالب النسر، فأمسكنى بخصلة شعرى، وحملنى إلى الجحيم، فإكتست ذراعاى بالريش وكأنى طائر، فأمسك بى وقادنى إلى مسكن مظلم، حيث لم يكن لمدخله مخرج، إلى الطريق الذى لا رجوع منه، إلى الجحيم ورأيت الناس كالطيور يلبسون أردية من الريش حتى الذين حكموا الأرض، والأنبياء والقديسون والوزراء، يأكلون الطين، ورأيت ملكــة الجحيم «أريشكيجال» وأمينة سر الجحيم «بعلى سيرى» تركع أمامها·

وبعد نحو إثنى عشر يوماً مات أنكيدو، فبكاه جلجامش بحرقة قائلاً : ياصديقى أنكيدو إن الغزالة أمك، والحمار الوحشى أبوك اللذين أنجباك ·· فلتبكَ مسالك أنكيدو فى حراج لغابة الأرز ·· وليبكَ الشيوخ إلى شارع أوروك العريض، ولتبكَ رؤوس الجبال والتلال، التى إعتليناها سوية نحن الإثنان، ولتنتحب البرارى ·· ليبكك الدب والضبع والفهد والنمر والوعل والثعلب، والأسد والثور الوحشى والأيل والكبش والماشية والحيونات المدهشة ·· وليبكك الفرات العَذب، وليأت رجال أوروك ويبكوكَ، هؤلاء الذين شهدوا مآثرنا، والمدينة حيث قتلنا الثور ·· لقد قتلنا همبابا ·· فما هو هذا النعاس الذى إستولى عليك، لقد فقدت الوعى حتى أصبحت لا تسمعنى، لم تعد ترفع رأسك، وقلبك توقف عن الخفقان، وغطى جلجامش وجه صديقه بحنان بالغ، وصار يدور بلا إنقطاع حول صديقه أنكيدو، وصرخ بأهل البلاد : أيها الحدادون والنحاتون والصياغ وناقشوا الأحجار الكريمة، إصنعوا تمثالاً لصديقى، وسرعان ما صنعوا له التمثال ·· صورة من اللازورد وجسمه من الذهب· وبعد هذا أهمل جلجامش شعره، وإرتدى جلد أسد وهام فى البرارى، وهو فى ثورة داخلية ضد الموت لأنه لا يريد أن يموت، وقال أذهبُ إلى أوتنابشتيم بطل الطوفان وإسأله كيف حصل على الخلود (راجع سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق الأوسط ص ٢١٩ ، ٢٣١) ·

وفى أسطورة أخرى إقتلعت الإلهة «إنانا» شجرة سنديان من على ضفاف الفرات وغرستها فى مدينة أوروك فنمت وإمتدت، وأوت تحتها حيَّة، ولكن جلجامش قتل الحيَّة وقطع الشجرة، فقامت «إنانا» بتصنيع آلة موسيقية وعصى من جزع الشجرة، ومنحتهما لجلجامش الذى فرح بهما، وراح جلجامش يعزف على الآلة الموسيقية، ولكنها سقطت مع العصا فى عمق الجحيم، فجلس يبكى، فقال له أنكيدو : لماذا تبكِ ؟ ولماذا قلبك فى غم ؟ أنا اليوم سأعيد لك الآلة والعصا من جوف الجحيم.

نصح جلجامش صديقه أنكيدو أن لا يلبس ثياباً نظيفة، ولا يمسح جسده بالزيت المعطر، ولا يرمي بحربة ولا يرفع هراوة، ولا يلبس حذاء، وفي الجحيم عندما يرى زوجته أو إبنه اللذين يحبهما لا يقبّلهما، وعندما يرى زوجته أو إبنه اللذان يكرهما فلا يضربهما، حتى لا تحتجزه «أم نينازو» فى الجحيم، ولكن أنكيدو فعل عكس وصية جلجامش له، فأيقظ « أم نينازو » التى إحتجزته فى الجحيم، وفشل فى الصعود للأرض ثانية.

أما جلجامش فظل يبكى عليه، وإلتجأ إلى الإله «إنليل» فلم يبالى، وهكذا الإله «سين» لم يبالى أيضاً. أما الأب «آيا» فقد طلب من البطل «نرجال» أن يفتح ثغرة فى الأرض لتخرج منها روح «أنكيدو»، وهكذا إلتقى جلجامش بروح أنكيدو وتعانقا الإثنان، ورقصا معاً إلى حد الإعياء، ثم سأل جلجامش صديقه أنكيدو عن حالة الذين يعيشون فى الجحيم، فقال أنكيدو :

إن الجسد يا جلجامش الذى كان يلذ لك أن تلمسه أكله الدود وكأنه خرقة بالية، وإن المعاملة فى الجحيم تتم بناء على عدد أولاد المحتجز فى الجحيم، فالذى لديه ولد واحد يجلس منطرحاً منهوك القوى عند أسفل الحائط يبكى بمرارة، ومن له ولدان يعيش فى بيت من القرميد ويأكل خبزاً، ومن له ثلاثة أولاد يشرب الماء من قدور الجحيم، ومن له أربعة أولاد فقلبه فرح، ومن له خمسة أولاد فإنه يسكن مع العظماء وله مداخلة فى القصر، ومن له ست أولاد يجر المحراث وقلبه مبتهج، ومن مات ميتة مجيدة يرقد على فراشه ويشرب ماء صافية، وأبوه وأمه يرفعان رأسه وزوجته تحتضنه .. إلخ (راجع سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق الأوسط ص ٢٥٩ – ٢٦٤) .

٥- رحلة جلجامش للحصول على الخلود :

بعد موت «أنكيدو» هام جلجامش على وجهه فى الصحراء، وهو يبكى بكاءاً مراً قائلاً : هل سأموت أنا أيضاً ؟ .. إن خوفى من الموت يدفعنى إلى أن أهيم فى الصحراء، فلأذهب إلى

أوتنابشتيم الذى حصل على الخلود وأسأله عن سر الخلود، وبدأ جلجامش رحلته إلى أوتنابشتيم، فمر بسبع عقبات شديدة وهى :

١- عندما بلغ جلجامش ممرات الجبال مساءاً، ورأى الأسود تملكه الرعب، فصلى للإله «سين» إله القمر، وكانت الأسود تمرح مسرورة فى ضوء القمر، فرفع جلجامش فأسه، وإستل سيفه وإنقض على الأسود فمزقها إرباً٠

٢- عندما وصل جلجامش إلى أسفل جبل «ماشو» العظيم المضاء بنور الشمس، وكان يحرس الباب «بشر عقارب» إرتعب جلجامش وإصفر وجهه فزعاً، وخاطب الرجل العقرب سليل الآلهة جلجامش : لماذا حمَّلت نفسك عناء هذا السفر البعيد وأتيت إلى هنا أمامى ؟ وبعد أن إجتزت الأنهار ومعابرها العسيرة، أريد أن أعرف إلى أين تقودك طريقك ؟ ٠٠ فأجاب جلجامش الرجل العقرب : إننى قطعت طريقاً طويلاً للوصول إلى أوتنابشتيم، لأسأله عن سرد الخلود، ولغز الحياة والموت٠

فقال الرجل العقرب : يا جلجامش لم يقم قبلك رجل، يقطع مثل هذا الطريق، ولم يرَ أحد حتى الآن أغوار الجبال، ثم شجعه الرجل العقرب قائلاً : إذهب ولا تخشى شيئاً بعد الآن، لقد أوضحت لك عن الجبال التوائم، فلتقدك قدماك سالماً معافى إلى منتهى رحلتك، لأن باب الجبل مفتوح أمامك٠

٣- دخل جلجامش إلى طريق الشمس، وبعد سير ساعة إختفى النور، وواصل جلجامش مسيرته عبر ظلام كثيف، حتى إنه لم يعد يرى شيئاً، وبعد تسع ساعات شعر بالريح تلفح وجهه، ثم سار عشر ساعات مضاعفة فأشرق عليه النور، وبعد إثنى عشرة ساعة مضاعفة صارت الأرض منيرة٠

٤- وصل جلجامش إلى غابة الأحجار والمعادن، فرأى أشجاراً تحمل عقيق أحمر، والعنقود يتدلى لمَّاع المنظر، واللازورد قد أورق، وهو يحمل ثماره ضاحكاً، فقطع هذه الغابة وواصل سيره٠

٥- صار جلجامش ساعات مضاعفة، وهو يغطى ظهره بجلد الحيوانات إلى ساحل البحر، فوصل إلى حانة (مسدورى) وعندما رأته صاحبة الحانة أوصدت الباب وأحكمت غلقه بالمزلاج، فقال لها جلجامش : يا صاحبة الحانة، ماذا رأيتِ حتى أغلقتِ مصراعك، وحتى أوصدت بابك ؟ إنى سأكسر مزلاجك، إذا أوصدت الباب فى وجهى ٠٠ أنا جلجامش الذى قتل الثور الهابط من السماء، وفى الغابة قتلت من كان يحرسها، صرعت «همبابا» الذى كان يسكن غابة الأرز، وفى الجبل قتلت أسوداً٠

فقالت له صاحبة الحانة : إن كنت أنت الذى أمسك بالثور الإلهى وقتلته، فلِمَ ذبلت وجنتاك ولاح الغم على وجهك ؟ ٠٠ وعلاّم تملك الحزن قلبك وتبدلت ملامحك ؟ ٠٠ وكيف لفح وجهك الحر ؟ ٠٠ وعلاّم تهيم على وجهك فى البرارى ؟

فأجاب جلجامش : إذا كان وجهى قد إمتقع، وذبلت وجنتاى، وإمتلأ قلبى آسى ٠٠ فذلك لخوفى من الموت ٠٠ أين صديقى أنكيدو الذى كنت أحبه ؟ ٠٠ لقد أصبح شبيهاً بالطين ٠٠ لم أسمح لهم بدفنه، حتى أرى إن كان صديقى سينهض على وقع صراخى، سبعة أيام وسبع ليالٍ، إلى أن سقط الدود من أنفه، وبعد موته لم أعد أذق طعماً للحياة ٠٠ والآن ياصاحبة الحانة وقد رأيتُ وجهك، أيمكننى ألاَّ أرى الموت الذى لا أنفك أخافه ؟!

أجابت صاحبة الحانة : ياجلجامش إلى أين أنت سائر ؟ إن الحياة التى تريدها لن تجدها، لأنها لما خلقت الآلهة البشرية، قدَّرت لها الموت، وإستأثرت هى بالحياة الأبدية ٠٠ أما أنت ياجلجامش فلتكن معدتك مملوءة، وإسترسل بالفرح ليل نهار، وبالسرور كل يوم ٠٠ ارقص ليل نهار واعزف الموسيقى، واجعل ثيابك نظيفة زاهية، واغسل رأسك واستحم فى الماء، وانظر إلى الطفل الذى يمسك بيدك، وإفرِح زوجتك التى بين أحضانك، هذا هو كل ما تستطيع البشرية عمله ٠٠

قال جلجامش : والآن ياصاحبة الحانة، أين الطريق إلى أوتنابشتيم ؟ ٠٠ بالإمكان أن أجوز البحر، وإلاً سأعود إلى البرارى.

قالت صاحبة الحانة : ليس هناك من معبر آخر، ولا أحد من زمن بعيد سبق له أن عبر البحر ٠٠ من أين ياجلجامش تستطيع أن تعبر البحر، حتى تصل إلى مياه الموت ماذا تعمل ؟ ياجلجامش يوجد هنا «أورشنابو» (سور سنابو) ملاح أوتنابشتيم ٠٠ إن لديه تمثالين من حجر، وها هو الآن فى الغابة يجمــع الزحــافات، أذهب كى يرى وجهك، وإن أمكن فأعبر معه، وإلاً فعد أدراجك ٠٠

٦- حمل جلجامش سيفه، وإخترق الغابة كسهم، حتى إلتقى باور شنابو الذى سأله عن حزنه الشديد، فشرح له جلجامش بالتفصيل قصة موت صديقه أنكيدو، وسأله جلجامش أن يدله على أوتنابشتيم، فطلب منه أورشنابو أن يقطع ١٢٠ عصا من الغابة طول كل منها ٣٠ ذراعًا (وفى إنجيل بابل ٦٠ ذراعاً) وأن يطلها بالقار، ففعل جلجامش هكذا٠

٧- صنع جلجامش هذه السفينة البدائية، وإصطحب معه أورشنابو، وأبحر فى مياه الموت، وحذر أورشنابو جلجامش لئلا تمس يده مياه الموت، ونزع جلجامش ثيابه ونشرها بيديه كأنها شراع ٠٠

وأخيراً وصلت السفينة إلى أوتناشتيم الذى سأل جلجامش عن سبب حزنه الشديد، فحكى له جلجامش كل شئ بالتفصيل، فقال له أوتنابشتيم : لماذا يتملكك الضيق إلى هذا الحد ياجلجامش ؟ أنت الذى جسدك من مادة الآلهة والبشر، أنت الذى يعاملك الآلهة وكأنهم أمك وأبوك، وأخذ أوتنابشتيم يسدى النصح لجلجامش لقبول الفلسفة الواقعية، وحكى أوتنابشتيم لجلجامش قصة الطوفان بالتفصيل، وامتحن أوتنابشتيم جلجامش، بأن طلب منه أن لا ينام ستة أيام وسبعة ليالى، ولكن جلجامش فشل فى هذا الإمتحان، وأخذته سُنة من النوم، فقال

أوتنابشتيم لزوجته : أنظرى هذا الفتى الذى ينشد الحياة، والنعاس كالضباب ينتشر فوقه، فقالت له : ألمس هذا الرجل لكى يستيقظ ويعود من حيث أتى سليماً معافى.

وطلب أوتنابشتيم من أورشنابو أن يصطحب جلجامش لكى يغسل شعره المتسخ ليصبح نظيفاً كالثلـج، ويطرح عنه جلود الحيوانات التى يرتديها فى البحر، ويلبس حلة جميلة، ويصنع عمامة فوق رأسه، وحدث هذا، ثم ركب جلجامش السفينة ليعود إلى وطنه.

فقالت زوجة أوتنابشتيم لزوجها : لقد أتى جلجامش إلى هنا وقاسى المشقة والتعب، فماذا عساك أن تمنحه وهو عائد إلى بلاده ؟

فقال أوتنابشتيم : ياجلجامش .. سأكشف لك عن سر، وأقول لك ما لا يعرفه سائر البشر، فالأمر يتعلق بنبتة تنبت فى البحر جذرها الشوك، إنها كالورد شوكه يغز فى يديك، فإذا ما حصلت على هذا النبات، تكون قد حصلت على الحياة الأبدية.

وما أن سمع جلجامش هذا القول، حتى ربط رجليه بأحجار ثقيلة، وألقى بنفسه فى البحر، وغاص فى الأعماق، وإستولى على النبتة وإن كانت قد وخذت يده، وقطع الأحجار الثقيلة من قدميه، فقذفه البحر إلى الشاطئ الذى لم يلبث أن غادره.

فقال جلجامش لأورشنابو الملاح : ياأورشنابو هذه النبتة ضد الكرب، وبها يصل المرء إلى كامل الشفاء. أنا أرغب أن أخذها إلى أسوار أوروك، وسأشرك الناس معى فى أكلها وهكذا اختبرها، وسيكون إسمها : عودة الشيخ إلى الحياة ..

وبدأت رحلة العودة إلى أوروك، وفى الطريق رأى جلجامش بئراً مياهها باردة، فنزل إلى البئر ليغتسل فى مائها .. شمت حيَّة عرق الثياب، فخرجت من الأرض وإختطفت النبتة، وسرعان ما نزعت جلدها عنها، فجلس جلجامش يبكى .. لقد ضاعت كل أتعابه هدراً، وأخذ

ينتحب ويقول : من أجل من ياأورشنابو كلَّت يداى ؟ ومن أجل من أستنذفت دم قلبى ·· لقد حققت المغنم لأسد التراب، وأوصل أورشنابو جلجامش لمدينة أوروك، فعاش جلجامش وأنجب إبنه أوننجال، وحكم مائة وست وعشرين عاماً وهو سعيد، ثم مات وخلَّفه إبنه أوننجال (راجع سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق الأوسط ص ٢٣١ – ٢٥٩، وخَزْعَل الماجدى – إنجيل بابل ص ٢٢٨ – ٢٥١، والخورى بولس الفغالى – المدخل إلى الكتاب المقدَّس جـ ١ ص ٤٤١ – ٤٤٥) .

س٢٩١ : هل يمكــن أن يكــون ســفر التكوين قــد أخذ قصة الطوفان من أساطير الأولين ؟

فقد رأى البعض أن كاتب سفر التكوين لابد أن يكون قد إطلع على هذه الأساطير وأخذ منها، فيقول الخورى بولس الفغالى «عرف الكاتب الملهم قصة الطوفان كما روتها بلاد الرافدين، وتناقلها البابليون الآشوريون والحثيون والحوريون ·· (ثم أوضح) أن الطوفان ليس وليد تصرف الآلهة الذين تعبوا من ضجيج البشر، الذى يمنعهم من الراحة، كما قالت الأساطير (لكن) سبب الطوفان هو خطيئة البشر»[1]

ويتكرر نفس المعنى فى كتاب المدخل إلى الكتاب المقدَّس جـ ٢ ص ٥٠ لنفس المؤلف، وأيضاً يقول الخورى بولس الفغالى «ونتساءل عن أساس رواية الطوفان، فنقول أنه قد حدث فيضان فى الزمن القديم فغرقت مدن عديدة بسبب الشتاء المنهمر والأنهار الجامحة، ولقد ظل خبر الطوفان هذا عالقاً فى الأذهان، ومع تباعد الحدث إمتزج الواقع بالأسطورة فدوَّن كتَّاب بلاد

(١) البدايات أو مسيرة الإنسان إلى الله ص ١١٠

الرافدين قصصهم، ونقل إلينا الكاتب الملهم تلك القصة التى تعطينا صورة عن الله القدوس العادل وعن الإنسان الذى إستحق بخطيئته الهلاك والموت»[١]

ويذهب الأب سهيل قاشا إلى أبعد من هذا، فيدعى أن قصة التكوين مأخوذة بحذافيرها من الأساطير، بل أن الأساطير تمتاز عن قصة سفر التكوين فيقول «والصورة التى رسمها العهد القديم للطوفان مأخوذة بحذافيرها من القصص السومرية القديمة، والبابلية الحديثة، ولكن هذه القصص العراقية تمتاز عن التوراة فى وصفها للظواهر الطبيعية فى حين أن العهد القديم (التوراة) يمتاز عن الألواح البابلية فى تصويره لفكرة الإله »[٢] كما يقول أيضاً «إن التشابه الصاعق بين النصوص البابلية والنص التوراتى (فى قصة الطوفان) يدعو لكثير من التأمل والتفكير ٠٠ لقد كتب مؤلفوا التوراة نص الطوفان معتمدين بشكل واضح على أكثر من نص بابلى، مع بعض التعديل والتغيير»[٣]

كما يقطع الأب سهيل قاشا بأن «الرواية البابلية لا يمكن أن تكون مستمدة من الرواية العبرية، حيث أن الرواية البابلية أقدم من الرواية العبرية بما يقرب من أحد عشر أو أثنى عشر قرناً»[٤].

ويقول «جيمس هنرى برستيد» ٠٠ «شقت إسطورة الطوفان البابلى طريقها متجهة غرباً شطر البحر الأبيض المتوسط حتى إنتشرت فى سورية وفلسطين إلى أن فتحت فى النهاية طريقاً لها إلى الأدب العبرى، ومن ثم وصلت إلينا عن طريق العهد القديم»[٥]

---

(١) المجموعة الكتابية – سفر التكوين ص ١٥٢

(٢) التوراة البابلية ص ٨٥

(٣) المرجع السابق ص ١٤٧

(٤) أثر الكتابات البابلية فى المدوَّنات التوراتية ص ١٨٠

(٥) فجر الضمير ص ٣٦١

ويرى «جيمس فريزر» أن الحيَّة قد لعبت دوراً هاماً فى سرقة الخلود من الإنسان، ففى قصة السقوط أكلت من شجرة الحياة فإكتسبت الخلود، وفى ملحمة جلجامش أستولت على عشب الخلود (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ص ١٤٨، ١٤٩) ٠

ويقول د٠ محمد بيومى مهران «وهكذا نجد عدة مقابلات بين قصة الطوفان وبينها فى الآداب البابلية، فالطوفان هنا وهناك بسبب إلهى، وبطل القصة ينال التحذير مما هو عتيد أن يكون، فيبنى فلكاً للخلاص، وهذا الفلك يطليه بالقار حتى لا ينفذ إليه الماء، ويحضر معه حيوانات ويدخلها إلى الفلك، كما أن بطل القصة السومرية «زيوسودرا» يُوصف بالتقوى وبأنه ملك يخاف الله، وأما نوح التوراة «**فوجد نعمة فى عينى الرب٠ وكان نوح رجلاً باراً كاملاً فى أجياله٠ وسار نوح مع الله**» وفى القصتين ترسو السفينة على قمة جبل، فيرسل البطل طيوراً لاستكشاف حالة الجو، ففى القصة البابلية يرسل البطل الحمامة ثم السنونو ثم غراباً ينقطع عن العودة، وأما فى القصة التوراتية فيرسل البطل غراباً ثم حمامة، ثم مرة ثانية حمامة تعود ٠٠ وفى القصتين يقدم البطل بعد خروجه من السفينة تقدمة تقبلها الآلهة، وتؤكد له الأمان فى المستقبل، وفى القصتين ندم الآلهة على إهلاك البشر بالطوفان، ففى القصة البابلية يندم «أنليل» لأنه أحدث الطوفان دون روية وقاد ناس إلى التهلكة، بل أن الآلهة نفسها قد لامته على ذلك وتمنت لو أرسل أسداً أو ذئباً أو مجاعة، فأهلك بنى البشر الآثمين «على الآثم وزر إثمه، وعلى المعتدى وزر إعتدائه» وفى القصة التوراتية يندم الرب كذلك على إرسال الطوفان «**وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته٠ ولا أعود أيضاً أُميت كل حى كما فعلت** «بل ويقطع على نفسه ميثاقاً «**لا يكون أيضاً طوفان ليُخرب الأرض**» ويضع للميثاق علامة هى «**القوس فى السحاب**» فيذكر وعده ولا يأتى بطوفان يُغرق الأرض أبداً »(١)

---

(١) تاريخ الشرق الأدنى القديم – تاريخ اليهود (مذكرة كلية الآداب – جامعة الأسكندرية ١٩٧٢م) ص ٢٠٢، ٢٠٣

وقد أورد «بيريل أنجر» فى كتابه «الآثار القديمة والعهد القديم» طبعة ثالثة ص ٥٥، ٥٦ أوجه الشبه بين ما ورد فى الأساطير، وما ورد فى سفر التكوين فى قصة الطوفان فيما يلى :

« ١- تقرر كل من القصتين أن الطوفان كان بتدبير إلهى

٢- تتفق كل منهما على أن الله أعلن لبطل الطوفان عن كارثة وشيكة الحدوث.

٣- كل منهما تربط بين الطوفان وإرتداد الجنس البشرى

٤- كل منهما تذكر خلاص البطل وأهل بيته.

٥- كل منهما تقرر أن الله قد أمر البطل بأن يبنى سفينة هائلة ليحفظ حياته.

٦- بينت كل منهما الأسباب الحقيقية والطبيعية للطوفان.

٧- تحدد كل منهما مدة الفيضان ولو أنهما مختلفان فى الزمن الذى إنقضى.

٨- كل منهما تحدد المكان الذى رست عليه السفينة.

٩- كل منهما تحدث عن إرسال الطيور فى فترات معينة لمعرفة مدى نقصان المياه.

١٠- كل منهما تصف أعمال العبادة التى قام بها البطل بعد خلاصه.

١٢- كل منهما تشير إلى بركات خاصة حلّت على البطل بعد الكارثة»[١].

ويرى فراس السواح أن النص التوراتى إعتمد على النص البابلى، أو على نصوص أخرى، وقد تكون النصوص كلها رجعت إلى نص أقدم، أو رواية بقيت فى أذهان شعوب المنطقة، أما

---

(١) نيافة الأنبا بولا – الكتاب المقدّس والعلم ص ١٨٦، ١٨٧

من ناحية الصياغة الأدبية فإن النص البابلى يتفوق بشكل واضح على النص التوراتـى (راجـع مغامرة العقل الأولى ص ١٥٥) ·

ج : من إطلع على أساطير الطوفان بحياد كامل، يعلم يقيناً أن هناك تشابه بين هذه الأساطير وما ورد فى القصة التوراتية، ولكن هناك أيضاً خلافات شاسعة بينهما، ويرجع التشابه كما نعلم من أن أصل القصة واحد، فقد حدث الطوفان فعلاً، والدراسات الأثرية تدل عليه فى أماكن عديدة إلى هذا اليوم، والقصة حُفظت نقية فى سفر التكوين، بينما تشوهت فى الشعوب الوثنية التى بعدت عن الحق الإلهى أما الخلافات وما أكثرها فنطرح بعض منها هنا·

١- جاءت القصة فى سفر التكوين فى بساطة بعيدة عن كل صور الملاحم الأسطورية·

٢- فى سفر التكوين تكلم الله مع نوح وأخبره بخبر الطوفان بسبب شر الإنسان «**فقال الرب لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامى لأن الأرض إمتلأت ظلماً منهم· فها أنا مهلكهم مع الأرض**» (تك ٦ : ٣) أما فى الأسطورة السومرية فإن زيوسودرا «رأى فى أحد الأيام حلماً لم يرَ له مثيلاً ·· (وسمع صوتاً يقول) قف قرب الجدار على يسارى وإسمع ·· سأقول كلاماً فاتبع كلامى ·· أعطِ أذاناً صاغية لوصاياى ·· إنا مُرسِلون طوفاناً من المطر ·· فتقضى على بنى الإنسان ·· ذلك حكم وقضاء من مجمع الآلهة ·· أمر آنو وإنليل ·· فنضع حداً لملكوت البشر»[1] وفى الأسطورة البابلية وصل خبر الطوفـان لأتراحسيس عن طريق حلم، فتوجه أتراحسيس إلى معبد «آيا» يطلب تفسير الحلم، فأخبره (آيا) بتفسير الحلم من وراء حجاب (خَزْعَل الماجدى – إنجيل سومر ص ١٦٤ – ١٦٦) ·· إذاً فى سفر التكوين نلتقى بالله الواحد الذى أرسل الطوفان، أما فى الأساطير فنجد قرار الطوفان صادر من مجمع الآلهة·

٣- سبب الطوفان فى سفر التكوين هو زيادة شر الإنسان (تك ٦ : ٣) ، أما فى الأساطير فسبب الطوفان هو ضجيج البشر الذى أزعج الآلهة· ويقول د· محمد بيومى «يقدم لنا الدكتور»

(١) التوراة البابلية ص ١٣١

جون إلدر «خلافات بين القصتين، ففى التكوين يحدث الطوفان كعقاب من الله الحق للأشرار، وفى القصة البابلية يحدث الطوفان لهوى فى نفس الآلهة القساة. فى التكوين يخلص نوح ومن معه لأنه إنسان بار، وفى القصة البابلية ينال البطل النجاة لأن له نصيراً بين الآلهة الكثيرة. قصة التكوين تقدم لنا ديانة توحيدية، ولكن البابليين يقدمون لنا أحد درجات الديانات التى تنادى بتعدد الآلهة. وهكذا نرى الفارق العظيم بين فكر الوحى السامية فـى قصة التكوين، وبين الفكرة الخرافية المليئة بالخيالات والأوهـام والمتناقضـات فى القصة البابلية، مع أنها خلاصة أرقى ما وصل إليه الفكر البشرى فى دولة سامية متحضرة»[١]

٤- فى أسطورة أتراحسيس قال له الإله «آيا» : أهـدم بيتـك وإبـنِ لك فلكاً (سلسلة الأساطير السومرية ص ٢٤٨) وهذا لم يحدث مع نوح.

٥- ظل نوح يبنى الفلك لمدة نحو مائة سنة (تك ٥ : ٣٢، ٧ : ٦) مما يظهر طول أناة الله على البشرية، بينما فى الأسطورة البابلية نجد أتراحسيس يبنى السفينة فى سبعة أيام فقط (فراس السواح - مغامرة العقل الأولى ص ١٣٠) وهذا يُظهر الآلهة الطغاة المتسرعون لهلاك البشر.

٦- عدد طوابق سفينة نوح ثلاث طوابق (تك ٦ : ١٦) أما عدد الطوابق فى سـفينة الأساطير فهى سـبعة طـواب (فـراس السـواح - مغامـرة العقـل الأولى ص ١٣٠) والأمر العجيب أن الخورى بولس الفغالى يجعل الأصل سفينة الأساطير ذات الطوابق السبعة، وإن كاتب سفر التكوين جعلها ثلاث طوابق مثل هيكل سليمان فيقول «بنى نوح السفينة وجعلها ثلاثة طوابق، هكذا سيكون هيكل سليمان .. أما الملحمة «أتراحسيس» فستجعلها سبعة طوابق على مثال هياكل بلاد الرافدين .. نلاحظ أولاً كيف أن الخلاص لا يتم بسفينة سحرية، بل بفضل بركة الله الآتية من هيكله .. ونلاحظ ثانياً كيف أن الكتاب المقدَّس نقـل ما قالته الأساطير»[٢]

(١) تاريخ الشرق الأدنى القديم - تاريخ اليهود (مذكرة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ١٩٧٢) ص ٢٠٣

(٢) البدايات أو مسيرة الإنسان إلى الله ص ١١١

والحقيقة أن موسى النبى كتب سفر التكوين قبل بناء هيكل سليمان بمئات السنين، فلم يكن الهيكل قد بنى، ولا معالمه قد إتضحت، ويقول فراس السواح أن السفينة دُعيت فى الأسطورة السومرية «ماجور» أى السفينة العملاقة، وفى ملحمة جلجامش دُعيت «أيليبو» أى سفينة أو مركب، وفى أماكن متفرقة يدعوها الهيكل العظيم، أما سفر التكوين فدعاها «يتبا» أى صندوق أو تابوت.

٧- فى سفر التكوين نجد أبعاد سفينة نوح طولها ٣٠٠ ذراعاً، وعرضها ٥٠ ذراعاً، وإرتفاعها ٣٠ ذراعاً (تك ٦ : ١٥) وهذه الأبعاد تطابق أحدث القياسات العالمية، وبهذه الأبعاد قاوم الفلك الأمواج العاتية دون أن ينقلب. أما سفينة أتراحسيس فهى عبارة عن مكعب طول ضلعه ١٢٠ ذراعاً (سلسلة الأساطير السومرية ص ٢٤٨) وبهذه الطريقة لا تثبت أمام الرياح والأمواج.

٨- لسفينة نوح فتحات للإضاءة والتهوية من أعلى الجوانب الأربعة «**تصنع كوًا للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق**» (تك ٦ : ١٦) وهى طريقة مثالية للتهوية، والبعد عن التيارات الشديدة، وتحاشى دخول الأمطار للفلك، فثانى أكسيد الكربون الذى يتصاعد لأعلى تطرده التيارات الهوائية خارج الفلك ويحل محله هواء نقى أما سفينة الأساطير فلم تكن هكذا.

٩- فى الأسطورة البابلية حمل أتراحسيس معه الذهب والفضة وأقربائه والصنَّاع، فيقول أتراحسيس «ثم حملت فيها كل ما أملك .. كل ما كان عندى من فضة حملته فيها .. وحملت فيها كل ما كان عندى من المخلوقات الحيَّة .. أركبت فى السفينة جميع أهلى وذوى القربى .. وأركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر وجميع الصنَّاع»[1] بل أن «آيا» أمر أتراحسيس بأن يأخذ فى السفينة الكثير من الأسماك، وهذا يخالف ما جاء فى سفر التكوين، ولم يحمل نوح معه ذهب ولا فضة ولا ذوى القربى غير أبنائه الثلاثة وزوجاتهم، ولم يحمل معه الصنَّاع وأساتذة

(١) التوراة البابلية ص ١٣٥

الفن، ولم يكن فى حاجة لحمل الكثير من الأسماك فى السفينة، لأن الأسماك ستعيش فى الطوفان ولا خوف عليها.

١٠- ورد فى الأسطورة البابلية أنه قبيل الطوفان بأيام كان أتراحسيس يذبح للناس عجولاً، وينحر لهم خرافاً، ويقدم لهم الخمر الأحمر والأبيض، وأعطى الصنَّاع فشربوا وإحتفلوا كأعياد رأس السنة (فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٣١) وهذا لا نجده فى سفر التكوين.

١١- فى الأسطورة البابلية أبلغ الإله «شمس» أتراحسيس أن اليوم الذى سيأتى فيه الطوفان ستمطر السماء فى النهار أقراصاً من الحلوى وفى المساء وابلاً من القمح (سلسلة الأساطير السومرية ص ٢٥٠) وفى سفر التكوين لا نجد أثراً لهذه الأساطير.

١٢- فى الأسطورة البابلية أنزلوا السفينة بصعوبة إلى الماء « وتم بناء السفينة فى اليوم السابع عند مغرب الشمس .. وكان إنزالها (إلى الماء) أمراً صعباً .. فكان عليهم أن يبدلوا ألواح القاع فى الأعلى وفى الأسفل .. إلى أن غطس فى الماء ثلثها»[1] بينما سفينة نوح ظلت مكانها حتى رفعتها مياه الطوفان ..

١٣- فى الأسطورة البابلية أغلق أتراحسيس باب السفينة، وسلم قيادتها للملاح « بوزو – أمورى» .. « وفى المساء أنزل الموكل بالعاصفة مطراً مهلكاً .. وتطلعت إلى الجو فكان مكفهراً مخيفاً .. فولجت إلى السفينة وأغلقت بابى .. وأسلمت دفة السفينة إلى الملاح «بوزو – أمورى» .. »[2] أما فى قصة التكوين فإن الله هو الذى أغلق الباب، ولم يكن للسفينة ملاحاً، لأن الله هو قبطانها، أجراها وأرساها دون أية مخاطر.

---

(١) التوراة البابلية ص ١٣٥

(٢) المرجع السابق ص ١٣٦

١٤- فى الأسطورة البابلية إشترك الإله حدد (أدد) مع الإله «نرجال» مع الإله « نينورتا» فى أحداث الطوفان «باتت فى الأفق غيمة سوداء ٠٠ وفى داخلها كان الإله» حدد «يرعد دون إنقطاع ٠٠ وفى المقدمة كان يسير الإلهان «شلات» و « خانيس» ٠٠ ويتقدمان بين الجبال والسهول ٠٠ وكان «نرجال» يقتلع الجسور وسدود السماء ٠٠ ثم أعقبه الإله « نينورتا » يفجر سدود السماء ٠٠ رفع الأنوناكى المشاعل ٠٠ فإجتـاز صـوت حدد المخيف السـماء ٠٠ وأحـال إلى ظلمـة كل ما كان منيراً »[1]

١٥- ذكرت الأساطير أن الآلهة إرتاعوا من الطوفان، فإنكمشوا كالكلاب الخائفة، وبكوا وندبوا «حتى الآلهة ذعروا وخافوا من عباب الطوفان ٠٠ فانهزموا وعرجوا إلى سما «آنو» ٠٠ لقد إستكان الآلهة وربضوا كالكلاب إزاء الجدار الخارجى ٠٠ وصرخت عشتار كالمرأة فى ساعة مخاضها ٠٠ وبكى آلهة الأنوناكى وهم منكسو الرؤوس ٠٠ وندبوا وقد يبست شفاههم ٠٠ ومضت ستة أيام وسبع ليالٍ ٠٠ ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفـان فـى شـدة دفعها ٠٠»[2] ولا عجب، ففى كارثة المجاعة فتح « آيا » مزلاج البحر العميق وعارضته، وعندما تعرض للمسألة أمام الإله « إنليل » كذب وقال أن تراكم الأسماك هو الذى كسر مزلاج البحر العميق٠ وهذا التصوُّر لا نجد له أى صدى فى قصة التكوين٠

١٦- فـى سفر التكوين إستمر المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة (تك ٧ : ١٢) أما فى الأساطير فإن الطوفان إستمر سبعة أيام فقط «هبت العاصفة كلها دفعة واحدة ٠٠ ومعها إنداحت سيول الطوفان فوق (وجه الأرض) ٠٠ ولسبعة أيام وسبع ليالٍ ٠٠ غمرت سيول الأمطار وجه الأرض ٠٠ ودفعت العواصف المركب العملاق فوق المياه العظيمة »[3]

---

(١) سلسلة الأساطير السومرية – ديانات الشرق الأوسط ص ٢٥٠

(٢) التوراة البابلية ص ١٣٧

(٣) التوراة البابلية ص ١٣٢

١٧- فى سفر التكوين إستقرت السفينة على جبل أراراط (تك ٨ : ٤) بينما فى أسطورة أتراحسيس إستقرت السفينة على جبل « نصير» «(فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٣٢) وفوق جبل أراراط يوجد بناء خشبى ضخم مدفون تحت الجليد بإرتفاع ١٤٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر، وتحدثت عن هذا البناء السلطات التركية فى الثمانينات من القرن التاسع عشر، وفى سنة ١٩٥٥م تم تصوير هذا البناء الذى وُجِد على عمق ٣٥ قدماً تحت سطح الجليد، وأثبتت الإختبارات أن عمر هذا البناء يتراوح بين ١٢٠٠ – ٥٠٠٠ سنة، وفى بداية السبعينات من القرن العشرين إستطاعت طائرات التجسس الأمريكية، وأيضاً الأقمار الصناعية من تصوير هذا البناء الضخم (نيافة الأنبا بولا – الكتاب المقدَّس والعلم ص ٧٧) ٠ وقد تثبت الأيام أن هذا البناء الخشبى الضخم ما هو إلاَّ سفينة نوح٠

١٨- فى سفر التكوين أرسل نوح الغراب فخرج متردداً، ثم أرسل الحمامة فلم تجد مقرّاً لرجلها، وبعد سبعة أيام أرسل الحمامة للمرة الثانية فعادت له بورقة زيتون خضراء فى فمها، ثم بعد سبعة أيام أرسلها للمرة الثالثة فلم تعد (تك ٨ : ٧ – ١٢) أما فى الأسطورة البابلية فقد أرسل أتراحسيس الحمامة ثم السنونو ثم الغراب (فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٣٣) ٠

١٩- سفر التكوين إنفرد بتحديد سنة حدوث الطوفان وأرَّخ لأحداث الطوفان باليوم والشهر بدقة، فهو يمثل يوميات صادقة، وسجل تاريخى موثوق فيه، فقد دخل نوح والكائنات الحيَّة إلى الفلك يوم ١٠/٢/٦٠٠ من حياة نوح، وبدأ الطوفان فى ١٧/٢/٦٠٠ من حياة نوح (تك ٧ : ١١) وتعاظمت المياه على الأرض « **مائة وخمسين يوماً**» (تك ٧ : ٢٤) أى حتى ١٧/٧/٦٠٠ من حياة نوح حيث إستقر الفلك على جبل أراراط، وفى ١٠/١٠/٦٠٠ من حياة نوح ظهرت رؤوس الجبال (تك ٨ : ٥) وبعد أربعين يوماً أى فى ٢٠/١١/٦٠٠ من حياة

نوح فتح نوح طاقة الفلك (تك ٨ : ٦) وفى ٦٠١/١/١ من حياة نوح نشفت المياه عن الأرض (تك ٨ : ١٣) وفى ٦٠١/٢/٢٧ جفت الأرض، وكلم الله نوحاً قائلاً أخرج من الفلك (تك ٨ : ١٤ – ١٦) أى أن نوح ظل فى الفلك ما يزيد عن العام· أما الأساطير فقد إختصرت مدة الطوفان لسبعة أيام، وهذه المدة لا تكفى لغمر قمم الجبال الشاهقة، وبلوغها سبعة عشر ألف قدماً كقول الأساطير، وبعد سبعة أيام أخرى إنطلق أتراحسيس ومن معه من السفينة (فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٣٣) ، ويشهد عالِم الآثار البارز « البرايت « فى بداية بحثه المعروف « العصر الكتابى « بأن التقليد القومى اليهودى يفوق جميع الحضارات الأخرى من حيث وضوح التسلسل التاريخى، فلم تصل حضارات مصر أو بابل أو آشور أو فينيقية أو اليونان أو الرومان أو الهند أو الصين إلى الحضارة التى سجلها الكتاب المقدَّس، فجميع هذه الحضارات تعتبر أعمال أدبية مشوَّهة بجوار ما جاء فى العهد القديم (راجع جوش مكدويل – برهان يتطلب قراراً ص ٥٩) ·

٢٠- ذكرت الأساطير أنه خلال أثنتى عشرة ساعة مضاعفة إنبثقت قطع من الأرض (فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ١٣٣) أى أن مياه الطوفان إنحسرت فى يوم واحد، بينما يقول سفر التكوين «**ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً ·· وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه**» (تك ٨ : ٣) ·

٢١- فى الأسطورة السومرية بعد إنتهاء الطوفان كوفئ «زيوسودرا» ومعنى إسمه «الذى وضع يده على العمر المديد» بالخلود والسكنى فى أرض دلمون جنة السومريين «زيوسودرا الملك ·· سجد أمام آنو وإنليل ·· ومثل إله وهباه حياة أبدية ·· ومثل إله وهباه روحاً خالدة ·· عند ذلك زيوسودرا، الملك ·· دُعى بإسم حافظ بذرة الحياة ·· وفى أرض ·· أرض دلمون ·· حيث تشرق الشمس، أسكناه»[1] وفى الأسطورة البابلية يتكرر نفس المعنى مع أتراحسيس

(١) التوراة البابلية ص ١٣٢

ومعنى إسمه «الواسع الحكمة» «ثم صعد إنليل إلى السفينة ٠٠ ومسكنى من يدى وأركبنى معه فى السفينة ٠٠ وأركب معى أيضاً زوجتى وجعلها تسجد بجانبى ٠٠ ثم وقف ما بيننا ولمس ناصيتنا وباركنا قائلاً ٠٠ لم يكن « أوتنابنشتم » قبل الآن سوى بشر ٠٠ ولكن منذ الآن سيكون « أوتـو – بنشتم » وزوجته مثلنـا نحن الآلهة ٠٠ وسيعيش « أوتو – بنشتيم » بعيداً عن فم الأنهار ٠٠ »[1] ومعنى إسم أوتو – بنشتم « الذى رأى الحياة » بينما عاش نوح ٩٥٠ سنة ومات ولم يحصل على الخلود (تك ٩ : ٢٩) ٠

٢٢- يعترف كمال الصليبى رغـم هجومـه الشديد على الكتاب المقدَّس قائلاً «أما الرواية التوراتية للقصة، فالطوفان الذى نتحدث عنه هو سيل عرمرم أحدثه سقوط غزير للأمطار دام أربعين يوماً بلياليها، ويسود الإعتقاد بأن هذه الرواية مأخوذة من رواية عراقية أقدم منها، وهى قصة الطوفان الواردة فى ملحمة جلجامش، ولكن الأرجح أن العكس هو الصحيح»[2].

٢٣- تعتبر قصة الطوفان من أكثر القصص إنتشاراً فى حضارات العالم المختلفة لأنها مثلت كارثة عالمية شاملة، وتوجد نحو ٢٠٠ قصة للطوفان، وإن إختلفت عن بعضها البعض لكنهـا تؤكـد حقيقة الطوفان، وقد درس العالم الكندى « د٠ آرثر كوستانس» Dr٠ Arthur Costance قصة الطوفان فى الحضارات المختلفة، وإنتهى إلى أن هناك تشابهات بين القصص المختلفة، فقال أن هناك ٣٣ وثيقة قديمة تحدثت عن الطوفان، منها ٣١ تتفق على أن الناجين شكروا الإله ومجدوه، ومنها ٣٠ وثيقة تتفق على أن الفلك إستقر على قمة جبل عالٍ، ادَّعى اليونانيون أنه جبل بارناسـوس Parnassus وإدَّعـى الهنـود أنـه جبـل الهيمـالايـا Himalayas، وإدَّعـى الأمريـكان إنـه إسـتقر على قمـة جبـل كيـدى فى وادر سـكرامتـو Keddie Peak-sacramento ومنها ٢٩ وثيقة تتفق على إرسال الطيور لإستطلاع المياه، ويقول د٠ كونستانس

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٨

(٢) خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص ٤٧، ٤٨

«إن الإتفاق بين جميع القصص فى الأجزاء الهامة منها إنما هو دليل على أن عدد الذين تعرضوا فى الأصل لهذه الكارثة ونجوا منها عدداً صغيراً جداً، وربما فى الواقع أسرة واحدة٠ وفى الحقيقة ومن بين ٢٠٠ قصة ترتفع قصة الكتاب المقدَّس وتسمو وتبدو وكأنها رواية شاهد عيان، وكتب د٠ وليام دوسون William Dauson فى ذلك { لقد فكرت طويلاً أن الرواية فى الإصحاحين السابع والثامن من سفر التكوين يمكن فهمهما وكأنها صحيفة معاصرة أو سجل لشاهد عيان إستخدمها كاتب سفر التكوين فى كتابه }»(١)

٢٤- نُذكّر الأخوة الكتَّاب المسلمين الذين يدَّعون بأن سفر التكوين أخذ من أساطير الأولين قصة الطوفان، بأن القرآن ذكر إنذار نوح لقومه، وعدم تصديقهم له، ونجاة نوح ومن معه، وغرق من كذبوه (الأعراف ٥٩ – ٦٤، ويونس ٧١ – ٧٣، والأنبياء ٧٦ – ٧٧، والفرقان ٣٧، والصافات ٧٣ – ٨٢) ٠ وتهديد أهل نوح له بالرجم، ولكن الله نجاه وأغرق الباقين (الشعراء ١٠٥ – ١٢٢) وذكر القرآن أن نوح ظل مع قومه ينذرهم ٩٥٠ سنة (العنكبوت ١٤، ١٥) وإتهام أهل نوح له بأنه مجنون، وتنجية الله له وغرق الباقين (القمر ٩ – ١٦) وهناك سورة كاملة بأسم نوح تقص إنذار نوح لقومه نهاراً وليلاً، وعدم استجابتهم بل كانوا يضعون أصابعهم فى أذانهم، رغم أن نوح كان يشجعهم على طاعة الله ليمنحهم المطر والأموال والبنين والجنات، ولكنهم مكروا فأغرقهم الله وأدخلهم النار (سورة نوح رقم ٧١) ٠ وذكر القرآن أيضاً وحى الله لنوح، وصنع الفلك، وسخرية قوم نوح منه، رغم نصحه لهم، واعترافه بأن هذا النصح بلا قيمة مادام الله يريد أن يغويهم ، ودخول نوح للفلك مع نفر قليل، وإدخال زوجين من الكائنات الحيَّة للفلك، ومجئ الطوفان، وجفاف المياه بعد الطوفان، وإستقرار السفينة على جبل «جودى «وهبوط نوح ومن معه فى الفلك (سورة هود ٣٦ – ٤٨) ٠

---

(١) نيافة الأنبا بولا – الكتاب المقدَّس والعلم ص ٩٠، ٩١

٢٥- نُذكِّر الكتَّاب المسيحيين الذين يدَّعون أن سفر التكوين أخذ قصة الطوفان من أساطير الأولين، بأن القصة حدثت بالفعل، وهلك كل كائن حى، وقد أشار السيد المسيح لمفاجأة الحدث (مت ٢٤ : ٣٨، ٣٩، لو ١٧ : ٢٦، ٢٧) وأشار بولس الرسول لوحى الله لنوح وبناء نوح الفلك لخلاص بيته (عب ١١ : ٧) وحدَّد بطرس الرسول عدد الناجين بثمانية أشخاص (٢ بط ٢ : ٥) فالتشكيك فى حقيقة قصة الطوفان كما ذكرها سفر التكوين هو تشكيك فى أقوال السيد المسيح ومعلمنا بولس الرسول ومعلمنا بطرس الرسول وروح الكتاب.

٢٦- لم تحصل الحيَّة على الخلود كقول جيمس فريزر، فهذه حقيقة وواقع عملى ثابت لدى الجميع.

٢٧- جاء ذكر عشرة أباء من آدم إلى الطوفان وهم آدم وشيث وأنوش وقينان ومهلئيل ويارد وأخنوخ ومتوشالح ولامك ونوح خلال مدة ١٦٥٦ سنة، وفى الأسطورة البابلية جاء ذكر عشرة ملوك من بدء الخليقة وحتى الطوفان ويمثل أوتنابشتيم الملك العاشر، وذلك خلال ٣٤٥٠٠٠ سنة، وفى محاولة لجعل هذه الأرقام الفلكية معقولة قالوا أن السنة الأسطورية قد تساوى يوماً أو أسبوعاً (راجع الأب سهيل قاشا - التوراة البابلية ص ٥٢، ٥٣).

س٢٩٢ : هل كان سبب الطوفان هو تزاوج الملائكة من الناس ؟

يقول الخورى بولس الفغالى «تداولت أسفار اليهود المنحولة الحديث عن خطيئة جسدية بين الملائكة والبشر وُلِد على أثرها الجبابرة .. وتُلمّح رسالة يهوذا (٦ - ٨) إلى خطيئة الملائكة الجسدية دون أن تذكرها بوضوح، ونسى الجميع ما قاله الرب يسوع أن ملائكة الله لا يتزوجون

(مت ٢٢ : ٣٠) وتحدث ترتليانوس لنساء عصره { لستن فى حاجة فى التبرج والتزيُّن لإرضاء الرجال إذ أن نساء أميَّات فظَّات قد وضعن البلبلة بين الملائكة } ٠٠ والقديس امبروسيوس ٠٠ قال { هؤلاء الملائكة أبنــاء الله، قــد أخطأوا فقيَّدهم الله فى الظلمة وعاقبهم (سى ١٦ : ٧) عندما أهلكهم فى الطوفان } ٠٠

ولكن ظهر تيار آخر عند الأباء يرفض الحديث عن خطيئة جسدية عند الملائكة (قالوا أن أبناء الله هم أبناء شيث، وبنات الناس هن بنات قايين) هذا التفسير لا يشبع رغبتنا فى معرفة أساس هذه الأسطورة المنتشرة فى الشرق والغرب، ولكن يبقى أن الكاتب الملهم نقلها كما عرضها »[١].

كما يقول أيضاً بولس الفغالى عن هذا الأمر «نحن هنا أمام عناصر أسطورية، وجد بها أوسابيوس (أسقف قيصرية فى فلسطين ومؤرخ مسيحى ٢٦٥ – ٣٤٠م) مصدر الأساطير اليونانية عن الجبابرة و «التيتان» (آلهة يونانية ضخمة) بينما رأى فيها آخرون إقتباساً من عناصر أسطورية يشترك فيها شعوب البحر الأبيض المتوسط»[٢].

ويذكر ليوتاكسل ما ذكره سفر أخنوخ المنحول عن قصة زواج الملائكة ببنات الناس فيقول «يتألف كتاب أخنــوخ مــن أحــد عشــــر إصحاحاً، يروى (الإصحاح) الثانى منها قصة عشق الملائكة لبنات الناس { بما أن عدد الناس زاد كثيراً، فقد أصبح عندهم كثير من الفتيات الجميلات، فأُغرم الملائكة بأكثرهن حُسناً، وأقترفوا بسبب ذلك كثيراً من الآثام٠ لقد دبَّ الحماس فيهم فقالوا : لننزل إلى الأرض ونختر لأنفسنا زوجات من بين أجمل فتيات البشر٠ عندئذ قال لهم سيميازس الذى جعله يهوه أميراً على ألمع الملائكة : إنه لسعى مشكور وأمنية رائعة لكننى

---

(١) المجموعة الكتابية – سفر التكوين ص ١٢٨، ١٢٩

(٢) المرجع السابق ص ١٢٩

أخشى ألا يكون بمقدوركم تحقيقها، فأجد نفسى مرغماً على أن أنجب وحدى أطفالاً من بنات البشر، فأجابه جميعهم : إننا نقسم على أننا سنحقق غايتنا ولنكن ملعونين إن نحن أخلفنا، وإتحدوا بهذا القسم كلهم٠ كان عددهم فى أول الأمر مائتى ملاك، وقد وقع هذا فى الزمن الذى عاش فيه يارد والد أخنوخ٠

وهكذا توجه الملائكة إلى الأرض معاً، فصعدوا إلى جبل حرمون ٠٠ أخذوا لأنفسهم زوجات من بنات البشر بعد ١١٧٠ عاماً من لحظة خلق العالم٠ فوُلِد العماليق فى تلك الزيجات } ٠٠ إذاً الأمر يتلخص فى أن عدداً من صيادى الحب نزل ألى الأرض بزعامة الأمير سيميازاس، بحثاً عن الحب وحسب ٠٠ ولكن للتاريخ نقول أن يهوه أخذ يتململ ضيقاً عندماً رأى أنه سيبقى وحيداً إذا ما بقى سيل الملائكة العشاق يتدفق على الأرض٠ غير أنه كظم غيظه وصبر طويلاً٠ ويعطينا سفر التكوين وكتاب أخنوخ رؤيتين مختلفتين بصدد إنفجار غضبه العظيم ٠٠ إن كتاب أخنوخ يعرض الأمر من رواية أخرى، فالملائكة غدوا على الأرض أباء سعداء، وأخذوا يهتمون بأولادهم، وصاروا ذوى مهارات فائقة، فعلموا أبناءهم صقل الحجارة الكريمة، والسحر، وفن قراءة المستقبل بالأجرام السماوية٠ بل وعلّموا عشيقاتهم الأسرار العظمى، وسرعان ما تفوقت عشيقات الملائكة وأولادهن العماليق على بنى البشر الأخرين٠

وأخذت الأرض تنتحب وإمتلأت بصيحات الآسى ٠٠ وفى الوقت عينه نشأ نزاع بين السيد أزازيل – هو ملاك متزوج من فتاة أنسية – والأمير سميـازاس، فتلقى هذا الأخير بضع لكمات على فكيه ففقد منصبه على أثرها، وحل أزازيل زعيماً بدلاً منه، فأرسل يهوه رافائيل ليقضى على أزازيل، وحُوصِر صاحبنا فى أحد الكهوف الواقعة فى برية دودويل٠

بعد هذه الأحداث رأى يهوه أن الطوفان ضرورة لابد منها لتطهير الأرض من الشرور ٠٠ لكنه قبل أن ينفذ قراره الرهيب، إستدعى الملائكة الذين نزلوا إلى الأرض ليتسكعوا أو يتزوجوا، وأمرهم بالرجوع عن غيهم، وبالسلوك سلوكٍ مستقيم والكف عن ممارسة الزنى

مع بنات البشر ٠٠ ولكى يتفادى السيد يهوه وقوع مزيد من العبث فى المستقبل ألزمهم، على الأرجح، أن يتخلوا عن أعضائهم التناسلية إلى الأبد ٠٠ أما أزازيل التاعس، الذى سجنه رافائيل فى الكهف، فقد نُسى وغرق فى الطوفان !»[١].

كما يقول ليوتاكسل أيضاً عن الدافع للطوفان «يتوخى سفر التكوين الحذر الشديد فى وصفه تفاصيل الجرائم والآثام التى إقترفها أحفاد آدم على الأرض فى أثناء معاشرة الملائكة نساء البشر ٠٠ إن أحفاد آدم تركوا الصلاة عند الصباح والمساء، على أغلب الظن، لأنه ما من شئ يجعل يهوه غاضباً إلى هذه الدرجة سوى الخلل بمواعيد الصلاة، وهذا ما يقوله لك كل كاهن ٠٠ فحزن الرب لأنه عمل الإنسان فى الأرض ٠٠ إنه حزن يهوه ! وهو ليس حزناً عادياً ياصاحبى ! أضف إلى هذا، أن أسى يهوه كان عميقاً إلى درجة فقد فيها إتزانه الروحى والعقلى، الأمر الذى قاده إلى قرار إبادة الحيوانات أيضاً ٠٠ أثـر أن يميتهم غرقاً، ويجب أن نعترف بأن هذا الموقف لم يكن موقفاً أبوياً »[٢].

تعليق :

١- نحن لا نعترف بعصمة إنسان قط إلاَّ فى حالة كتابته لكلمة الله المقدَّسة، ولذلك لا يمكن أن نقبل كلام أى علاَّمة فى الكنيسة أو أب من أبائها يقول أن الملائكة تزوجوا بنات الناس، ولنا السند الإنجيلى القوى فى هذا، وهو كلام الله المتأنس نفسه عندما قال بأن ملائكة الله «**لا يزوّجون ولا يتزوَّجون**»(مت ٢٢ : ٣٠) ٠

(١) هل التوراة كتاب مقدَّس أم جمع من الأساطير ؟ ص ٥٧ - ٦٠

(٢) المرجع السابق ص ٦٥، ٦٦

٢- لم يُلمّح معلمنا يهوذا عن زواج الملائكة بالبشر، وإهلاك الله لهم بالطوفان، فكل ما قاله يهوذا الرسول «**والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام**» (يه ٦) فقول الإنجيل عن هؤلاء الملائكة الذى سقطوا فى خطية الكبرياء أن الله «**حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم**» ضد قول البعض بأن الله أهلكهم بالطوفان·

٣- لم يقبل شعب الله فى القديم سفر أخنوخ نظراً لما حواه من أخطاء وأساطير، وما ذكره ليوتاكسل فيما سبق خير دليل على هذا، ولا أثر فى الكتاب المقدَّس لأمير ملائكة يدعى «سيميازاس» أو آخر يدعى «أزازيل» ، بل إن الملائكة أرواح خالدة لا جسد لها، هم أرواح سماوية نورانية «**الصانع ملائكته رياحاً وخدامه ناراً ملتهبة**» (مز ١٠٤ : ٤) والملائكة لا جنس لها، فلا ينقسمون إلى ذكور وإناث، فهم بعيدون عن الجنس وعن الغرائز الجنسية، فكيف يتزوجون من بنات الناس وينجبون ؟! وكيف يغرقون بمياه الطوفان ؟! وكيف يموتون وهم أرواح خالدة ؟!!·

وعمـل الملائكة التسبيح الدائم «**سبحوه ياجميع ملائكته**» (مز ١٠٣ : ٢٠) والملائكة رسل سماويون يسرعون لتنفيذ أوامر الله «**باركوا الرب ياملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه**» (مز ١٠٣ : ٢٠) والملائكة يكنون مشاعر الحب للبشر فيفرحون بخلاص ونجاة كل أحد «**هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب**» (لو ١٥ : ١٠) ·· فكيف يسعون لإسقاط الإنسان فى المعصية ؟!

٤- تصوُّر ليوتاكسل هو تصوُّر مريض لا يعتد به، إذ كيف يصوّر الله الكامل فى ذاته المتكامل فى صفاته، الذى هو غنى عن العالمين، على أنه تململ ضيقاً عندما رأى الملائكة يتركونه ويذهبون للأرض !! الله هو الأزلى الوحيد وحده الكائن قبل كل خليقة فى السماء أو على الأرض،

وكم من أزمان مرت – إن صح التعبير لأن الزمن مخلوق – كان الله وحيداً لم يمل ولم يتململ بحسبما تصوَّر ليوتاكسل. كما أن ما وقع فيه ليوتاكسل من فقدان إتزانه الروحي والعقلي راح يخلعه على الله، فحديثه غير المهذب ولسانه السليط يكمن خلفه الحقد الشيطاني الذى ملأ قلبه ضد الله محب البشر الصالح. إن ليوتاكسل يخترع أموراً لا وجود لها إلاَّ فى خياله المريض لذلك راح يستخدم بعض العبارات مثل «على الأرجح»، و «على أغلب الظن » مما يظهر أن أقواله بلا حجة ولا سند إنما من إستنتاجاته.

٥- أبناء الله هم أبناء شيث، ويدعى الصديقون دائماً بأنهم أبناء الله كقول معلمنا يوحنا الإنجيلى «**وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون بإسمه**» (يو ١ : ١٢) وبنات الناس هنَّ بنات قايين الشرير، وقد ولدنَّ الجبابرة أى الأقوياء، مثلما قيل عن نمرود «**الذى إبتدأ يكون جبَّاراً فى الأرض .. لذلك يُقال كنمرود جبَّار صيد أمام الرب**» (تك ١٠ : ٨، ٩) وقد إلتقى جواسيس بنى إسرائيل بالجبابرة فى أرض كنعان، وعادوا يقولون «**وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق من الجبابرة. فكنا فى أعيننا كالجراد وهكذا كنا فى أعينهم**» (عد ١٣ : ٣٣).

ونقول أن هذا الفكر الخاطئ الخاص بزواج الملائكة بالنساء الآدميات، تعتقد به جماعة شهود يهوه وهى جماعة غير مسيحية (راجع كتابنا : شهود يهوه .. هوة الهلاك طبعة ١٩٩٦م ص ١٢٣ – ١٢٦).

س٢٩٣ : هــل أخــذ ســفر التكوين قصة برج بابل وبلبلة الألسن من الأساطير ؟

يقول الخورى بولس الفغالى عن برج بابل فى الأساطير «فى هذا المعنى نقرأ عن { جوديا } ملك لاغاش فى بلاد الرافدين (مَلَكَ حوالى ٢٥٠٠ ق.م) إنه إفتخر ببناء بناه فوصل به إلى السماء

فإرتجفت السماء، وتروى التقاليد عن نبوفلاسر الذى حكم قبل قورش فى بلاد فارس (٦٢٦ – ٦٠٥ ق٠م) أن الإله مردوك طلب إليه أن يبنى برجاً تكون قاعدته فى الجحيم ورأسه فى السماء٠ لا شك فى أن الكاتب الملهم إستفاد من هذه المعلومات وأعطاها أبعاداً دينية تدل على أن الله يحط المتكبرين ويرفع المتواضعين»[1]

ويعلل البعض ذكر سفر التكوين لقصة برج بابل، فيقول الخورى بولس الفغالى أن البعض يرى أن حادثة برج بابل هو تفسير فولكلورى لوجود عدة لغات وتنوعها، فالكاتب إنطلق من الواقع ليبين أن الإختلاف فى اللغات هو سبب الإنقسامات بين الشعوب٠ وقال البعض أن القصد من هذه القصة إظهار تزايد خطايا البشرية، وعدم ثقتها فى الله، رغم العهد الذى قطعه الله مع نوح، وأيضاً إظهار الخطر الذى تشكله المدن على الإنسان، فالطبيعة من صنع الله أما المدن فهى من صنع الإنسان، ولذلك بنى من قبل قايين مدينة ليستتر بها أبنائه عند فعلهم الخطية لأن الخيام لا تسترهم، والمدينة تمثل مركز عبادة الأصنام ورمز للشر، ولذلك إحتقر العبرانى سكنى المدن (راجع المجموعة الكتابية – سفر التكوين ص ١٧٩) ٠

ويتساءل ليوتاكسل كيف زال برج بابل ولم يبقَ له أثر، بينما هرم خوفو مازال قائماً، ويقول أن بعض اللاهوتيين أكدوا أن إرتفاع برج بابل بلغ ١٥٠٠ متراً بينما هرم خوفو بلغ ١٤٧ متراً فقط (راجع هل التوراة كتاب مقدَّس أم جمع من الأساطير ص ٧٥، ٧٦) ٠

ويقول السيد سلامة غنمى «تحكى قبائل أفريقية حكايات عديدة تتشابه مع أسطورة برج بابل فى وجوه محددة٠ كما يُحكى فى المكسيك عن بناء هرم «كولولا» حكاية شبيهة

---

(١) المجموعة الكتابية – سفر التكوين ص ١٧١

بحكاية الكتاب المقدَّس عن برج بابل، على أنه يبدو أن حكاية بلبلة الألسن قد إنتشرت فى المكسيك بعد غزو الأوربيين لها بزمن قصير ·· كما أن هناك عدد غير قليل من الشعوب حاولت أن تفسر إختلاف اللغة عن طريق حكايات لا تمت لحكاية برج بابل بسبب ·· على أن الكتّاب الذى ضمنوا الفصول الأولى من سفر التكوين آراءهم الساذجة عن الأصول البشرية لم يذكروا شيئاً عن الوسيلة التى يمكن أن يكونوا قد تصوَّروا أن الإنسان قد حصل بها على القدرة على الكلام البين»(١).

ويقول كمال الصليبى «خرافة تعدد الألسنة : كان القدماء فى جزيرة العرب، على ما يبدو، يعترفون بإله خاص بالبلبلة، وإسمه آل بلال، ويبدو أنهم كانوا يعترفون فى الوقت ذاته بوجود إله خاص باللغة والكلام (آل لسان) ·· جاء الإله آل لسان فى البداية، فأعطى البشر لغة واحدة ·· فإستاء الرب يهوه من ذلك، وهو الإله الذى كان همه الأول أن يسلب صلاحيات غيره من الآلهة، وأن يفرض سطوته وحده على البشر، ومما زاد خصوصاً من إستياء الرب يهوه ·· تخوفه من أبعاد وحدة اللغة بين الناس، إذ كان فى ذلك ما يمكنهم من كسب قدرات لا حد لها عن طريق التفاهم والتعاون فيما بينهم، فيصبح بإمكانهم الإستقلال عن إرادته· فما لبث أن قام بما لزم ليمنع ذلك، متحالفاً لهذه الغاية مع آل بلال ·· وبوحى من الرب يهوه، أو بتشجيع أو تحريض منه، أخذ آل بلال على عاتقه بلبلة الألسنة، فلم يعد الناس على الأرض يفهمون بعضهم البعض، فإرتاح الرب يهوه لذلك، وكان الرب بهذه المناسبة قد إستغل التناقض الطبيعى بين صلاحيات آل لسان من جهة، وصلاحيات آل بلال من جهة أخرى، فأوقع الخصام فيما بينهما، وصارت له

---

(١) التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير ص ١٠١، ١٠٢

بالتالى سطوة على كليهما ٠٠ إن المسرح المفترض لأحداث القصة هو منطقة الطائف بالحجاز، حيث لازالت قرية آل بلال تحمل إلى اليوم إسم الإله الذى قام ببلبلة الألسن»[١].

تعليق :

١- قصة برج بابل وبلبلة الألسن حقيقة، وليست أسطورة أو خرافة، فنمرود الجبَّار ونسله هم أصحاب فكرة بناء البرج، وقد تم العثور على أبراج تعلوها معابد فى عدة أماكن ببلاد الرافدين، ودُعيت هذه الأبراج باسم زيجورات Ziggurat ومن أهم هذه الأبراج برج بابل الذى جاء وصفه بالحروف المسمارية على لوح فخارى، وهذا اللوح محفوظ الآن فى متحف اللوفر بباريس، حيث كان يرتفع البرج سبعة طوابق بإرتفاع تسعين متراً (وليس ١٥٠٠ متراً كما ذكر ليوتاكسل على لسان بعض اللاهوتيين المجهولين الذين لم يذكر إسم واحد منهم) ومساحة قاعدته تسعون متراً مربعا، وقد قام نبوخذ نصر بترميمه، وقد كشفت الحفريات فى العراق عن أبنية ضخمة مربعة يبلغ طول ضلعها ٩٠ متراً ومساحتها ٨١٠٠ م٢، وتشمل نحو ٨٥ مليون قرميدة، تشد من يراها ببريق ألوانها (راجع بولس الفغالى - سفر التكوين ص ١٨٠) ٠

٢- يقول الأرشيدياكون نجيب جرجس «لا يزال فى آثار بابل برج شامخ يرى العلماء أنه قام على أساسات برج بابل نفسه وهو فى مكان يسمى «بورسيا» أى برج الألسنة، ويُدعى البرج (برج نمرود) وقد وُجدت كتابات للملك نبوخذ نصر أعلن فيها أنه هو الذى قام بإصلاح البرج وتكميله، وأشار فى كتابته إلى مسألتى الطوفان وبلبلة الألسنة» [٢].

---

(١) خفايا التوراة وأسرار شعب الله ص ٨٨، ٨٩

(٢) تفسير سفر التكوين ص ١٣٧

كما يقول أيضاً «موضوع بلبلة الألسنة مُجمَع عليه من العلماء والمؤرخين، فالمؤرخ اليونانى «يولهيستر» قال أن الناس كانوا يتكلمون لغة واحدة وفكروا فى إقامة بناء يصل إلى السماء فبلبلت الآلهة ألسنتهم، والمؤرخ «أبيدينوس» ينقل خبراً عن الآشوريين أن الناس قديماً فكروا فى بناء برج يتحدون به الآلهة، فأحبطت الآلهة مسعاهم، وهدمت بناءهم، وبلبلت ألسنتهم، وإن بابل قامت فى المكان الذى وقع فيه هذا، ويؤكد «أفلاطـون» أن الناس كانوا يتكلمون بلسان واحد، ولكن «جوبتر» بلبل ألسنتهم لأنهم كانوا يطمعون فى الخلود»[1]

٣- يقول ناجح المعمورى أن الرحالة الشهير «هيرودس» زار بابل نحو سنة ٤٦٠ ق٠م ووصف البرج بأنه يشمل سبعة أبراج فوق بعضها، يعلوها حجرة تعتبر الطابق الثامن، وتعتبر هذه الحجرة هيكلاً وبها سرير عظيم من الذهب، وبالقرب منه مائدة من ذهب، ويرى «أندريه باور» أن هذه الأبراج أُنشئت لتكون مقابر للملوك كما كانت الأهرامات، أو لتعبر عن مفهوم كونى، ولذلك صنعت من سبعة طوابق إشارة للسموات السبع (راجع موسى وأساطير الشرق ص ١٢٩ – ١٣١) ويقول «أندريه بارو»٠٠ «أن برج بابل هو كاتدرائية العصور الغابرة، بل أنه أكثر من ذلك، لأن البشرية عندما شيدت الكاتدرائيات كانت قد عرفت الرؤيا المسيحية، وفى الألف الثالث ق٠م كان الجنس البشرى لم يزل يتلمس طريقة، ولكن الناس كانوا قد بدأوا يضمون أيديهم فى وقفة الصلاة ويرفعون أعينهم بالسليقة نحو السماء»[2]

٤- يقول المتنيح الأسقف أيسيذورس «ومنشور بختنصر مشهور، وهو إنه كان نقش بالخط المسمارى على هرم وُجد فى محل برج نمرود الذى موقعه بين بغداد وبابل، وكان يُسمى «بوربا» حيث الآن خرابات كبيرة من أجر بعضها مشو بالنار، وفى وسطها صرح بقى من إرتفاعه ٤٦ متراً، وقد ترجم هذه الكتابة العالِم «أوير» فى كتابه الدروس الآشورية وهى :

---

(١) تفسير سفر التكوين ص ١٢٧

(٢) موسى وأساطير الشرق ص ١٣٢

{ نبوخذ نصر ملك بابل راعى الشعوب ٠٠ نقول عن الآخر (برج بابل) أى أن هذا البناء هيكل أنوار الأرض السبعة المُعلَق على أقدم ذكر لبورسيا، بناه ملك قديم، ولكنه لم يتمم رأسه، فتركه الناس منذ أيام الطوفان متكلمين كلاماً شرساً، وزلازل الأرض والرعود زعزعت اللبن وشققت الأجر المشوى الملبس به البناء، فتهدم اللبن وتكوَّن منه تلول، فألهم مردوخ قلبى لأجدد بناءه، فلم أنزع حجر الأساس، بل إخترقت فى الشهر الخلاصى واليوم المسعود اللبن والأجر بقناطر أقمتها، ورفعت قمته كما كان يلزم أن تكون، وكذا أعدت تشييده كما كان يلزم فى العصور الخالية القاصية، وكذا رفعت أعلاه }٠

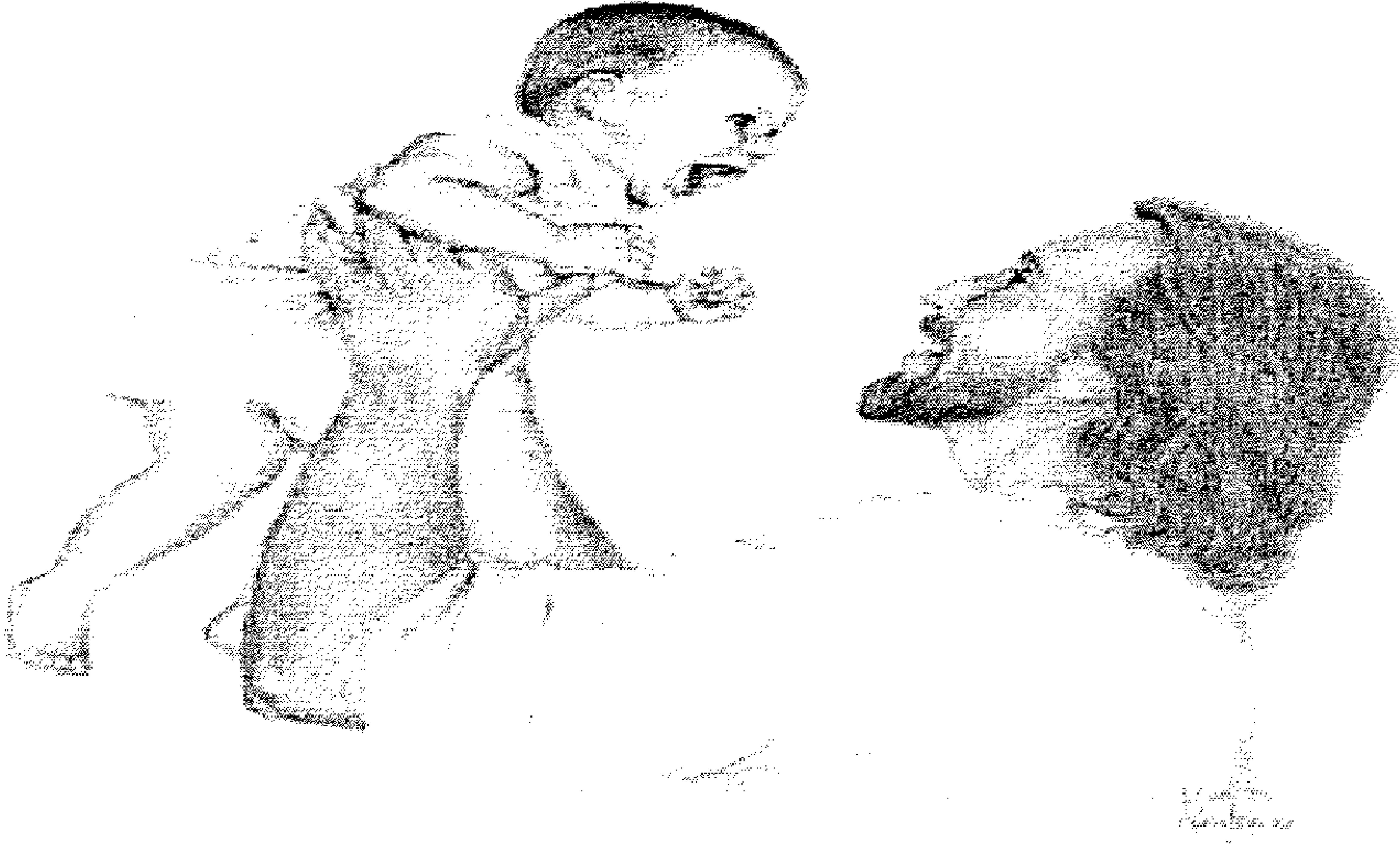
وقد وصف هذا البناء الضخم والصرح الجسيم «هيرودتس» الذى شاهده بقوله { أنه مؤَلف من سبعة بروج الواحد مبنى فوق الآخر بدرجات ضخمة ٠٠ وكانت جميعها مخصصة للآلهة السبعة التى هى زحل والزهرة والمشترى وعطارد والمريخ والقمر والشمس ٠٠ أما المصعد إليها فكان ممراً ملتفاً تتخلله مساطب ومقاعد للراحة، وفى أعلاه مزار مقدس لنبو ولكنه لم يحتو على تمثال الإله، بل كان معبداً فيه مقعد ومائدة ذهبية تأوى إليه كل ليلة كاهنة هذا الإله٠ أما البرج الأسفل فقائم فيه تمثال بعل الذى به سمى كل البناء المشيَّد ٠٠ }»[(١)].

٥- يقول جوش مكدويل «هناك أدلة كثيرة على أن العالم كله كان له حقاً لغة واحدة فى وقت من الأوقات، ويشير الأدب السومرى إلى هذه الحقبة فى مرات عديدة ٠٠ لقد دلَّت الكشوف الأثرية على أن «أور – نامو» ملك أور فى عام ٢٠٤٤ حتى ٢٠٠٧ ق٠م قد تلقى أوامر، كما يُعتقد، ببناء برج عظيم (زيجورات) كنوع من العبادة لإله القمر نانات، ويسجل لنا أحد الأعمدة الحجرية الأثرية الذى يصل عرضه إلى خمسة أقدام وطوله إلى عشرة أقدام الأعمال التى قام بها «أور – نامو» ففى إحدى اللوحات يظهر ومعه وعاء للطمى حتى يبدأ فى تشييد البرج العظيم ٠٠ كما تبين لوحة طينية أخرى أن تشييد البرج أثار إستياء الآلهة، فهدموا ما قام

---

(١) المطالب النظرية فى المواضع الإلهية ص ٤٩٢، ٤٩٣

البشر ببنائه وشتتوهم، وجعلوا لغتهم الغريبة. ومن الواضح أن هذا مماثل لما سجله لنا الكتاب المقدَّس .. ويشهد الكثير من اللغويين المعاصرين لرجحان هذه القصة كأصل للغات العالم، ويقول ألفريدو تروبيتى أنه يستطيع أن يتتبع ويثبت الأصل المشترك لجميع اللغات .. »[1]



---

(١) برهان يتطلب قراراً ص ١٣٩

فى هذا الفصل نتعرض لأمور عديدة خاصة بحياة الأباء البطاركة إبراهيم وإسحق ويعقوب وكذلك قصة يوسف الصديق، فقد إدَّعى البعض أن الأباء البطاركة لا يمثلون شخصيات تاريخية إنما هم يعبرون عن شخصيات أسطورية، فربما كانوا آلهة كنعانية إنتسب إليها اليهود ليثبتوا أحقيتهم فى الأرض التى إغتصبوها، وربما كانوا أنصاف آلهة، وربما كانوا أسماء عائلات كبيرة، ونناقش الإدعاء الخاص بإغتصاب التوراة إسم «إيل» من الأساطير الكنعانية، ونرد على القول بـأن العهد الذى قطعه الله مع إبراهيم مقتبس من أسطورة طروادة، والقول بأن قصة سدوم وعمورة غير حقيقية لأنها ضد وعد الله لنوح بأنه لن يهلك الأرض ثانية.

ونعرض للقول بأن التوراة أخذت من الشعوب المحيطة عادة تفضيل الإبن الأصغر على الأكبر، وأن السلم الصاعد للسماء فى حلم يعقوب هو صدى للزقورات التى إرتفعت فى بلاد الرافدين، وأن تدشين يعقوب للحجر يمثل بقايا عبادة الأحجار، ومثلها» رجمة الشهادة» التى جمعت يعقوب مع لابان. وأن قصة صراع يعقوب مع الله مستمدة من أساطير الأولين، ولاسيما أسطورة روح النهر أو شيطانه، وفكرة الهاوية مستمدة من فكرة العالم السفلى فى أساطير الأولين.

ونرد أيضاً على القائلين بأن قصة يوسف مع إمرأة فوطيفار مأخوذة من أسطورة الأخوين المصرية، وأن قدح يوسف الذى كان يتفائل به مستمد من الأساطير . . إلخ.

س٢٩٤ : هل الأباء البطاركة إبراهيم وإسحق ويعقوب يمثلون شخصيات أسطورية ؟

يقول «زالمان شازار» عن الناقد «هوجو فينكلر» إنه ربط تاريخ الأباء والملوك بالأساطير فقال :

١- إبراهيم هو إبن إله القمر، ويقابل فى الأساطير البابلية تموز.

٢- سكن إبراهيم قرية أربع فهو إله الإتجاهات الأربعة.

٣- بئر سبع تقابل أيام الأسبوع السبعة.

٤- أبناء يعقوب الأثنى عشر يقابلون أشهر السنة، وبنيامين الأصغر يقابل «بن أونى» وهو الشهر الأخير فى السنة.

٥- راحيل تقابل القمر فى إكتماله، وليئة تقابل القمر فى إنبعاثه.

٦- يوسف يقابل إله الشمس ولذلك قيل عنه «**وهيأوا الهدية إلى أن يجئ يوسف عند الظهر**» (تك ٤٣ : ٢٥) وهبط يوسف إلى مصر أرض الله، وتزوج من إبنة كاهن الشمس.

٧- ميلاد موسى يقابل ميلاد سرجون.

٨- يهوه إله موسى يقابل إله البرق والرعد.

٩- التيه فى البرية أربعين سنة يقابل تجوال جلجامش فى الصحراء ليجد الحياة من أجل صديقه أنكيدو.

١٠ - لقاء شاول بعرافة عين دور يقابل سؤال «أوديسيوس» لتيرزبس الرائى، وزيارة جلجامش «نرجل» لهيكل إلهة العالم السفلى.

وانتهى «هوجو فينكلر» إلى «أن كل الأساطير والروايات الموجودة فى العهد القديم، بداية من روايات الأباء، وإنتهاء بإنقسام المملكة بعد سليمان، كل ذلك مؤسس على أساس الميثولوجيا البابلية، وحتى الأحداث التاريخية للأبطال الذين عاشوا حقيقة «نُمّقتْ على إطار المؤلفات فى روايات الخرافة البابلية»[1].

وأيضاً «يرمياس» تلميذ «هوجو فينكلر» فى كتابه «أسطورة جلجامش فى الأدب العالمى» فقد «رأى أن كل روايات العهد القديم ليست سوى نسخ مختلفة ومتغيرة لأساطير الملحمة البابلية، وأن كل أبطال التاريخ العبرى القديم لم يوجدوا ولم يُخلقوا، بل هم نتاج الميثولوجيا، وهم أبطالها بأساليب مختلفة، حيث تختلف هذه عن تلك على أساس السبط والمكان»[2].

وقال «ويل» H. Weill عن الأباء البطاركة أنهم أبطال كنعانيون أدخلهم اليهود فى تاريخهم، وقال «يوليوس فلهاوزن» و «استاد» Stade و E. Meger أنهم من نسج الخيال الشعرى، وقد أحيطوا بكل هالات السمو، ويقول «جرهاردوس فوس» أنهم «مجرد أسماء لأشباح كنعانية، وُلِدت عن طريق تزاوج أنصاف آلهة الكنعانيين، وإعتبرهم الكنعانيون أسلافاً لهم، وعبدوها على هذا الأساس فى أماكن متعددة، وحين حل العبرانيون فى تلك الأراضى، أراضى الكنعانيين، إنخرطوا فى سلك عبادة هذه الآلهة أو الأشباح . . ولكى يؤيدوا ذلك ولكى يصبح لهم الحق فى تلك الأراضى التى إحتلوها إخترعوا خرافة إبراهيم وإسحق ويعقوب هم أجدادهم، وأنهم عاشوا فى تلك الأراضى المقدَّسة وأقاموا هذه الأماكن للعبادة، فربطوا بين إبراهيم وحبرون، وبين إسحق وبئر سبع، وبين يعقوب وبيت إيل»[3].

كما يقول «جرهاردوس فوس» . . «تقدم البعض بمحاولة ربط هذه الأسماء بما ورد فى التقاليد البابلية . . فسارة كان ربة حاران، وإبراهيم أحد آلهة البابليين، ولابان الإله القمر.

---

(١) ترجمة أحمد محمود هويدى – تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث ص ١٦٢

(٢) المرجع السابق ص ١٦٥

(٣) علم اللاهوت الكتابى ص ١١٢، ١١٣

أما زوجات يعقوب الأربع فهن وجوه القمر الأربع، وأبناء يعقوب الأثنى عشر هم شهور السنة الإثنى عشر . أما أبناء ليئة السبعة فهم أيام الأسبوع، وعدد الرجال الذى إستطاع بهم إبراهيم أن يقهر الأعداء، فهم عدد أيام السنة القمرية»[1] .

أما كمال الصليبى فيذهب إلى أن الأبـاء البطاركـة هم آلهة عربية فيقول «كان يصحاق (إسحق) كما قلنا الإله الذكر الأكبر للخصوبة فى زمانه، وهو إله الآبار، وكانت زوجته ربقة (رفقة) الإلهة الأنثى للخصوبة المقترنة بالحيلة النسائية، فحبلت منه بإبنين توأمين بدأ التنافس والتناحر بينهما وهما بعد فى بطنها . . نبدأ، كالعادة، بتحليل الأسم لكل من التوأمين، عيسو ويعقوب . . عيسو، وهو المولود الأول من توأمى الإله يصحان والإلهة ربقة، كان هو أيضاً إلهاً يمثل شخصية الذكورة المطلقة. ولم يكن لعيسو، حسب القصة، أى إهتمام بالحياة البيئية العائلية. وقد بلغ عدم إكتراثه بالتقاليد والأعراف المتعلقة بالأسرة إلى حد جعله «يحتقر بكوريته» (تك ٢٥ : ٣٤) . . أما يعقوب . . فيبدو من إسمه أنه كان إلهاً للنسل المنتظم فى مؤسسة الأسرة البيئية . . وإنه كان يحب عيشة البيوت و«يسكن الخيام» وفى كل ذلك ما يفيد بأن المولود الثانى من توأمى يصحاق وربقة كان إله الذكورة الداجنة، على عكس أخيه الذى كان إله الذكورة المطلقة . . كان عيسو مفرطاً فى زرعه، يتزوج من هنا ومن هناك دون أن يستشير والديه (تك ٢٦ : ٣٤، ٢٨ : ٩) مما سبب لهما مرارة فى النفس (تك ٢٦ : ٣٥) أما يعقوب فلم يتزوج إلاَّ بإرادة أبيه وبإختيار يرضى أمه (تك ٢٨ : ١ – ٢) . . ومن غريب الأمر أن إسم يعقوب الإله، بشكله العربى، آل عُقَبه . . مازال إسماً لقرية فى الحور نفسه من منطقة بيشه حيث واحة الرؤية (بئر لحى رُئى) التى كانت من مساكن يصحاق . . »[2].

---

(١) علم اللاهوت الكتابى ص ١١٣

(٢) خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص ١٤١ – ١٤٦

ج : ١- كيف يكون الأباء البطاركة شخصيات أسطورية، وقد ورد أسمائهم عشرات المرات فى العهد القديم والجديد، ولاسيما على لسان السيد المسيح له المجد على أنهم شخصيات تاريخية، فمثلاً إسم إبراهيم وشخصيته ورد ليس فى أسفار موسى الخمسة فقط، بل فى سفر يشوع، وملوك الثانى، وأخبار أيام الأول والثانى، ونحميا، وأيوب، وأشعياء، وملاخى، ومتى، ولوقا، ويوحنا، وسفر الأعمال، ورسالة رومية، وكورنثوس الثانية، وغلاطية، وعبرانيين، وبطرس الأولى .. إذاً هو خط عام محفور بقوة على صفحات الكتاب المقدَّس، لن يقدر أرباب النقد على محوه أبداً.

٢- يمثل إبراهيم أب الأباء وأب جميع المؤمنين، والنواة الأولى لكنيسة العهد القديم، والذى من نسله سيأتى مخلص العالم، فإنكار تاريخيته يعد إنكار للوعود الإلهية التى أعطاها الله للبشرية من خلال إبراهيم، وقس على ذلك إسحق ويعقوب.

٣- لو كان هؤلاء الأباء يمثلون آلهة للكنعانيين، فإن الإنسان إعتاد أن ينسب لآلهته كل مظاهر القـوة، فكيف سجل الكتاب المقدَّس ضعفـات وأخطاء هؤلاء الأبـــاء ؟!

٤- رغم هجوم جنكل على العهد القديم، ومحاولاته فى إثبات اقتباس العهد القديم من الأساطير البابلية، فإنه ينكر هذه التهمة التى أُلصقت بالأباء البطاركة، فيقول «جرهاردوس فوس» عن جنكل أنه «يؤكد أيضاً أن كل المحاولات لإرجاع الأسماء (الخاصة بالأباء البطاركة) إلى الأسماء العديدة للآلهة البابلية قد باءت بالفشل، وإننا لا نجد فى العهد القديم أثراً لعبادة مقدَّمة للأباء، بل إننا نجد ما يناقض ذلك، فالنبى أشعياء يقول **{أبوك الأول أخطأ ووسطـاؤك عصـوا عليَّ}** (أش ٤٣ : ٢٧) وأيضاً فى (أش ٦٣ : ١٦) يرد القول **{فإنك أنت أبونا وإن لـم**

يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرِنا إسرائيل . أنت يارب أبونا وليُّنا منذ الأبد إسمك }»[1] .

٥- جاء فى إكتشافات Mari أن إبراهيم عاش قبل عصر حمورابى، ومجموعة قوانين حمورابى تلقى الضوء على الأحداث التى وقعت فى حياة إبراهيم (راجع أوزولدت - ألس - ترجمة أدبية شكرى يعقوب - الله تكلم بموسى) ولم يعش إبراهيم فى مجتمع متخلف، إنما عاش فى ظل الحضارة الكلدانية، فمثلاً بلغت مساحة مدينة «أور» الكلدانيين نحو ٤ × ٥ر١ ميلاً، وكانت المنازل متسعة تتكون من طابقين، كل طابق يحتوى على ١٢ - ١٤ غرفة، أما الطرقات فى أور فكانت ضيقة وغير معبَّدة . . فالذين تخيلوا إبراهيم أنه قائد قبيلة بدوية بدائية كان تصوُّرهم خاطئ لأن «أور» عرفت الحضارة قبل ميلاد إبراهيم بمئات السنين، ومدينة «أور» مثال لتقدم الحضارة السومرية (راجع د. جون ألدر - ترجمة د. عزت زكى - الأحجار تتكلم).

٦- يقول جوش مكدويل «إن إبراهيم كان شخصاً حقيقياً عاش فعلاً، وعلى حد قول باروز : تشير الأدلة كلها إلى أنه كان شخصاً حقيقياً، وكما أشرنا سلفاً، ليس هنا ذكر له فى أى مصدر أثرى معروف، ولكن إسمه يظهر فى بابل كإسم لشخص فى نفس الفترة التى كان يعيش فيها» (Burtows, WMTS , 258 , 259) [2] .

كما يقول جوش مكدويل أيضاً «وتذكر رسائل مدينة مارى أسماء مثل أبامرام (إبراهيم) ويعقوب - إيل والبنياميني‍ين، ورغم أن هذه لا تشير إلى أشخاص كتابيين، إلاَّ أنها تبين على الأقل أن هذه الأسماء كانت مستعملة، وتؤيد هذه الرسائل ما ورد فى تكوين ١٤ عن الحرب التى قامت وواجه فيها خمسة من الملوك أربعة آخرين، وتبدو أسماء هؤلاء الملوك متفقة مع الأمم

---

(١) علم اللاهوت الكتابى ص ١١٥، ١١٦

(٢) برهان يتطلب قراراً ص ١٤٠

البارزة فى ذلك الوقت. فمثلاً يذكر سفر التكوين ١٤ : ١ الملك الأمورى أريوك. بينما تذكر وثائق مارى أن إسم الملك هو أريودك، وتدل كل هذه الشواهد على أن المادة المدوَّنة فى سفر التكوين كانت روايـات مباشرة لشخص عاش فى زمن إبراهيم» (Ceisher, BECA. 50) . . وهناك أدلة متزايدة على أن المحتوى الأساسى المتوارث للكتاب المقدَّس صحيح - بدءاً من الأباء الأولين ومروراً بالخروج ودخول إسرائيل فى كنعان والمملكة الموحدة، ثم تقسيم المملكة إلى مملكتى إسرائيل ويهوذا ثم السبى والعودة منه»[١].

٧- يقول المتنيح الأنبا إيسيذورس «وُجدت صورة منقوشة على أحد المدافن الكائنة على بعد ١٥٠ ميلاً جنوب القاهرة على ضفة النيل الشرقية (بنى حسن) نُقشت على عهد «أزورتان الثانى» أحد ملوك الدولة الثانية عشرة، تمثل رئيس عشيرة من الرحَّل مصحوباً بأسرته وخدمه ليحى حاكم البلاد أحد أقارب الملك ويلتمس منه الحماية، ويُسمى الأثر هؤلاء الغرباء (عمو) وكان المصريون يُعبِّرون بهذا الأسم عن الرعاة الرحَّل الذين يأتون من بلاد العرب وفلسطين، ويصف الأثر رئيس هذه العشيرة (بهاك) أى أمير ويسميه (أبشاه) أى أبى الرمل، وتأويل هذا الأسم (أبشاه) يقرُب من معنى إبراهيم . . ويُظهِر الأثر حاكم البلاد يتلطف بهم كأناس ذوى حسب فيقدمهم أحد الكتَّاب وبيده صحيفة تعلن عددهم وتذكر أنهم قد أتو لتقديم واجب الإحترام للحاكم، وأن المجاعة ساقتهم إلى المجئ وأنهم يطلبون حمايته»[٢].

٨- ويرى «هيربرت وولف» أن الشكوك التى أثارها النقاد مثل فلهاوزن والنقاد الألمان فى القرن العشرين حول أسفار موسى الخمسة هى التى قادت إلى التشكيك فى الشخصية التاريخية للأباء البطاركة، ولكن علماء الأثار الأمريكيين أثبتوا حقيقة الأباء البطاركة كشخصيـات تاريخية، فيقول «هيربرت وولف» . . » وعندما ننتقل من المرحلة البدائية السابقة إلى عصر الأباء

---

(١) برهان يتطلب قراراً ص ١٣٩

(٢) المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية ص ٤٩٩، ٥٠٠

البطاركة، ندخل بذلك فى مرحلة تاريخية أخرى تُعرف بالعصر البرونزى الأوسط ويقع بين عامى (٢٠٠٠ ، ١٦٠٠ ق. م) ولقد أيدتنا هذه الحقبة بأدلة كثيرة من بلاد ما بين النهرين ومن مصر وفلسطين، مع العلم بأن نظريات وأراء الشك الموجهة للأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدَّس كانت من الأسباب التى صاحبت روح الشك المتزايدة فى تاريخ الأباء البطاركة، فالعالِم «فلهاوزن» يرجح عدم وجود أى معرفة تاريخية سليمة عن عصر الأباء البطاركة، كما نجد أن «هيرمين جنكل» Hermon Gunkel ينكر كلية كل ما قيل عن الأباء البطاركة، وأنها مجرد أساطير، كما أن الكثيرين من الباحثين الألمان فى القرن العشرين ينكرون أيضاً وجود أى معلومات عن هؤلاء الأباء.

ولكننا من جهة أخرى نجد أن علماء الآثار القديمة فى أمريكا قد وصلوا فى دراساتهم وأبحاثهم عن الشرق الأدنى إلى نتائج إيجابية عن عصر الأباء البطاركة، وأنه لا يوجد أبداً ما يجعلنا لنشك فى صحة الصورة التى ذُكرت عن هؤلاء الأباء فى سفر التكوين.

وفى دراساته المتقدمة لجون برايت John Bright فى كتابه «تاريخ إسرائيل» History of Israel نجده يضع أبينا إبراهيم فى بداية الألفية الثانية، معتمداً على الألواح الفخارية التى أُكتشفت فى بلاد ما بين النهرين والتى أيدتنا بمعلومات قيمة عن الحياة فى تلك الحقبة[1] AN INTRODUCTION TO THE OLD TESTAMENT .PENTATEUCH, P. 113)

وأيضاً من الأدلة التى ساقها «هيربرت وولف» أن أسماء البطاركة كانت تستخدم قبل سنة ١٨٠٠ ق. م، أى قبل حياتهم، وأيضاً بعد حياتهم، فيقول «يوجد تشابه كبير بين بعض أسماء الأباء البطاركة، وبين أسماء قد ذُكرت من قبل فى مصادر كتابية حوالى ٢٠٠٠ ق. م

---

(١) ترجمة بتصرف قام بها مشكوراً الأستاذ بشرى جرجس خليل أستاذ اللغة الإنجليزية بإكليريكية طنطا

وذلك يعتبر من أقوى الإثباتات على وجود وتاريخ هؤلاء الأباء، وأن القطع الفخارية التى عثر عليها فى «أبلا» Ebla فى سوريا، والتى يرجع تاريخها إلى عام ٢٣٠٠ ق. م لدليل واضح على صحة ذلك كما أن هذه الفخريات تذكر إسـم يُدعى Ebrum وهذا الأسم يشبه إى حد كبير الأسم Eber وهو من سلالة إبراهيم (تك ١١ : ١٤ – ١٦) وكذلك توجد أسماء لأفراد حملوا أسماء إسماعيل وإسرائيل، وبما أن هؤلاء الأفراد قد عاشوا قبل زمن الآباء البطاركة بأزمنة طويلة، فلا يمكن أن تكون هى نفسـها ذات الأسـماء التى حملها الآباء البطاركة التى ذُكرت فى الكتاب المقدَّس، وعلى ذلك فإنها لأفـراد ولأشخاص حملوا تلك الأسماء وعاشـوا قبـل زمـن الآبـاء البطاركـة المعروفين لنا، فإسـم أبينـا إبراهيـم مثـلاً يمكن مقارنتـه بنفـس الإسـم المذكـور فى بعض المراجـع المصريـة سنة ١٨٠٠ ق. م . كما لإسم يعقوب إسم مشابه له تقريباً، كـذلك إسـم زبـلون (إبن يعقــوب) مشابه لأسـماء بابليـة قديمـة، وهكـذا نـرى أن أسـماء بعض آبائنـا البطاركـة قـد حملهـا أفـراد آخـرين عاشـوا قبلهـم وحملـوهـا آخـرون بعدهــم»[1]. (AN INTRODUCTION TO THE OLD TESTAMENT PENTATEUCH, P 115)

٩- يميل الخورى بولس الفغالى إلى إعتبار شخصيات الآباء البطاركة ترجع فى الأصل إلى شخصيات تاريخية، لأن الأسطورة لا توجد من فراغ، إنما تعتمد على شخصية حقيقية أو حدث حقيقى، ثم تأخذ فى التضخيم والتهويل حتى تصبح أسطورة، فيقول «هل إبراهيم وإسحق ويعقوب شخصيات محدودة عاشوا فى زمن تاريخى محدد، أم أنهم تجسيد لنموذج عرقى ودينى جعلت منهم الأسطورة تقاليد الشعب الدينى والقبلية ؟ وبعبارة أخرى، هل تخيَّل الرواة الكتَّاب هؤلاء الأشخاص ليؤسّسوا عليهم ماضيهم المجهول ويجعلوا منهم قاعدة دستورهم وشرائعهم ؟ يبدو أنه كان للآباء شخصية تاريخية وصفات خاصة بكل واحد منهم، لأن الأسطورة، إن

(١) ترجمة بتصرف قام بها مشكوراً الأستاذ بشرى جرجس خليل أستاذ اللغة الإنجليزية بإكليريكية طنطا

وُجدت لا تخلق الأمور من العدم، بل تضخم الأحداث وتخرجها من التاريخ. لم يخترع الرواة قصة الآباء، بل جعلوها في إطار أدبي وديني ورأوا فيها تكثيفاً وتجميعاً لتاريخ الخلاص»[1].

س٢٩٥ : هل عبد الأباء «إيل» إله الكلدانيين (إله الأساطير) ؟

١- يرى الخوري بولس الفغالي أن الآبــاء البطاركة لم يرذلوا عبادة الكنعانيين، ولكن كل ما حدث أن الكنعانيين ربطوا بين آلهتهم وأماكن إقامتهم، أما العبرانيون فقد ربطوا بين آلهتهم وآبائهم فيقول عن العبرانيين في مرحلة البداوة أنهم» إكتشفوا إيمان الكنعانيين بإلههم العظيم (إيل) . . توقفت عشيرة يعقوب في منطقة بيت إيل، فإكتشفت إله الموضع (إله بيت إيل) وأقامت عشيرة إسرائيل في منطقة شكيم، وعشيرة إسحق في بئر سبع.

إهتم الآباء بالمعتقدات الدينية لدى الكنعانيين، فلم يرذلوها، ولكنهم أحسوا بالفرق بين ديانة الكنعانيين وديانتهم، فإله الكنعانيين يرتبط بمكان، بمذبح، بمعبد . . أما إله البدو فيرتبط بمجموعة من الناس، يرتبط بالعشيرة . . عبد الكنعانيون إله بيت إيل، إله بئر سبع، إله شكيم . عبدوا الإله في مكان من الأمكنة. أما العبرانيون فعبدوا إله إبراهيم، إله إسحق، إله يعقوب . . ولكن مع الوقت، ماثل شعب التوراة «إيل» إله الكنعانيين العظيم مع إله جد القبيلة. وحين إتحدت القبائل فيما بعد، صار إله الآباء «إله إبراهيم وإسحق ويعقوب» وهكذا أخذ شعب التوراة بعض السُطر (الأساطير) . . أخذوا سطر كنعان، ولكنهم فسروها بالنظر إلى تاريخهم وإلى إيمانهم الخاص»[2] (راجع أيضاً بولس الفغالي – المجموعة الكتابية – سفر التكوين ص ٣٦٤).

---

(١) المجموعة الكتابية – سفر التكوين ص ١٨٧

(٢) تعرف إلى العهد القديم مع الآباء والأنبياء ص ٤٧

ويتساءل الخورى بولس الفغالى إذا كان العبرانيون قد أخذوا إسم «إيل شداى» من الكنعانيين قائلاً «إيل شداى هو أيضاً إسم إله فى كنعان، أيكون العبرانيون أخذوا به، وجعلوه صبغة لإلههم فقالـوا : ربنا هـو الإله الشديد والقوى والقدير» (راجع المجموعة الكتابية – سفر التكوين ص ٢٣٥ – ٢٥٠).

ويرى الخورى بولس الفغالى أيضاً أن الآباء عبدوا آلهة عديدة ثم إنتهى بنو إسرائيل إلى عبادة الإله الواحد، فيقول «وخلاصة القول بدأ الآباء فى عبادات آلهة عديدة، ومروا فيما سميناه الهينوتاوية التى تعبد إلهاً ولا تنكر الآلهة الأخرى . . وسيكون تطوُّر بطئ نابع من قلب شعب إسرائيـل، يصل بنا إلى المونوتاوية (الوحدانية) فى أجلى نقائها فى زمن المنفى، فيعلن أشعياء . . بلسان الرب «**لا إله آخر غيرى**» (أش ٤٥ : ٢١) «**قبلى لم يصوَّر إله وبعدى لا يكون . أنا أنا الرب وليس غيرى**» (أش ٤٣ : ١٠ ، ١١) «**أنا الأول وأنا الآخر. ولا إله غيرى**» (أش ٤٤ : ٦) وهكذا نكون قد وصلنا إلى مونوتاوية مطلقة تنفى نفياً واضحاً وجود آلهة غير الإله الواحد. ذلك هو الخط الذى سار فى الإسلام. عُبد الله بجانب آلهة القبائل ولكن الإسلام أستبعد كل هذه الآلهة وقال : لا إله إلاَّ الله . هذه المونوتاوية قد أخذت بها المسيحية، ولكنها رفضتها حين وصلت بها إلى التعليم الثالوثى، الله الواحد فى ثلاثة أقانيم، الآب والإبن والروح القدس»[1] .

وجـاء فـى الأساطير الكنعانية أيضـاً عـن الإله «إيل» وزوجته الإلهة «أشيرة» فقد طلب الإلـه «بعـل» من إخته الإلهة «عناة» أن تتشفع له لدى الإله «إيل» ليبنى له قصراً و «صنع الإلـه سلسلة مصنوعات فنيـة حملهـا «بعل» و «عناة» إلى الإلهة «أشيرة» زوجة الإله «إيل» وهما يطلبان رضاهـا، فذهبت «أشيرة» إلى «إيل» زوجها ودافعت أمامه فى قضية «بعل» : لا بد من بناء القصر ليمارس «بعل» وظائفه كسيد العاصفة والمطر، فإقتنع «إيـل» ، وإذ علم «بعل» بواسطة «عناة» بنجاح مسعاه، دعا «كاشر» الذى بدأ بالعمل، وحين وصل بعل إلى

---

(١) فى رحاب الكتاب – ١ – العهد الأول ص ٣٩

قمة مجده أرسل يتحدى الموت، فتكريس ملك بعل وتشييده قصره يقابل عيد تنصيب الله ملكاً على أرض إسرائيل فى بداية السنة. نُصّب «بعل» سيداً للمطر، لهذا فتح «كاشر» نافذة فى قصره يرسل منهـا المطـر على الأرض»[1].

تعليق :

أ - لم يعرف العبرانيون آلهة عديدة، فقد أعلن الله عن ذاته لإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وهكذا عرف أبناء يعقوب الإله الواحد، وجاءت التوراة لتؤكد على وحدانية الله منذ الوصية الأولى من الوصايا العشر «**أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخـرى أمامى**» (خر ٢٠ : ٢، ٣) ولا يمكن المقارنة قط بين العبادات الكنعانية فى ظل تعدد الآلهة وبين عبادة العبرانيين فى ظل الوحدانية، لأنها مقارنة بين الحق والباطل، ولا يمكن القول بتطوّر العبادة، وإن الآباء عبدوا آلهة عديدة ثم إنتهى بنو إسرائيل إلى عبادة الإله الواحد، لأن الله أستعلن أولاً لإبراهيم وإسحق ويعقوب قبل أن يُستعلَن لموسى وشعبه.

ب- القول بأن المسيحية رفضت الوحدانية عندما وصلت إلى التعليـم الثالوثى، قول فى منتهى الخطورة لأنه يعنى أن التعليم بالثالوث يلغى الوحدانية، وهذا ضد الحق، كما أنه تلميح بأن الإسلام يمتاز عن المسيحية بوضوح الوحدانية . . إن الوحدانية هو الدرس الأول الذى تعلمه اليهود والمسيحيون وإتقنوه تماماً، ومن أجله ضحى الآلاف بدمائهم رخيصة حتى لا يضحوا

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدّس جـ ١ ص ٤٧١، ٤٧٢

على مذابح آلهة الأمم، أما الدرس الثانى فهو أن الله من شدة محبته للإنسان بدأ يفصح عن ذاته وأن وحدانيته ليست وحدانية صماء جامدة، بل وحدانية موجودة عاقلة حيَّة، وهذا ما تعلمه المسيحيون، وما أكثر الآيات التى جمعت بين الوحدانية والثالوث، فالله واحد فى الجوهر مثلث الأقانيم . . أنظر إلى قول السيد المسيح لتلاميذه **«فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم بإسم الآب والإبن والروح القدس»** (مت ٢٨ : ١٩) فقوله «باسم» يعنى وحدانية الجوهر الإلهى أو الطبيعة الإلهية أو الذات الإلهية، وقوله «الآب والإبن والروح القدس» يعنى الأقانيم الثلاثة التى يقوم عليهم الجوهر الإلهى، ولا أجد متسعاً لأتحدث عن وحدانية الله وتثليث أقانيمه هنا، ولذلك أحيلك ياصديقى إلى كتابنا : أسئلة حول التثليث .

جـ- ما جاء فى أساطير الأولين عن» إيل» كإله ورب لا غرابة فيه، لأن حقيقة إن إسم «إيل» كان معروفاً لدى الشعوب الأخرى، ولكن ليس معنى إستخدام الأسم يعنى إستخدام المعنى أيضاً، لقد جاء فى الأساطير الكثير عن زواج الآلهة وتناسلها وصراعاتها، بينما آمن العبرانيون بالإله «إيل» الواحد الذى لا شريك له فى الألوهية، القادر على كل شئ، غير المحدود . . إلخ وهل معنى إستخدام إسم الله فى الديانات المختلفة يعنى وحدة المعنى ؟!

ولا أدرى كيف نقارن بين الإله «إيل» الذى يسمو فوق كل الموجودات، بآلهة الكنعانيين مثل إيل وزوجته أشيرة، وبعل وإخته عناة . . إلخ. بل إنه جاء فى الأساطير الكنعانية أن بعل تعرض للموت، بينما ظل «إيل» عاجزاً عن فعل أى شئ، ثم عاد «بعل» للحياة بمعاونة أخته عناة والإله شمس، فتقول الأسطورة «أمر موت (إله الموت) «بعل» أن ينزل فمه، إستسلم «بعل» فإختفى، عرف الإله «إيل» بهذا الإختفاء، فأعلن الحداد وتحسر على البشر الذين حُرموا من «إله الأرض» وبكت «عناة» هى أيضاً، ولكنها وجدت جسد أخيها فحملته بمعاونة الإله شمس (الشمس) إلى قمة الجبل الذى يشكل الرباط بين السماء والأرض، ثم ذهبت تبحث عن موت

(إله الموت) القاتل فمزقته تمزيقاً، وعاد بعل إلى الحياة .. وبعد سبع سنين واجه بعل موت من جديد فى مواجهة، توقفت بأمر «إيل» الذى يحافظ على التوازن فى الكون، منع «إيل» أن يُمحق بعل، ولم يسمح لبعل بـأن يُهلك مـوت»[1] . فهل يرى أحد أثراً لمثل هذه الخرافات فى الكتاب المقدَّس ؟!.

٢- يرى الدكتور سيد القمنى أن بنى إسرائيل عرفوا عدداً كبيراً من الآلهة ومن أشهرهم الرب الإله : فيقول «وقد سبق وعلمنا أن (إل) كان إسماً جلالياً منتشراً على نطاق واسع بين جميع الشعوب السامية، ووصفته ملحمة البعل الأوغاريتية الفينيقية بأن «إيل أبو السنين» و «خالق الخلائق» و«ثوار إيل» .. فإن الباحث فى التوراة يجده فى مواضع أخرى كثيرة إسماً ذا دلالة عامة، وإنه إستخدم للدلالة على عدد من الآلهة كل منها (إل) أو إله، تعاصرت فى العهد الإبراهيمى وكوَّنت مجمعاً كان له إله رئيس أو كبير، مُيّز بلقب (الرب الإله) ويمكن أن نفهم ذلك من نصوص عديدة، منها مثلاً :

{وسمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال : أين أنت ؟ .. فقال الرب الإله للمرأة .. فقال الرب الإله للحيَّة .. } (تك ٣ : ٨ - ١٤) .. **{هوذا الإنسان قد صار كواحد منا .. }** .. والتعبير (كواحد منا) يشير بوضوح إلى مجمع من الآلهة الخالدة يقف فيه الرب الإله متحدثاً .. وغالباً ما حددت التوراة الإله فى مجمع من ثلاثة شخوص، كما فى قصة ذهاب الرب إلى النبى إبراهيم .. (تك ١٨ : ١ - ٣) والنص واضح تماماً، فالرب هنا يظهـر فى صورة ثلاثة رجال إستقبلهم إبراهيم، ثـم خاطبهـم بصيغة المفرد : يا سيد، عينيك، عبدك .. المربك فى هذا النص القول أن هؤلاء الرجال الآلهة ذهبوا نحو سدوم

(١) الخورى بولس الفغالى - المدخل إلى الكتاب المقدَّس جـ ١ ص ٤٧٢

ليدمروها، بينما بقى الرب مع إبراهيم، ولا تفسير لهذا الأمر سوى أن الذى بقى هو كبيرهم الرب الإله . .

ومع ذلك فإن مزيداً من الإمعان فى التوراة، يرفع عدد آلهة المجمع، حيث نجد عدداً لا بأس به من الآلهة، فهناك (إل صباؤت) إله الجنود، و (إل عليون) الإله العلين، و (إل شداى) الإله الشديد أو القدير، و (إل شليم) إله السلام، و (إل جبور)، و (إل رحبوت) و (إل يراه) ويمكن لخبرة الباحث فى تاريخ الديانات وفى الميثولوجى، أن يشتَم فى هذه الأسماء، أسماء لآلهة مواضـع ومناطق وظواهر طبيعية مترجمة (إل صباؤت) يمكن أيضاً أن تكون (إله الظباء) أو الإله الظبى أو التيس، وهو إله معروف فى تاريخ الديانات كرمز للخصب، و (إل عليون) يمكن أن يكون إله مكان مرتفع كقمة جبل أو بركان أو ما شابه ذلك . و (إل شداى) يمكن أن يترجم إضافة إلى كونه الشديد، إل إله الشذى أو الرائحة أو الريح . . و (إل يراه) رمز واضح لإله الماء والرى والخصب، ويُنطق أيضاً (يراخ) والمصريون يقولون (المطر يرخ) ويتضح للمدقق فى التوراة أن إل يراه كان إلهاً لبئر أو لعين من الماء فهو يلتقى بهاجر {**على عين الماء التى فى طريق شور** } (تك ١٦ : ٧)»[١].

كما يقول د. سيد القمنى أيضاً تعليقاً على «**فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له**» (تك ١٢ : ٧) . . » أما العجيب فى الرؤية هنا فهو التعبير {**فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له**} وهذا إنما يعنى وجود أرباب لم تظهر له، وظهر أحدها، أو أن القبيلة كانت قبل نزول كنعان تعرف رباً محدداً غير هذا «**الذى ظهر له**» . . فهل كان هذا «**الذى ظهر له**» رباً لإبرام

---

(١) قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ص ١٤٩ - ١٥٥

منذ البدء، أم إنه رب كنعانى حيث حطت القبيلة رحالها ؟ . . وهنا يجدر بنا الوقوف قليلاً لتسجيل بعض الملحوظات الهامة التى يمكنها أن تجيب على السؤال المطروح :

(١) إن الإله طوال القصص التوراتى السابق على نزول أرض كنعان، منذ بدء الخليقة إلى ظهور إبرام، لم يذكر أبداً بالإسم (إيل) مما يشير إلى أنه لم يكن معروفاً لهذه القبيلة فى مواطنها الأصلية.

(٢) كان هذا الإله معروفاً هناك حين وصول القبيلة أرض كنعان، وله بيت مقدَّس يُعبّد فيه، وأصبحت المدينة المقام فيها حرماً كاملاً له وسُميت «بيت إيل» .

(٣) إن هذا الإله الكنعانى قد أصبح إلهاً لإسرائيل، أو أنهم إختاروه إلهاً، وأعلنوا أنه هو الذى إختارهم. قاموا يمنحون أنفسهم أرضاً، منحها لهم رب الأرض ذاتها، فهو الذى إختارهم شعباً خاصاً له يمارس معهم الربوبية ؟! . . هو الذى منحهم أرضه الكنعانية . . **{وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان مُلكاً أبدياً . وأكون إلههم }** (تك ١٧ : ٨).

(٤) وإضافة إلى كون (إيل) إلهاً كنعانياً قديماً فى البلاد، له بيته ومدينته المقدَّسة فقد كان له كهانته المنظمة . . فهذا كبير الكهنة يستضيف (إبرام) وأهله بعد معركة ناجحة مع أعداء للمنطقة الكنعانية، ثم يبارك (إبرام) بإسم (إيل) فيسبغ عليه المواطنة لدفاعه عن البلاد **{وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً. وكان كاهناً لله العلى. وباركه وقال مبارك إبرام من الله العلى . . الذى أسلم أعداءك فى يدك }** (تك ١٤ : ١٨ – ٢٠) وفى المقابل تقرر أن ينال الكاهن من (إبرام) ورجاله الذين أخذوا يصولون فى المنطقة ويجولون، العشر من الغنائم التى يغنمها **{فأعطاه عشراً من كل شئ }** (تك ١٤ : ٢٠) . .

(٥) إن (إيل) إله المدينة الكنعانية المقدّسة «بيت إيل» يستمر على عهده وتصميمه فى إختيار بنى عابر شعباً بديلاً لشعبه الكنعانى، فيظهر ليعقوب حفيد إبرام ليؤكد له إستمرار الحلف، ويعرفه بنفسه قائلاً **«أنا إله بيت إيل»** (تك ٣١ : ١٣) أما المكتشفات الأثرية فى تل شمرا فقد كشفت لنا عن ملاحمها المتعددة فى عبادة الإله (إيل) كسيد للآلهة، وخالق للبشر، وأنه كان معروفاً على نطاق واسع فى هذه المنطقة، وتصفه ملحمة (البعل) بأنه خالق الكائنات، رفيع المقام، مقامه عند نبع النهرين قرب أفقا، أبو الزمن والسنين، لطفان (أى كثير اللطف) . . إلخ (د. أنيس فريحة – ملحمة البعل ص ١١٣ – ١١٦)»[1].

تعليق :

أ – ما ورد فى سفر التكوين من إشارات للجمع عند الحديث عن الله مثل « هوذا الإنسان صار كواحد منا» أو «هلم ننزل ونبلبل» كانت إشارة لعقيدة الثالوث القدوس التى لم تكن قد أُستعلنت بعد. أما الثلاثة أشخاص الذين ظهروا لإبراهيم، فهو ظهور لله فى صورة إنسان، ومعه ملاكان، ولذلك ظل إبراهيم واقف أمام الله يشفع عن سدوم وعمورة، بينما ذهب الملاكان لإنقاذ لوط وزوجته وإبنتيه قبل حرق المدينة.

ب– ما جاء بشأن الإدعاء بأن بنى إسرائيل عبدوا آلهة عديدة نقلاً عن الكنعانيين، فقد سبق الرد على هذا الإدعاء بالتفصيل فى كتابنا «مدارس النقد والتشكيك والرد عليها جـ١» ويكفى أن نذكر هنا استخدام أن إسم «إيل» إشارة للألوهة، وقد إستخدمت شعوب عديدة

---

(١) الأسطورة والتراث ص ١٢٢ – ١٢٦

هذا الإسم، ويبدو أن هذا الأسم قد عُرف عقب الطوفان، وجاء الإسم فى سفر التكوين بصيغة الجمع «ألوهيم» إشارة للثالوث القدوس، وجاء فى معجم اللاهوت الكتابى عن إسم «إيل» إنه «إسم جنس يدل على الألوهية بصفة عامة، وإسم علم يـدل علـى الشخص الوحيد والمحدود (يقصد المحدَّد) والذى هو الله، أما ألوهيم فهو صيغة جمع .. ليس أيضاً أثراً وثنياً، إذ هذا لا يتفق من العقلية الإسرائيلة الحساسة جـداً فى مثل هذا الموضوع (تعدد الآلهة) .. كان» إيل» معروفاً ومعبوداً خارج إسرائيل كإسم جنس يدل على الألوهية، تقريباً فى كل العالم السامى»[1].

وقد إقترن إسم «إيل» بأسماء أو صفات أخرى مثل «إيل عليون» أى الإله العالى الذى يعلو فوق كل الوجود (تث ٣٢ : ٨، مز ١٨ : ١٣) و «إيل شداى» أى الرب القدير، و «إيل رئى» أى الله إله الرؤيا، و«إيل أولام» الإسم الذى يشير للسرمدية، فهو الوحيد الأزلى الذى لا بداية له، والأبـدى الذى لا نهاية، و«إيل إله إسرائيل» أى الله إله إسرائيل، و«إيل بيت إيل» أى الله هو إله بيت إيل .. إلخ (راجع مدارس النقد والتشكيك جـ ٣ ص ١٣٥ – ١٤٥).

٣- يقول فراس السواح «فى أسفار التوراة نجد أن اليهود ينادون إلههم بإسم «إيل» وهو رب الأرباب عند الكنعانيين والآراميين .. ونجد إسم إيل فى كثير من أسماء الأعلام اليهودية مثل رعوئيل، إسماعيل، إسرائيل .. إلخ.

وفى المراحل التالية نجد يهوه ينفصل عن إيل ويحاول إنتزاع صفات وسلطات الإله السورى «بعل» إله المطر والعاصفة والرعود، والإله الأكثر محبة فى قلوب السومريين، فالرعد هو صوت بعل الذى يعلن قدومه، والغيوم مركبته التى تقله، والصاعقة سلاحه، والبرق هيبته، والمطر نعمته .

---

(١) معجم اللاهوت الكتابى ص ٩١

هذه الأمور كلها دعاها يهوه لنفسه {**صوت الرب على المياه . إله المجد أرعد . الرب فوق المياه الكثيرة . . صوت الرب بالجلال**} (مز ٢٩ : ٣، ٤) وكذلك {**الجاعل السحاب مركبته الماشى على أجنحة الريح**} (مز ١٠٤ : ٣) فيهوه هنا يتخذ لنفسه صفة أساسية من صفات «بعل» فهو راكب الغيوم» . . وكما طالب بعل ببناء بيت له بعد إنتصاره، كذلك يفعل يهوه (٢صم ٧ : ٣) وكان اليهود لدى قراءاتهم فى التوراة يتهيبون لفظ إسم يهوه، فعندما يصلون فى قراءتهم للإسم يلفظون بدلاً عنه إسم أدوناى، وهو من ألقاب بعل» . . »[١].

وراح كمال الصليبى يربط بين الإله شدَّاى وبين منطقة «إل سدى» فى مرتفعات ظهران وقال أن شداى هو إله من آلهة الجبال لأن الإسم إل شدى تعنى إله الجبل (راجع خفايا التوراة وأسرار شعب الله ص ١٣١) .

تعليق :

أ - الرعد والغيوم والبرق هى علامات على الحضرة الإلهية كما حدث عند نزول الرب على جبل سيناء ولقائه مع موسى والشعب العبرانى، أما «بعل» فليس إلهـاً حقيقياً، وصفاته لا تمثل الواقع ولا الحقيقة، فيهوه الحقيقى لم ينتزع صفات «بعل» لأن «بعل» لا وجود له إلاَّ فى خيال الشعوب الوثنية .

ب - القول بأن يهوه طلب من داود أن يبنى له بيتاً، كما طلب بعل من إيل بناء بيتاً له إفتراض خاطئ، فداود النبى و «**الملك قال لناثان النبى. أنظر. إنى ساكن فى بيت من أرز**

---

(١) مغامرة العقل الأولى ص ١٠٨، ١٠٩

وتابوت الله ساكن داخل الشُّقَق . فقال ناثان للملك أذهب أفعل كل ما بقلبك» (٢ صم ٧ : ٢،٣) والأمر إنتهى برفض الله أن يبنى له داود بيتـاً، إنمـا أعطـاه وعـداً بـأن إبنـه سـليمان هـو الـذى سـيبنى البيـت (٢ صم ٧ : ١٢ – ١٧).

جـ- ما ذهب إليه كمال الصليبى من أن الآباء عاشوا فى الجزيرة العربية، لا يقره أى باحث منصف، ففى هذا القول مسح وإلغاء لتاريخ فلسطين، وتكذيب لجميع الأدلة الأثرية والتاريخية التى تثبت أن الآباء عاشوا فى أرض الموعد أرض كنعان وليس فى الجزيرة العربية، وقد رد فراس السواح فى كتابه «الحدث التوراتــى والشرق الأدنى القديم» بالتفصيل على إدعاءات كمال الصليبى فى كتابه «خفايا التوراة وأسرار شعب الله» وسنعود لهذا الموضوع فى موضع آخر إن شاءت نعمة الرب وعشنا.

س٢٩٦ : هل العهد الذى قطعه الله مع إبرآم (تك ١٥ : ٧ – ١٩) مستمد من أسطورة طروادة وغيرها من الأساطير ؟

ويعلق «جيمس فريزر» على الذبائح التى قدمها إبرآم بحسب أمر الرب، والعهد الذى قطعه الله مع إبراهيم فيقول أن هذه عادات سادت منذ القديم بين الشعوب الوثنية، وذكر أمثلة عديدة على هذا، نذكر منها ما يلى :

أ - عندما قـاد «أغا ممنون» الأغريق للهجـوم على طروادة، ذبح العرَّاف «كلخاس» خنزيراً بريًّا فى ميدان السوق وشطره شطرين . . ومرَّ كل جندى بينهما شاهراً سيفه وهو يغمس طرف سيفه فى دم الذبيحة، ولهذا أقسموا على عدائهم لبريام ملك طروادة . .

ب - عند عقد معاهدة سلمية فى قبيلة «ناندى» كان يُذبح كلب ويشطر شطرين، يحمل كل شطر ممثل عن طرف من الطرفين المتنازعين، ثم يأتى رجل ثالث ليقول «ليُقتل من ينقض هذه المعاهدة، كما قُتل هذا الكلب»[1] .

جـ - عندما كان يعقد زعيم قبيلة «بارولونج» فى أفريقيا الجنوبية معاهدة سلمية مع زعيم قبيلة أخرى، كان يأتى بمعدة ثور ويبقرها، ويزحف الزعيمان واحد تلو الآخر من خلال فتحة المعدة، فتصير القبيلتان كأنهما قبيلة واحدة، وفسر «و. روبرتسون» هذه العادات على أساس نظرية التطهير أو السر المقدَّس حيث إفترض أن» مرور الجانبين بين أجزاء الحيوان المذبوح رمز إلى إنتمائهم إلى حياة الحيوان الروحية»[2] .

د - عند عقد معاهدة سلمية لدى عشائر «لو شاى كوكى» كان يُربط حيوان المثان (وهو من فصيلة الثور الأمريكى) فى عمود، ثم يطعن كل فرد من المتعاهدين الثور خلف رقبته برمح، فيتدفق الدم، ثم يذبحونه، ويدهنون جباه المتعاهدين وأرجلهم بدمه، ويأكلون قطعاً صغيرة نيئة من كبده، وبذلك يُقسِمون على العيش معاً فى سلام.

هـ - عندما عقد الرومانيون والألبانيون معاهدة، تضرع ممثل الشعب الرومانى للإله «جوبيتر» قائلاً «إذا نقض الشعب الرومانى المعاهدة عن عمد، فتلحق بهم الضربات عند ذاك أيها الإله جوبتر، كما أضرب هذا الخنزير البرى اليوم»[3].

و - عندما عقد الإغريق والطرواديون هدنة فيما بينهم ذبحوا الأغنام، وسكب أنا ممنون الخمر على الذبائح وهم يدعون أن من يحنث باليمين تُهشَّم رأسه ويسيل مخه مثل هذا الخمر.

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١٨

(٢) المرجع السابق ص ٣١

(٣) المرجع السابق ص ٢٦

ز - عندما كان يجتمع زعماء «الباتاكيون» فى سومطرة ليعقدوا صلحاً أو عهداً، ويذبح أكبرهم خنزير أو بقرة، يخرجون قلبه، فيأخذ كل زعيم جزء فى سنح ويشويه أو يدفئه على النار ويأكله وهو يقول «إذا حدث وحنثت بيمينى، فلأقتل كما قُتل هذا الحيوان المسجى أمامى وهو يدمى، وليُلتهَم لحمى كما يُلتهم قلبه الآن»[١].

ح - فى قبائل الشينيين يطلق المتعاهدون النار على رأس الثور، وعندما يسقط يُذبح، ويلطخ المتعاهدون وجوه بعضهم البعض بدم الثور، ويقول حكمائهم «ليمت من ينقض هذا العهد ميتة هذا الحيوان، وليُدفن جسده خارج القرية، ولا تهدأ روحه أبداً، ولتمت أسرة كل من ينقض العهد، وليلحق بها كل حظ عثر»[٢].

ط- عند غجر «ترانسلانيا» تمر المرأة التى ولدت بين شطرى ديك إذا كان المولود ذكراً، أو بين شطرى دجاجة إذا كانت المولودة أنثى، ثم يأكل الرجال الديك، أو تأكل النساء الدجاجة.

ويقول جيمس فريزر «ويتضح من هذه الأمثلة أن المرور بين أجزاء الحيوان المذبوح يُقصد به الوقاية لا العقاب. كما أن لحم الضحية ودمها تشكل عقبة فى طريق القوى الشريرة .. فإذا عدنا من حيث بدأنا، فإنه يحق لنا أن نتساءل عما إذا كانت الوسيلة التى كان يتبعها العبريون القدماء عند عقد عهد بين طرفين، عن طريق المرور بين أجزاء الضحية، يُقصد بها العقاب أو التطهير، وبتعبير آخر هل كانت تعد وسيلة رمزية لإحلال الموت بالحانث باليمين ..

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ٢٨، ٢٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

أم كانت وسيلة سحرية لوقاية المتعاهدين من تأثير القوى الشريرة، ومن ثَمَ فهى تحميهم من أخطار بعينها يمكن أن يتعرضوا لها»[1].

كما يُعلق جيمس فريـزر على الضحايا البشرية التى كان يقدمها الكنعانيون، فيقول «إذا كان هيكل الفتاة التى عُثر عليها فى مقبرة «جيزر» يمثل حقاً بقايا عادة التضحية بإنسان، فما زال علينا أن نتساءل : لماذا شق جسد الفتاة أو نُشر على هذا النحو ؟ إن عهد إبراهيم الذى نقيس عليه وبالمثل الطقوس المشابهة التى تحدثنا عنها، تشير إلى أن شطر الفتاة الضحية إلى شطرين ربما كان يُقصد به الوقاية الجماعية، أو التصديق على عهد . أو أننا نفترض أن جسد البنت قد قُطع إلى نصفين وأن الناس مروا بين هذين النصفين، إما بقصد تضليل قوى شريرة . . أو بقصد تأكيد معاهدة سلمية . .

عندما إستولى «ببليوس» على مدينة «أولكس» قيل أنه أسر زوجة ملك المدينة وقطعها إلى نصفين وترك جيشه يمر بين هذين النصفين قبل أن يدخل المدينة . . فإن التأثير الذى يحدثه المرور بين جزئى الضحية من شأنه أن يخلق عهداً دموياً بين الظافرين والمنهزمين معاً، ومن ثَمَ فهو يؤمّن المنتصرين ضد كل المحاولات العدائية من جانب المنهزم . . فالغزاة يطهرون أو يحمون أنفسهم من تأثير أعدائهم الشرير بالدخول ضمناً معهم فى عهد دموى»[2].

وأيضاً يذكر جيمس فريزر «جاكسون» الذى عاش فى بداية القرن العشرين تقريباً لمدة سنتين بين الفيجيائيين المتبررين الملحدين، فرآهم يدفنون الرجال أحياء بجوار أعمدة البناء، والرجال يعانقون الأعمدة بقصد الإمساك بدعائم البيت بحجة أنه إذا ضحى هؤلاء الرجـال بأرواحهـم من أجـل هذا المبنـى، فإن فضيـلة الضحيـة تحض الآلهـة للحفـاظ على سـلامة البناء (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ٤٨).

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ٣٥

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٥

ج : ما ذُكر سابقاً لا يمثل كل ما ساقه جيمس فريزر من قصص وأساطير، ومع هذا فما عُرض يكفى القارئ العزيز ليعرف بوضوح تام مدى الفارق الشاسع بين العهد الذى أقامه الله مع إبراهيم، وبين القصص التى أوردها جيمس فريزر، فمثلاً :

١- تنفرد ذبيحة العهد بين الله وإبراهيم، بأن الله هو الذى حدَّد لإبراهيم الذبائح التى تُقدم، وهى عجْلة عمرها ثلاث سنوات، وكذلك عنزة وكبشاً عمر كل منهما ثلاث سنوات، ويشطر كل منهما نصفين مع يمامة وحمامة لا تشطران، بينما ما جاء فى القصص التى ساقها فريزر نجد الذبيحة قدمت من نوع واحد، سواء كانت ثوراً، أو خنزيراً، أو كلباً، أو بشراً، ولا يشترط لها عمر معين.

٢- تنفرد ذبيحة العهد التى قدمها إبرام بأنها ظلت قائمة طوال اليوم، حتى أن الجوارح أرادت إلتهامها، وظل إبرآم يزجرها، وهذا لا نجد له أثراً فى الأساطير.

٣- تنفرد ذبيحة العهد التى قدمها إبرآم، أنه وقت المغيب وقعت رعبة مظلمة عظيمة على إبرآم، ووقع عليه ثبات، ورأى رؤيا، وسمع صوت الله ينبئه بمستقبل نسله، الذى سيغرب فى أرض غريبة لمدة أربعمائة عاماً، ويتعرض للذل والإستعباد، ثم ينقذه الله، ويدين الأمة التى إستعبدته، وهذا ما تحقق بالضبط، فأى أسطورة أو قصة سادت بين الشعوب تحكى عن رؤيا مقترنة بنبوؤة لأحد طرفى العهد ؟!

٤- تنفرد ذبيحة العهد الذى قدمها إبرآم بأن تنور دخان ومصباح نار بدون مصدر بشرى لهما، قد جازا بين شطرى الذبيحة، وهذا لا نجد له أى أثر فى الأساطير.

٥- فى الأمثلة التى ذكرها جيمس فريزر تُذبح الذبيحة وتشطر، أو تطعن بالرماح، أو يُحرق وجهها بالنار وهى حية، والهدف هو عقد معاهدة سلمية بين طرفين متخاصمين أو

متحاربين، بينما العهد الذى قطعه الله مع إبراهيم لم يكن إثر نزاع أو خصام بين الله وإبرآم، إنما هو عهد بين الله القادر على كل شئ وبين عبده إبرآم الإنسان الأمين المحبوب .. إنه تنازل من الله ليُدخل الطمأنينة فى نفس حبيبه إبرآم، وبأنه سيرث أرض كنعان «**فقال أيها السيد الرب بماذا أعلم إنى أرثها . فقال له خذ عجْلة ثلاثية و . .**» (تك ١٥ : ٨ – ١٠).

٦- ذكر فريزر أن الهدف من ذبائح العهد بين الشعوب إقرار السلام بين المتنازعين، أو عدم الحنث بالعهد وتعرض من يحنث بالعهد للعقوبة والذبح كما حدث للذبيحة، أو تطهير الذين تلوثت أيديهم بسفك الدماء أو الوقاية من قوى شريرة، وهذه الأهداف لا نجد لها أثراً فى ذبيحة إبرآم، فالسلام كان قائماً بين إبراهيم وإلهه، وإن الله صادق وأمين، فليس هناك أى إحتمال ولو ضئيل جداً لأن يحنث بعهده، أما إبرام فقد تلقى الوعد الإلهى دون أية شروط، وبالتالى فلا يوجد هنا أيضاً أى إحتمال لحنث إبراهيم، لأن العهد والوعد كان من جانب الله وحده، ولو تصوَّرنا جدلاً أن هناك إلزاماً على إبرام بشئ وحنث به، فإن الله لن يشقه كما شُقت هذه الذبائح، وأخيراً فإن يدى إبرام لم تتلوث بسفك الدماء، فلم يُقم هذا الطقس من أجل نوال التطهير، ولا خشية من قوى شريرة.

٧- كل ما ذكره فريرز هو عهود بين أشخاص أو بين جماعات، ولم توجد منها أسطورة واحدة تمثل عهداً بين الإنسان والإله.

٨- لو كان نقد النُقَّاد صحيحاً لحدَّدوا الأسطورة أو الأساطير التى إستمد منها إبرام ذبيحته، ولعقدوا المقارنات الدقيقة، وهذا لم يحدث، إنما كل ما حدث فهو من قبيل إلقاء الكلام على عواهنه.

س٢٩٧ : هل قصة دمار سدوم وعمورة قصة خيالية ؟ ولو كانت قصة حقيقية ألاً تعتبر خرقاً للعهد الذى قطعه الله مع نوح بأن لا يهلك الأرض مرة أخرى ؟

قال فراس السواح «فقصص الآباء فى سفر التكوين رغم ترجيح وجود أساس واقعى لها، ليست إلاَّ نوعاً من الملحمة البطولية، مما تعودت الشعوب تدبيجه عن البدايات الأولى . . فبعد المقدمة الميثولوجية المتعلقة بخلق العالم، ندخل فى سلسلة أحداث مليئة بالتهويلات والمبالغات فنرى . . مدن بكاملها تختفى من الوجود بنار وكبريت من السماء تنسكب عليها (تك ١٩ : ٢٢ - ٢٦)»[١] .

وقال ليوتاكسل ساخراً «ولكن إذا أردت ألا تصدق بأن الحمامة (كناية عن الروح القدس) سخرت من مؤلف سفر التكوين المقدَّس، وإذا كانت لديك رغبة فى تصديق قصة المطر النارى، الذى هطل من السماء ليقتل الذين كانوا يمارسون اللواط والسحاق فى سدوم وعمورة، فعليك أن تعترف إذاً بأن يهوه الذى لا يتغير، قد (ذكر ليوتاكسل لفظاً يعنى عدم الصدق) . . أليس هو نفسه من أقسم لنوح بأنه لن يعود إلى قتل الناس ثانية ؟ ألم يكن قوس قزح علامة لعهده بألاً يرسل الطوفان ثانية ؟ فإن تقسم بألاً ترسل الطوفان، ثم تستبدل تيارات الماء بتيـارات مـن النار والكبريت لهى (وهنا نطق ليوتاكسل بأ لفاظ لا تليق بعظمة الله) . . »[٢].

ويرى «زينون كوسيوفسكى» أن تحوُّل إمرأة لوط إلى عمود ملح هو خرافة، فيقول» قرب البحر الميت تلال من الملح الصخرى، أخذ بعضها نتيجة للنحت والعوامل الجوية الأخرى هيئة تذكر بشكل إنسان وهذا بلا شك كان أساساً لظهور خرافة حول زوجة لوط التى تحوَّلت إلى عمود من الملح»[٣].

---

(١) الحدث التوراتى والشرق الأدنى القديم ص ١٩٦

(٢) هل التوراة كتاب مقدَّس أم جمع من الأساطير ص ١٠٢

(٣) الأسطورة والحقيقة فى القصص التوراتية ص ٦٨

ج : ١- لم يخـرق الله عهده مع نوح لأن نص العهد القديم جاء فى الصيغة الآتية :

«لا أعــود ألعــن الأرض . لا أعــود أيضــاً أُميـت كل حــى كما فعلت» (تك ٨ : ٢١).

وهذا العهد قائم لليوم، فمنذ أيام نوح وللآن لم يُهلك الله كل كائن حى من إنسان وحيوان، وما حدث فى سدوم وعمورة هو إبادة جزئية لأنها شملت مساحة ضئيلة من مساحة الكرة الأرضية، ولم تكن الإبادة شاملة لكل حى على وجه الأرض، وهنا تظهر بوضوح مغالطات النُقَّاد التى يختلقونها بهدف خدمة مقاصدهم.

٢ – رغـم أن «لويوتاكسل» سخر من حرق سدوم وعمورة معتبراً أنها خرافة، إلاَّ أنه أورد قولاً لسترابون فى القرن الأول الميلادى، يؤكد فيه على حقيقة خراب سدوم وعمورة، فقال «وإذ عدنا إلى الجغرافى العظيم «سترابون» الذى عاش فى الحقبة التى تنتسب إليها الخرافة المسيحية عن ميلاد يسوع المسيح، فسنرى أنه درس آسيا الصغرى دراسة مفصلة، وخاصة فلسطين التى وصفها بدقة متناهية، وقد درس سترابون منطقة سدوم والبحر الميت على وجه الخصوص . . إلاَّ أن ما وصفه «سترابون» يثير الفضول حقاً، فيقول [هناك أُسس كثيرة تدعو إلى الإعتقاد بأن هذه المنطقة كانت فريسة للنار، صخور محترقة، شروخ كثيرة، أرض من الرماد، إنها تفوح منها رائحة كريهة، وأطلال المنازل منتشرة فى كل مكان، وهذا يرغمنا أن نصدق ما يزعمه السكان المحليون من أنه كانت تقوم هنا فى زمن ما، ثلاثة عشر مدينة عاصمتها سدوم، ولكن هزة أرضية، أو حمماً بركانية، وتيارات مياه البحيرة الكبريتية، إبتلعت هذه البلاد، ولم يبق منها سوى الصخور شاهدة على الكارثة. بعض المدن غرق وبعضها الآخر تركه السكان لينجوا بأرواحهم } (سترابون – الجغرافيا – الكتاب xv١ الفصل ١١) غنى عن القول أن هذا

الوصف لا يشبه ما جاء فى كتاب التكوين **{فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من السماء }**»[1].

أما إحتجاج ليوتاكسل بأن الخراب حدث عن طريق الحمم البركانية، وهو يخالف ما جاء فى سفر التكوين بأن الله أمطر ناراً وكبريتاً، فالحقيقة أن الحمم البركانية تندفع من فوهة البركان لأعلى ثم تهبط لتغطى مساحات كبيرة، فهى شبيهة بالمطر فى منظر سقوطها على اليابسة. ثم ما هو مصدر الأمطار ؟ أليست مياهاً كانت مستقرة على الأرض ثم تبخرت فإرتفعت، وتكثفت فهبطت ثانية على اليابسة أمطاراً، وهنا نرى دقة التشبيه فهذه الحمم البركانية إنطلقت من جوف الأرض وإرتفعت ثم عادت وهبطت ثانية . ثم أيها القارئ العزيز ألم ترى إنساناً بذيئاً يمطر الآخرين بالبذاءات والشتائم ؟!

٣- يقول جوش مكدويل «كان من المعتقد أن تدمير سدوم وعمورة من الأمور الخيالية، حتى كشف الدليل الأثرى أن الخمس مدن المذكورة بالتوراة كانت بالفعل مراكز تجارية نشطة بالمنطقة، وكانت مواقعها الجغرافية هى بالضبط كما وصف الكتاب المقدَّس، وكذلك يظهر أن وصف التوراة لنظام الحكم يبدو أنه ليس أقل دقة . تشير الأدلة أيضاً إلى تواجد نشاط بركانى، وأن طبقات الأرض المختلفة قد إنفجرت وتشتت عالياً فى الهواء، فالبيتومين منتشر بدرجة عالية هناك، والوصف الدقيق يبرهن على أن الكبريت (أحد مخلفات البيتومين) قد سقط على تلك المدن التى رفضت الله، وهناك أدلة أخرى توضح أن الصخور الرسوبية قد إختلطت مع بعضها البعض بفعل الحرارة الهائلة، وهناك دلائل نراها فوق جبل سدوم تؤكد أن الحريق والتدمير الهائل الذى حدث فى ذلك الزمن البعيد، ربما حدث بسبب إنفجار خزان بترولى أسفل

(١) هل التوراة كتاب مقدَّس أم جمع من الأساطير ص ١٠٠

البحر الميت وإشتعل ودمَّر، مثل هذا التفسير لا يُقلل من شأن القيمة الإعجازية للحدث، لأن الله يسيطر على قوى الطبيعة .. (Geisler , BECA , 50 - 51)»[١].

ويقول نيافة الأنبا بولا أثناء مراجعته لهذا البحث «وما لا يمكن تفسيره الآن يمكن تفسيره علمياً بدقة في المستقبل القريب للتطور العلمي» .

٤- يتحدث «زينون كوسيدوفسكي» عن تلال من الملح الصخري الذي أتخذ شكل إنسان، ولو كان اللفظ دقيقاً فإنه من المستحيل أن تشكل مجموعة تلال شكل إنسان واحد، فإما هو تل واحد شكَّل شكل إنسان، أو تلال شكلت أشكال مجموعة من البشر، وبلا شك أن كوسيدوفسكي يعلم أن سفر التكوين قد أخبرنا بأن لوط كان له زوجة واحدة وليس مجموعة زوجات . ثم لم يذكر زينون في أي عصر كانت هذه التلال قائمة ؟ وهل هذه التلال كانت قائمة بهذا الشكل قبل أيام إبراهيم في القرن الثامن عشر قبل الميلاد أم منذ أيام إبراهيم ؟! .. وهكذا ياصديقي ترى إفتراضات النقاد تقوم على أساس هش بهدف زعزعة الإيمان، ومبدأهم هو «العيار اللي ما يصبش يدوش» .

س٢٩٨ : هل تفضيل الإبن الأصغر في الميراث يعد مبدأً في الكتاب المقدَّس مستمد من عبادات الشعوب المختلفة ؟ يرى «جيمس فريزر» أن وراثة الإبن الأصغر يعد مبدأً في الكتاب المقدَّس بدليل أن إسحق الأصغر ورث أبيه إبراهيم دون إسماعيل، ويعقوب دون عيسو، ويوسف دون إخوته، وأفرايم دون منسى، وفارص دون زاراح، وسليمان دون أدونيا، فيقول جيمس فريزر أن عادة إرث الإبن الأصغر إنتشرت في بعض مناطق إنجلترا، فقد كان في تونجهام، إقطاعيتين أحداهما كانت تقر الميراث للإبن الأكبر، والأخرى كانت تقر الميراث للإبن الأصغر، وفي

---

(١) برهان يتطلب قراراً ص ٢٤٧

«ويلز» كان الإبن الأصغر يرث العقار والأرض والبلطة والمرجل والمحراث، وكذلك إنتشرت فى فرنسا فى القرن السابع عشر عادة توريث الإبن الأصغر الأرض المملوكة للأب، كما سادت هذه العادة فى بلاد نهر الراين، وتمسك بها المزارعون حتى أنه لم يتبقَ لهم نصيب ليرثوه، وحتى إن لم يترك الأب وصية مكتوبة بأن يؤول ميراثه لإبنه الأصغر. كما إنتشرت هذه العادة أيضاً فى سويسرا، والدنمارك والنرويج والسويد، وكما كان الإبن الأصغر له حق الميراث فإنه كان يتحمل عبء رعاية أبويه العاجزين وأخواته غير المتزوجات. (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ٦١ – ٦٩).

وهكذا أخذ فريزر يورد عشرات الأمثلة من مناطق مختلفة يدلل بها على عادة وراثة الإبن الأصغر للميراث، وعادة أخرى فى بعض المناطق وهى وراثة الإبنة الصغرى الميراث من أمها (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص٧٠ – ١٢٠).

ويعلل الرائد «تيكيل» وراثة الإبن الأصغر للميراث قائلاً «إن الإبن الأصغر هو الذى يرث ممتلكات أبيه، لأنه يكون عاجزاً على أن يعول نفسه عند وفاة والديه، وعلى عكس أخوته الكبار الذين سبق لهم أن أعانهم أبوهم فى أثناء حياته على سبيل الإستقلال بحياتهم»[1].

ج : ١- ما حدث فى الكتاب المقدَّس من تفضيل إسحق على إسماعيل، ويعقوب على عيسو، يرجع إلى تذكية الله لإسحق ويعقوب، والإنسان يتذكى أمام الله بناء على نيته الصادقة وأعماله الحسنة، فالله أقر حق وبركة البكورية للإبن البكر، ولكن إن كان الإبن البكر أعماله لا تُرضى الله، فإن البكورية تنزع منه وتعطى للإبن الأصغر . . قال الله «**أليس عيسو أخا يعقوب** .

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١١١

يقول الرب وأحببتُ يعقوب وأبغضتُ عيسو» (ملا ١ : ٢، ٣) نعم عيسو أخو يعقوب، بل هو توأمه، من أب واحد وأم واحدة وبطن واحدة، فالفرصة بينهما متساوية، بل أن عيسو يتميز بحقه فى البكورية، ولكن عيسو صار مستبيحاً وإحتقر البكورية، وفضل أكلة عدس عليها «**فإحتقر عيسو البكورية**» (تك ٢٥ : ٣٤) ولذلك إختار الله يعقوب ورفض عيسو بسابق علمه لما سيكون عليه كل منهما، وقد أعلن الله هذه الحقيقة لرفقة أمهما «**قال لها الرب فى بطنك إثنان ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب. وكبير يُستعبد لصغير**» (تك ٢٥ : ٢٣) وقد حذرنا الإنجيل لئلا نسلك كما سلك عيسو «**لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو الذى لأجل أكلة واحدة باع بكوريته**» (عب ١٢ : ١٦) ومع كلٍ فإن بغضة الله لعيسو لم تكن بغضة شخصية ولا عداوة، لأن الله محبة، إنما كره الله شر عيسو، فأبغض عيسو المتمسك بالشر عدلاً، وأحب يعقوب فضلاً، والأمر الغريب أن الله الذى إختار يعقوب وأحبه، جاء أولاد يعقوب (اليهود) ورفضوه فرفضهم «**إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله**» (يو ١ : ١١) وقد ناقش معلمنا بولس الرسول هذا الإختيار فى الإصحاح التاسع من رسالته لأهل رومية.

٢- لم يأخذ الكتاب المقدَّس من عادات الشعوب، بل أن الأمثلة العديدة التى ساقها جيمس فريزر يرجع تاريخها إلى عصور حديثة نسبياً، ولا ترقى فى القدم إلى الوقت الذى عاش فيه الآباء البطاركة.

س٢٩٩ : هل قصة خداع يعقوب لأبيه إسحق مستمدة من الأساطير؟

يرى جيمس فريزر أن التمويه الذى صنعه يعقوب عندما كسى يديه بجلد الماعز يمثل بقايا طقوس قديمة تُدعى بالميلاد الجديد، فيقول كانت عادة التبنى عند «الجاليين» يُؤخذ الإبن فى سن ثلاث سنوات من حضن أمه، ويُحمل إلى غابة، ويتخلى الأب الشرعى عنه، معلناً أن إبنه

بالنسبة له يُعتبر ميتاً، ثم يُذبح ثور، وتُطلى جبهة الصبى بدم الثور، ويوضع جزء من شحم الثور حول رقبة الإبن، وتغطى يداه بقطعة من جلد الثور، كما فعل يعقوب أمام أبيه إسحق الذى كلَّت عيناه.

وعندما يُولد طفل عند «الأكامبايين» تُذبح نعجة ويُسلخ جلدها وتقطع منها ثلاث شرائح تلف حول معصمى الطفل، والأب، والأم كلٍ على حدة، ومن عادة «الأكيكيين» الإحتفال بالطفل قبل ختانه، بذبح شاه، وأخذ شريط من جلد رجليها الأماميتين ولفه حول معصم الطفل، ويُسمى هذا الطقس بالميلاد الجديد، أو الميلاد من نعجة، ويقول جيمس فريزر «يقام الإحتفال بعد ذلك فى المساء فى كوخ من الأكواخ حيث لا يسمح لغير النساء بالحضور، ثم تمرر قطعة ذات شكل دائرى من جلد النعجة أو الشاه فوق إحدى كتفى الصبى الذى سيُولد من جديد، وتحت ذراعيه من الجانب الآخر لهذا الكتف، كما تمرر أمعاء الحيوان فوق الكتف الأخرى وتحت الذراع الثانى للصبى، ثم تجلس الأم . . على جلد الحيوان المبسوط على الأرض، والطفل بين ركبتيها، وتمرر حولها أمعاء الحيوان . . ثم تأخذ الأم فى الأنين كما لو كانت تعانى آلام الوضع، وتأتى إمرأة ثانية فتقطع أمعاء الحيوان التى تمثل الحبل السرى، وعند ذلك يصطنع الصبى بكاء الطفل الوليد . . وجوهر هذه الشعائر فى الحقيقة هو تظاهر الأم بأنها النعجة التى يخرج من بطنها الصبى»[1].

وربط جيمس فريزر بين ما فعله يعقوب وطقس الميلاد الجديد، فقال» إن حكاية يعقوب الغريبة التى تحكى عن الإحتيال والخديعة . . تحمل مظهراً آخر أكثر وقاراً من ذلك الذى خلعه عليها كاتب القصة . . فالعمل الذى قام به يعقوب، إذا كان فرضنا سليماً، ليس

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١٢٥، ١٢٦

سوى عمل شرعى يحمل مغزى الميلاد الجديد فى شكل عنزة، وذلك بهدف أن يُعامل يعقوب شرعياً معاملة الإبن الأكبر بدلاً من كونه الإبن الأصغر»[1] .

ويقول جيمس فريزر أيضاً «إن حكاية الخديعة التى إرتكبها يعقوب مع أبيه إسحق تتضمن بقايا إحتفال شرعى هو إحتفال الميلاد الجديد من عنزه . . تماماً كما يتظاهر الرجل الهندى فى أيامنا هذه بأنه يولد من جديد من بقرة، وذلك إذا شاء أن يسمو إلى مستوى إجتماعى أعلى من مستواه، أو أن يعود إلى قومه الذين خسرهم . . وربما بُسّط هذا الإحتفال الغريب عند العبريين . . فأصبح يتمثل فى ذبح عنزه، ووضع قطع من جلدها على الشخص الذى يعتقد بذلك أنه يولد من عنزه مرة أخرى، فإذا كان إفتراضنا هذا صحيحاً فإن كاتب قصة يعقوب فى سفر التكوين يكون بذلك قد دوَّن هذه الشعيرة القديمة، وإن كان قد أساء فهمها فى الوقت نفسه»[2].

ج : ١- لم يخرج الآباء خارج أرض كنعان إلاَّ إلى مصر، فلم يذهبوا إلى الجاليين، ولا إلى الركامبايين، ولا إلى الأكيكيين، ولا إلى الهند . . إلخ حتى يكتسبوا مثل هذه العادات، والوضع السابق ينطبق على موسى النبى الذى عاش فى مصر ولم يخرج منها ولم يدخل حتى أرض كنعان، حتى يضع فى سفر التكوين (كقول فريزر) شعائر تُقام فى أماكن بعيدة، وهو يسيئ فهمها.

٢- لقد تخبط جيمس فريزر بين الأساطير وعادات الشعوب النائية، فتارة يقول أن ما حدث مع يعقوب يمثل طقس التبنى لدى الجاليين، مع أن الهدف مختلف تماماً، فكل ما هدفت إليه رفقة وإبنها يعقوب أن يحصل على بركة البكورية، وهو هدف بعيد تماماً عن التبنى، ولم

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١٥٢

(٢) المرجع السابق ص ١٦٧، ١٦٨

يقصد إسحق قط أن يتنازل عن إبنه يعقوب ويعتبره ميتاً، وتارة أخرى يقول فريزر أنها بقايا طقس قديم يُدعى بالميلاد الجديد أو الميلاد من نعجة، حيث يكون للأم دور، فهى تمثل حالة الوضع، وهذا بعيد عما حدث مع يعقوب، فأمه رفقة لم تجلس على جلد مبسوط على الأرض، ولم تئن كما لو كانت تعانى آلام الوضع، ولم يكن يعقوب صبياً صغيراً إصطنع بكاء الطفل الوليد.

وتارة ثالثة يرى فريزر أن هذه القصة من وضع المؤلف بقصد تفسير عادة تفضيل الإبن الأصغر على الأكبر، فقال «إن يعقوب بوصفه الإبن الأصغر لإسحق، كانت له الأولوية فى ظل العادات القديمة، فى المطالبة بحقه فى إرث أبيه إسحق، وأن التحايل الذى قام به بقصد حرمان أخيه «عيسو» من حقه فى الإرث، لم يكن سوى محاولات من جانب المؤرخ بهدف تفسير عادة تفضيل الإبن الأصغر على الإبن الأكبر فى الإرث، تلك العادة التى كانت قد هُجرت قبل عصره بزمن طويل، وأصبح مغزاها غير واضح على وجه التقريب»(١).

وتارة رابعة يقول فريزر أن ما فعله يعقوب يشبه ما يفعله الهندى فى هذا العصر عندما يريد أن يسمو إلى مستوى إجتماعى أعلى من مستواه أو يعود إلى قومه الذين خسرهم، مع أن كل ما طمع فيه يعقوب هو بركة البكورية، ولا أدرى كيف يقارن فريزر بين حدثٌ قد حَدَثَ فى القرن السابع عشر قبل الميلاد فى أرض كنعان، وبين حدثٌ يحدث فى الهند فى القرن العشرين بعد الميلاد ؟! ثم أن ما فعله يعقوب لم يكن بقصد العودة إلى قومه الذين خسرهم، بل أن ما حدث قد أدى لفقدانه لأهله والبعد عنهم عشرين عاماً.

وتارة خامسة يرى فريزر أن رفقة التى تُدعى «لبيبة» أرادت أن تختبر مهارتها فى خداع زوجها، فقال «إن الموقف الثانى من الخديعة . . أوحت به إليه أمه «رفقة» التى كانت تُسمى قبل زواجها «لبيبة» وذلك لكى تختبر مهارتها فى خداع

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١٢٨

زوجها»(١) ولم يذكر فريزر سنده فى هذا القول، فمن الذى إلتقى برفقة فهمست له بإسمها قبل الزواج، وإنها كانت تختبر مهارتها فى خداع زوجها ؟!

٣- لم يثق جيمس فريزر من صحة إستنتاجاته، ولذلك تجده تارة يقول «إذا كان فرضنا سليماً» (ص ١٥٢) وتارة أخرة يقول «فإذا كان إفتراضنا صحيحاً» (ص ١٩٨) فكل ما يقول به مجرد إفتراضات وتخمينات·

س٣٠٠ : هل الحُلم الذى رآه يعقوب (تك ٢٨ : ١٠ – ١٥) كان صدى للأساطير والزقورات التى كانت منتشرة حينذاك ؟

ج : ١- يربط جيمس فريزر بين حلم يعقوب، وبين أسطورة معبد أبيداوروس الذى يقصده المرضى، ويقضون ليلتهم فيه، فتظهر لهم الآلهة وهم نائمون، فتمنحهم الشفاء، ويتم تسجيل هذه المعجزات فى ألواح، فيقول «وقد أضفت هذه الكتابات سحراً عجيباً على هذا المكان الذى يشبه إلى حد ما مستشفيات العصر الحديث، ففى هذه الألواح تقرأ، على سبيل المثال، كيف أن رجلاً كانت قد شُلَّت أصابعه جميعاً عدا إصبعاً واحداً، جاء لهذا المكان ليتضرع للإله ليشفيه، فلما وقع بصره على الألواح الموضوعة داخل المعبد وقرأ أخبار الشفاء العجيبة المدوَّنة عليها، بدأ الشك يساوره، على أنه نام فى مهجع المعبد ·· ظهر له الإله ووضع يده على يد هذا الشخص وبسط له أصابعه إصبعاً بعد الآخر ·· ثم برح الرجل فى صباح اليوم التالى المعبد وقد برئ من سقمه، ومرة أخرى زارت هذا المكان إمرأة أثينية عذراء تدعى «أمبروزيا» ·· نامت فى المهجع

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ٥٥

٠٠ ورأت رؤيا فى منامها، بدأ فيها الإله يقف بجانبها ووعدها بأنها ستسترد بصر عينيها المفقود، على شرط أن تقـدم للمعبد خنزيراً من الفضة ٠٠ وبعد أن وعدت الإله أن تفى بذلك، فتح الإله عينيها وصب فيها البلسم، فرجعت فى اليوم التالى إلى بيتها وقد أرتد إليها بصرها»[١]

ثم يحكى فريزر أسطورة السُلم الذى كان يصل للسماء، وعندما تسلَّقه ولد وأمه، خشت الآلهة من غزو البشر للسماء، فيقول «فقد أخبرتنا «كنجلى» فى أثناء حديثها عن آلهة غرب أفريقيا فقالت {إننا نجد فى كل مجموعة من مجموعات الحكايات الشعبية الأصلية على وجه التقريب، حكايات تُروى عن زمن كانت فيه الآلهة أو الأرواح التى تسكن السماء على إتصال مباشر بالناس، وقد إنقطعت هذه العلاقة بسبب أخطاء أرتكبها بعض الناس، فشعب «فرنادويو» يحكى على سبيل المثال أنه فى زمن من الأزمنة لم تكن هناك متاعب أو إضطرابات على وجه الأرض، حيث كان هناك سُلَّم شبيهة بالسلم الذى يستخدمه الناس فى الحصول على ثمار جوز الهند من أعالى الشجر، إلاَّ إنه كان طويلاً للغاية، وعن طريق هذا السلم كانت الآلهة تصعد وتهبط لتشارك فى شئون الناس الدنيوية ٠ ثم حدث أن تسلق ولد شقى هذا السلم حتى وصل إلى إرتفاع شاهق عندما أبصرته أمه، فصعدت فى إثره، فلما رأت الآلهة ذلك تملكها الخوف من تصوُّرها أن الأولاد والنساء سوف يغزون السماء، فأسقطت السلم، ومنذ ذلك الوقت تُرك الجنس البشرى ليقاسى الحياة وحده }»[٢].

وعن أسطورة أخرى يقول فريزر أن «الترودجانيين» قد إعتقدوا أن السماء كانت ترتبـط بالأرض عـن طريـق زحافـة، وظهر شاب وسيم يُدعى «الشمس» راكباً جاموسته البيضاء، وكان من أصل سماوى، ووقع نظره على فتاة تعمل فى الحقل فأحبها وتزوجها ورُزق

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١٧٦، ١٧٧

(٢) المرجع السابق ص ١٨٠ ، ١٨١

منها طفلاً، ولكن الطفل أزعج أبيه الشمس فعاد الأب إلى السماء، وعندما حاولت زوجته اللحاق به عن طريق الزحافة حطم الزحافة فهوت بالمرأة وتحولت إلى تل جيرى هى والزحافة، وهذا التل يقع بالقرب من نهر «ويمبى» ويُدعى بإسم تل الزحافة (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١٨١، ١٨٢).

ويتابع فريزر الأساطير التى تحكى عن ربط السماء بالأرض فيقول أن من الأساطير الترودجانية أن هناك نباتاً شوكياً متسلقاً يُسمى «الروطان المجدول» ومن يرغب الصعود إلى السماء كان عليه أن يضرب هذا النبات بهراوته، فيوقظه من نومه، فيحمل الإنسان ومعه سبعة أوعية مصنوعة من الخيرزان ومملوءة بالماء، فيظل النبات ينمو ويمتد سريعاً تجاه السماء، والصاعد ينعشه بالماء فيرتفع حتى يصل إلى القبو السمائى ويتعلق من خلال فتحة، فيصعد الإنسان إلى السماء، ويظل هذا النبات منتظراً حتى ينتهى الإنسان من مهمته ويعود أدراجه عبر النبات إلى الأرض (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١٨٢، ١٨٣) . . إلخ.

تعليق :

١- مالنا وهذه الخرافات والخزعبلات وسلم يصل للسماء أسقطته الآلهة لأن ولداً شقياً صعد عليه وتبعته أمه، أو زحافة تصل للسماء تسلقتها زوجة شمس ذو الأصل السماوى والذى هرب من الأرض للسماء بسبب ضجيج إبنه، فحطم شمس الزحافة وهوت زوجته للأرض، وتحوَّلت إلى تل جيرى، أو نبات متسلق يصل من الأرض للسماء . . إلخ بينما كل ما رآه يعقوب ليس سلماً فى أرض الواقع، إنما مجرد حُلم، وهو حُلماً حقيقياً من الله لنفس يعقوب القلقة، وهو يقضى ليلته وحيداً فريداً فى العراء مطارداً من أخيه ومهدداً بالموت، فرأى السماء

مفتوحة، والملائكة تصعد للسماء بالصلوات وتهبط بالنعم والتعزيات، وسمع الوعد الإلهى بأنه سينجو من يد أخيه، لأنه فى حماية الإله القدير، والأرض التى ينام عليها سيملكها «**فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق· الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً · · ويتبارك فى نسلك جميع قبائل الأرض · وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردُّك إلى هذه الأرض · لأنى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به**» (تك ٢٨ : ١٣ – ١٧)·

٢- يرى الخورى بولس الفغالى أنه كان هناك أسطورة كنعانية تتحدث عن نزول الإله العظيم «إيل» على الأرض، وبينما كانت عشيرة يعقوب تعبر هذا المكان إكتشفوا مذبح بيت إيل فآمنوا به، وجاءت رؤية يعقوب للسلم القائم للسماء مطابقة لهذا الإعتقاد، فيقول» لقد روت أسطورة كنعانية قديمة إن إيل الإله العظيم نزل فى ماض سحيق، نزل على الأرض فى بيت إيل، كما ينزل الكهنة على درجات الهياكل العظيمة صاحبة الطوابق السبعة فى بلاد الرافدين · وفى يوم من الأيام عبرت عشيرة يعقوب البدوية الأردن، وأقامت فى منطقة بيت إيل· كان أهـل العشيرة يؤمنون بإله يعقوب، إله العشيرة، أسموه «إله يعقوب الذى لا يُقهر» هو «دبير» وقد يعنى الملك، أو المرتبط بإله الوبر (أى البدو) · · إن بنى يعقوب مقتنعون بأن إلههم أعطاهم القدرة لكى يأتوا إلى هذا المكان · · وإرتبطت عشيرة يعقوب بهذه المنطقة، وما عتم أن إجتمع إسم يعقوب مع إسم بيت إيل، وأسطورة الإله الذى نزل على الأرض فى بيت إيل صارت حكاية يرويها إناس يؤمنون · · بإله يعقوب · وحوَّلوها وحدَّدوا معناها فصارت فى التوراة كما يلى «**ورأى حُلماً وإذا سُلَّم منصوبة على الأرض ورأسها يمسُّ السماء· وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها · وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله**

إسحق. الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك» (تك ٢٨ : ١٢، ١٣) ما الذى حدث ؟ تبنى العبرانيون الأسطـورة الكنعانية. أجل، نزل الله من السماء إلى بيت إيل، وظهر لأبينا يعقوب، وهكذا صار «إيل بيت إيل» الإله الكنعانى، صار إله الآباء. أجل إله البدو صار إله يعقوب وعشيرته»[1] .

كما ترآى للخورى بولس الفغالى أن السُلَّم التى رآها يعقوب فى الحلم ما هى إلاَّ صدى للزقورات التى رآها فى بلاد الرافدين، والزقورات هى أبراج ذات سبعة طوابق على مثال السموات السبع، وتُمثل هياكل عالية، يطأها الله لكيما ينزل على الأرض، أو عن طريقها يتصل رئيس الكهنة بالله (راجع البدايات أو مسيرة الإنسان إلى الله ص ٥٤، ١٤٤) وعندما كان الملوك يبنون الزقورات كانوا يضعون الذهب والفضة والأحجار الكريمة فى الأساسات، وجاء أول ذكر للزقورات فى الأدب البابلى فى القرن ٢٢ ق. م عندما ظهر الإله «نينجرسو» فى حلم للملك «كوديا» وطلب منه أن يبنى له بيتاً لكيما يظل القمر يضئ وتظل الشمس تسطع (راجع ناجح المعمورة - موسى وأساطير الشرق ص ١٢٤).

ويقول «زينون كوسيدوفسكى» عن سُلَّم يعقوب «أن ذلك السُلَّم يشبه بشكل هائل الأبراج أو بالأصح الأهرامات البرجية التى فى أور وبابل، ويشبهها بدرجاته الحجرية التى كان الكهنة يصعدون ويهبضون عليها . تزيل كلمات يعقوب بعد إستيقاظه أى شك حول وجود هذا التأثير وذلك عندما قال **«ما أرهب هذا المكان ما هذا إلاَّ بيت الله وهذا باب السماء»** فما كان لباب السماء هذا بعلاقته بالسُلَّم

---

(١) تعرَّف إلى العهد القديم مع الآباء والأنبياء ص ٤٨

أى معنى لو لم تكن تعرف أن بابل تعنى (باب الإله) وهكذا يتوضح الإرتباط الهائل الذى لا مجال للشك فيه بين سلم يعقوب وبرج بابل»[1]

تعليق :

١- تقول الأسطورة الكنعانية أن «إيل» الإله العظيم نزل فى الماضى السحيق إلى الأرض، فدُعيت منطقة النزول «بيت إيل» وأن عشيرة يعقوب عبرت هذا المكان وكانت تؤمن بإله يعقوب، فدمجت بين إله يعقوب وإله بيت إيل، ومن هنا جاء حلم يعقوب، وهنا نلاحظ تغافل شديد للعامل الزمنى، فأيهما أسبق فى الوجود : يعقوب الوحيد الهارب من أخيه الذى رأى الحلم، أم عشيرة يعقوب التى تضم زوجاته وأولاده وأحفاده ؟! ٠ ٠ إن يعقوب وحلمه أسبق فى الوجود من عشيرة يعقوب، فكيف يأخذ السابق من اللاحق ؟! كيف يدَّعون أن الحلم جاء نتيجة إعتقاد العشيرة بإله بيت إيل ؟!!

٢- إن كانت الزقورات إنتشرت فى أرض العراق، وساد معها الإعتقاد بأن الله يطأها حتى ينزل إلى الأرض، أو عن طريقها يتصل رئيس الكهنة بالله، فمن يقول أن هذه الزقورات وتلك الإعتقادات إنتشرت أيضاً فى أرض كنعان حيث عاش يعقوب حتى لحظة رؤيته للحلم ؟! ٠ ٠ ثم أن السُلَّم الذى رآه يعقوب فى الحلم كان يقف على رأسه الله والذى نزل عليه وصعد هم الملائكة خدام الله، فلم يرَ يعقوب الله يطأ السُلَّم وينزل، ولم يرَ رئيس الكهنة يصعد به إلى السماء ٠ ٠

٣- لو كان يعقوب مشغولاً بمعابد الأمم المرتفعة (الزقورات) فلماذا لم يحلم بمعبد من تلك المعابد ؟ إنما رأى فى حلمه سُلماً، وهذا السُلَّم يصل إلى السماء، وليس مجرد برجاً مرتفعاً لعدة أمتار٠

---

(١) ترجمة د٠ محمد مخلوف – الأسطورة والحقيقة فى القصص التوراتية ص ٦٢

٤- عندما إستيقظ يعقوب قال **«ما هذا إلاَّ بيت الله وهذا باب السماء»** وهذا أمر مقبول ومفهوم وواضح ومرتبط إرتباط وثيق بالحلم الذى رآه، فلماذا يدعى كوسيدوفسكى أن هذه العبادة لا معنى لها إلاَّ عندما نقرنها بمعنى بابل على أنها باب الإله ؟! ٠٠ بل أن يعقوب لم يقل «باب الإله» ولم يذكر قط إسم «بابل» إنما قال «باب السماء» نظراً للسلم الواصل من الأرض للسماء، فالسلم هو الذى يشير للصلة بين السماء والأرض، وليست بابل التى عندها تفرقت البشرية، وعلى رأس السلم يقف الله المتسلط على كل الخلائق، وهذا السلم هو رمز للسيدة العذراء التى فى أحشائها تلاقى اللاهوت مع الناسوت، الله مع الناس، والسلم هو رمز لصليب المسيا الذى بدونه ليس لنا طريق للسماء٠

٥- هل جميع الآباء القديسين الذى فسروا لنا كلمة الله عبر القرون الطويلة لم يفهموا صلة حلم يعقوب بالزقورات حتى جاء مفسروا القرن العشرين العقلانيين ليكشفوا عن أمور لم يكتشفها أحد قط من قبلهم ؟!

س٣٠١ : هل تدشين يعقوب للحجر (تك ٢٨ : ١٨ – ٢٢) أُخذ من الأساطير وعبادة الأحجار ؟

يقول جيمس فريزر أن اليهو «كانوا يعتقدون فى الأصل أن الرب كان يسكن حقاً فى هذه الأحجار، وكان إحساسهم بالرهبة فى سكنى الرب لهذه الأحجار هو الذى يخلع عليها قدسيتها، ومن ثَمَ فقد أعلن يعقوب أن الحجر الذى نصَّبه فى بيت إيل ينبغى أن يكون بيت الرب، وفكرة

أن الحجر يسكنه الرب أو أية قوة روحية أخرى لم تكن غريبة على الإسرائيليين القدماء، بل كان يشاركهم فيها كثير من شعوب العالم· فقد كان العرب الجاهليون يعبدون الأحجار، بل أن الحجر الأسود مازال يحتل مكانة أساسية بين شعائرهم المقدَّسة»[1].

كما يربط جيمس فريزر بين حجر يعقوب وعبادة الأوثان فيقول» من المحتمل · · أن الحجر المقدَّس الذى يُنسب إلى يعقوب فى بيت إيل كان من هذه الأحجار الصلبة المنتصبة، أو إحدى الأعمدة الخشبية التى كان العبريون يسمونها «ماسيبوث» وهى تلك الأحجار التى كانت ملحقة كما رأينا، بمعابد الكنعانيين والإسرائيليين المبكرة · · ومن المحتمل كذلك أن نسل يعقوب كان يتقرَّب إلى هذا الحجر على هذا النحو طيلة عصور طويلة من بعده»[2].

ويذكر فريزر عادة بعض النرويجيين الذين يطلون الأحجار بالزبد مثلما صب يعقوب الزيت على الحجر فيقول «وتعد هذه الأسطورة أصدق دليل على تقديس الحجر · · ومن المؤكد أن عادة طلاء الأحجار المقدَّسة بالزيت تنتشر على نطاق واسع فى جميع أنحاء العالم· فقد كان هناك فى دلفى بالقرب من قبر «نيوتيو ليميـوس» حجـر صغيـر كـان يُصب عليـه الزيت كل يوم · · ووفقاً لما رآه «نيوفراستوس» إنه كان من سمات الرجل المتطير، إنه إذا رأى أحجاراً ناعمة عند مفترق الطريق، فإنه يصب عليها الزيت من قارورة يحملها معه، ثم يسجد أمامها ويصلى لها قبل أن يستأنف سيره · · أما الكاتب المسيحى «أرنوبيوس» فيقول فى معرض حديثه عن عبادة الأوثان فى أيامه بطريقة عمياء [إننى تعودت كلما أبصرت حجراً مطلياً بالزيت

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١٨٧

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٠

أن أعبده كما لو كانت فيه قوة تسكنه، ثم أطريه (أى أمدحه) وأتحدث إليه وألتمس الخير من تلك الكتلة الصخرية الصماء }»[1].

ويقول «زينون كوسيدوفسكى» . . «وقد نصب يعقوب عموداً من الحجر وغطاه بالشيح ذلك كذكرى لحلمه . إن هذا العمل عادة سامية قديمة، وعبادة الحجارة أقدم عبادة عند القبائل البدائية، فالحجر الأسود فى مكة المكرمة هو رمز ومثال لديانات العرب القدماء أيام الشرك، وقد عُرفت عبادة الحجارة عند الفينيقيين وفى أرض كنعان وفى فلسطين . . ففى مدينة جازر بالتحديد وجدوا سبعة أعمدة مقدَّسة منصوبة على تلة، وقد إعتقد الساميون أن الإله يعيش هناك فسموها بيت إيل أى (بيت الإله) وقد أطلق يعقوب تلك التسمية على المكان الذى رآى فيه السُلَّم والملائكة فى منامه»[2].

تعليق :

١- يتغافل جيمس فريزر عامل الزمن، ويقلب الحقائق، فيقول بما معناه لأن اليهود قدَّسوا الأحجار وإعتقدوا أن الله سكن فيها، لذلك دشن يعقوب الحجر المقدَّس . . أيهما أسبق فى الوجود : يعقوب الهارب بمفرده من وجه أخيه عيسو، أم الشعب اليهودى المكوَّن من الأسباط الإثنى عشر أولاد يعقوب ؟! . . فكيف يأخذ السابق (يعقوب بمفرده) من اللاحق (الشعب اليهودى) ؟! . . هذه واحدة، وواحدة أخرى أن الآباء البطاركة لم يسقطوا فى عبادة الأحجار قط، بل كانت هناك علاقة خاصة بين الله وهؤلاء الآباء، فهو إختارهم ليكوّن شعباً مقدَّساً له، وهم وضعوا فيه ثقتهم ورجاؤهم، فلا يصح مقارنتهم بعبَّاد الأصنام، وأمر ثالث أن الشعب

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ١٩٦

(٢) ترجمة د. محمد مخلوف – الأسطورة والحقيقة فى القصص التوراتية ص ٦٢

اليهودى هو الشعب الوحيد الذى عرف الإله الحقيقى خالق السماء والأرض، وإن كان هذا الشعب قد ضعف خلال تاريخه المقدَّس وعبد الأوثان، فإنه على الفور كان ينال عقاب خطاياه، كما أن كبواته لا تعبر أبداً عن أصل عقيدته كما نادى بها الأنبياء القديسون وسجلوها فى الأسفار المقدَّسة، وإلاَّ فليقل لنا فريزر أو غيره فى أى سفر وأية آية شجع العهد القديم الشعب على تقديس الأحجار ؟

٢- ما ذكره فريزر عن النرويجيين الذين يطلون الأحجار بالزبد، وغيرهم ممن يقدسون الأحجار، وما ذكره الكاتب المسيحى «أرنوبيوس» لا علاقة ليعقوب المجاهد بهم ؟! ولم يدشن يعقوب الحجر من أجل أن هؤلاء السابقين أو اللاحقين عبدوا الأحجار وقدسوها.

٣- ما جاء فى سفر التكوين واضح وصريح، وهو ببساطة أن يعقوب نام فى العراء، وهو فى طريقه من بئر سبع إلى حاران ورأى حلماً، وقد أبلغه الله رسالة وطمأنه من خلال هذا الحلم، فقال يعقوب «**ما أرهب هذا المكان . ما هذا إلاَّ بيت الله وهذا باب السماء**» (تك ٢٨ : ١٧) قال هذا قبل أن ينصب الحجر، ثم بعد ذلك «**أخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصبَّ زيتاً على رأسه . ودعا إسم ذلك المكان بيت إيل**» (تك ٢٨ : ١٨، ١٩) فلم يذكر الكتاب لا من قريب ولا من بعيد أن يعقوب سجد للحجر أو مدحه أو طلب منه شيئاً أو صلى إليه . . فقط وضعه علامة لهذا المكان المقدَّس الذى ظهر فيه الله فى حلم له، وعندما عاد يعقوب للمكان بعد عشرين سنة «**بنى هناك مذبحاً ودعى المكان إيل بيت إيل . لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه**» (تك ٣٥ : ٧) فيعقوب بنى مذبحاً للرب، فهو ليس من عبَّاد الإحجار قط.

٤- إنى لأتعجب من رأى «زينون كوسيدوفسكى» الذى تهيأ له أموراً لم يكن لها وجود فى الواقع، مثل قوله بأن يعقوب غطى العمود بالشيح ٠٠ من أى مصدر أتى بهذه المعلومة ؟! ومن أين أتى يعقوب بالشيح ؟! ٠٠ وأتعجب بالأكثر من المترجم الدكتور محمد مخلوف الذى لم يعلق بشئ على رأى كوسيدوفسكى فى الحجر الأسود، فهل يقر ما قاله زينون أن الحجر الأسود رمز لعبادة الأحجار ؟!

س٣٠٢ : هل نظر يعقوب للنصب الحجرى (تك ٣١ : ٤٥ – ٥٤) على أنه روح قوى أو إله ؟

فيعلق جيمس فريزر على رجمة الحجارة هذه أو نصب الشهادة قائلاً» إن هذا النصب كان بمثابة إجراء وثيقة فى هيئة حجر وضع عليه الطرفان المتعاهدان أيديهما، حتى إذا نقض أحدهما العهد، عُوقب الخائن، فالنصب الحجرى لم يكن يُنظر إليه بوصفه مجرد كومة من الأحجار، بل بوصفه شخصاً، أو روحاً قوياً، أو إلهاً ينظر بعين اليقظة على الطرفين المتعاهدين ويذكّرهما بوعدهما ٠ ويتضح هذا من خلال الكلمات التى وجهها لابان إلى يعقوب عند إتمام شعائر العهد فيما بينهما، فلقد قال له **{ليراقب الرب بينى وبينك حينما نتوارى بعضنا عن بعض ٠ إنك لا تذلُّ بناتى ولا تأخذ نساء على بناتى٠ ليس إنسان معنا٠ أنظر ٠ الله شاهد بينى وبينك }** (تك ٣١ : ٤٩، ٥٠) ومن ثمَ فقد سُمى هذا الركام «برج المراقبة» (المصفاة بالعبرية) كما سُمى «صخرة الشهادة» لأنه كان يقوم مقام الرقيب والشاهد معاً»[١].

ويذكر جيمس فريزر عدة قصص تحكى عن إنتشار عادة القسم على كومة الأحجار بين بعض الشعوب، فيقول «إذا إختلف شخصان من» البوجيين «الذين يسكنون إفريقيا الشرقية

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ٢١٩، ٢٢٠

عند حدود الحبشة، فإنهما فى بعض الأحيان يفضان نزاعهما عند حجر بعينه يقف فوقه أحدهما ثم يدعو عليه الشخص الآخر بأن تحل به أقسى اللعنات إذا هو حنث بيمينه · وكلما نطق بلعنته رد عليه رفيقه الذى يقف على الحجر بقوله «آمين» · · ويقسم «الجارويون» كذلك وهم واقفون على الأحجار الشهابية ويقولون {ليقتلنى الإله جويرا (إله الإضاءة) بأحد هذه الأحجار إذا كنت أقول كذباً } ونلاحظ أن وظيفة الحجر فى هذه الحالة جزائية أكثر من كونها تأكيداً لعهد، فالحجر موضوع فى هذا المكان لا لكى يكسب القسم صلابة الحجر، بل ليطلب إنتقام إله الإضاءة من الحانث باليمين»[1].

ج : ١- بعد أن ذكر جيمس فريزر عادات مختلفة، بعضها من أفريقيا، وما أبعدها عن أرض كنعان التى عاش فيها الآباء، وأخذ فريزر يحكى عن الذين نظروا للنصب الحجرى على أنه شخصاً أو روحاً قوياً أو إلهاً، مما شتت أفكار القارئ بلا داعٍ، مع إنه هو لم يُصدّق فى قرارة نفسه أن يعقوب أبو الأسباط كان له نفس معتقدات عبَّاد الأحجار، ولذلك أقرَّ فريزر قائلاً «ومن ناحية أخرى فربما كان أفضل تفسير لتناول الطعام على ركام الأحجار، إن كان يمكن لهذا التفسير أن يكون سليماً، هو إنه محاولة لإقامة علاقة ودية بين الطرفين المتعاهدين بتناولهما طعاماً واحداً فى الوقت الذى يدعم فيه عهدهما عندما يكتسب من الأحجار التى جلسا عليها صفتى القوة والصلابة»[2] ولا أدرى لماذا لم يذكر فريزر هذا التفسير المعقول فى بداية الموضوع ويريح القارئ ؟!

٢- لقد تلامس يعقوب مع الإله الحقيقى، وبالأمس القريب حذر الله لابان من أن يمسه بسوء « **وأتى الله إلى لابان الأرامى فى حلم الليل· وقال له إحترز أن تكلم يعقوب بخير أو**

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ٢٢٦، ٢٢٧

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٩، ٣٠٠

شر» (تك ٣١ : ٢٤) وقال لابان ليعقوب **«فى قدرة يدى أن أصنع بكم شراً ٠ ولكن إله أبيكم كلمنى البارحة قائلاً أحترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر»** (تك ٣١ : ٢٩) ٠ ٠ فهل يمكن أن ينظر يعقوب رجل الله للنصب الحجرى على إنه إله ؟!!

٣- كان العهد فى تلك الأيام مؤسَّس على شاهد أو علامة، وذبيحة، وتعهدات، فكانت رجمة الحجارة هى الشاهد أو العلامة٠ ثم ذبح يعقوب ذبيحة أكل منها الجميع، وتعهد كل من الطرفين أن لا يسئ أحدهما للآخر٠

٤- دعى لابان الرجمة «يجر سهدوثا» وهما كلمتان آراميتان معناهما «رجمة الشهادة» ودعاها يعقوب «جلعيد» وتحمل نفس المعنى، كما دُعيت «المصفاة» أى برج المراقبة، وكان الهدف من هذه الرجمة أن تكون حداً فاصلاً بين يعقوب ولابان، لا يتجاوزها أحد إلاَّ لزيارة قريبه للخير وليس للشر٠

س٣٠٣ : هل قصة صراع يعقوب مع الله (تك ٣٠ : ٢٤ – ٣٢) من وحى الأساطير ؟

يتصوَّر جيمس فرزير أن يعقوب إعتزل عن زوجاته وأولاده ليلتقى بروح النهر وشيطانه الذى يفزع من الزحام، فكمن يعقوب له فى الظلام وقبض عليه لكيما يحصل على البركة فيقول «إذا ربطنا هذه القصة بالملامح الطبيعية للمكان الذى جرت فيه حوادثها من ناحية، وإذا ربطناها بالأساطير الأخرى المشابهة لها ٠ ٠ فإننا نفترض بادئ ذى بدء أن هذا الغريم الذى تصارع معه يعقوب هو روح النهر أو شيطانه، وأن صراع يعقوب معه كان من أجل إنتزاع البركة منه٠ وهذا يفسر سبب تخلف يعقوب عن قافلة النساء والأطفال وقطعان الماشية، وبقاءه وحده فى الظلام فى مخاضة النهر٠ وربما حسب يعقوب أن إله النهر المنعزل يفزع من وقع أقدام القافلة وأصوات خوضها المياه، فيدفعه هذا لأن يختفى فى بحيرة عميقة أو

بين أشجار الدفل التى تنمو على مسافة آمنة بعيدة، حتى إذا ما مرَّ الركب وساد الهدوء النهر ٠ ٠ دفعه الفضول لأن يخرج من مخبئه ليستطلع أحوال النهر، ويعرف سبب هذا الهرج والمرج ٠ ٠ وعند ذلك يكون يعقوب الماكر فى إنتظاره، فينقض عليه ويتشبث به حتى يحصل منه على البركة التى يسعى إليها٠

وقد أمسك «مينيلاوس» على هذا النحو بإله البحر «برونيوس» الذى كان يرقد منعزلاً وقت الظهيرة بين الحواجز وفوق الرمال الصفراء، ليرغمه على أن يخبره بتكهناته وهو ممتنع عن ذلك٠ وعلى هذا النحو كذلك أمسك «بيليبوس» بإلهة البحر «تيتيس» وإتخذها زوجة له وفى كلتا الأسطورتين الإغريقيتين حاول روح الماء ذو الجسد الطيّع الأملس، أن ينزلق من قبضة آسرهُ مرة بعد الأخرى مُغيّراً شكله من أسد إلى حيَّة، ومن حيَّة إلى سائل وهكذا، حتى وجد فى النهاية أن محاولاته تضيع هباء وإنه لم ينجح فى الإنفلات من يد خصمه العنيد، فرضخ لمطلبه وأعطاه المنحة التى يسعى إليها٠ وكذلك حوَّل إله النهر «أشيليوش» نفسه إلى حيَّة ثم إلى شبح لكى ينفلت من البطل الجرئ هرقل الذى أمسك به لكى يستولى على «ديجانيرا» الجميلة، ولكن محاولات إله النهر ضاعت هباء»[1]

وراح جيمس فريزر يورد قصصاً من هنا وهناك عن إناس كانوا يصلون ويغسلون أيديهم عندما يعبرون النهر حتى لا يتعرضوا لغضب الآلهة، والبعض قدمـوا أفراساً بيضاً ضحية للنهر، والبعض يرمون للنهر حبوب الذرة ليسترضونه، والبعض عندما يرون النهر قد جرف واحد منهم لا يحاولون إنقاذه، والبعض عند عبورهم يحيون النهر بتحية عميقة، والبعض عند عبورهم يعترفون بآثامهم ٠ ٠ إلخ (راجع الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ٢٣٨ - ٢٤٣)٠

ويقول جيمس فريزر أن يعقوب ظل يناضل مع الرجل» حتى بزغ الصباح وأخذ ضوءه يتسرب إلى ذروة الغابات التى تنتشر فى أعلى جوانب الوادى فوق الرجلين المتصارعين فى ظلال

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم ص ٢٣٥ - ٢٣٧

الوادى. ثم نظر هذا الشخص الغريب إلى أعلى وأبصر الضوء فقال ليعقوب «**إطلقنى لأنه قد طلع الفجر**» (تك ٣٢ : ٢٦) وعلى هذا النحو إنتزع «جوبتر» نفسه من بين أذرع «نجمينا» المُغرَمة به قبل بزوق الغسق، كما إختفى شبح والد «هملت» عند صياح الديكة .. ولكن يعقوب تعلَّق بالرجل الغريب وقال له «**لا أطلقك إن لم تباركنى**» (تك ٣٢ : ٢٦)»[1]

ويربط جيمس فريزر بين قصة صراع يعقوب وبعض الأساطير والخرافات، فيقول أن قصة الصراع هذه» لها ما يناظرها فى خرافات المكسيكيين القدماء، فقد كان هؤلاء يعتقدون أن الإله الكبير «تركاتليبوكا» تعوَّد أن يتجول فى أثناء الليل فى هيئة مارد يلتف فى ملاءة ذات لون رمادى ويمسك رأسه بيديه، وعندما أبصر الناس الجبناء هذا الشبح المخيف سقطوا على الأرض مغشياً عليهم، وماتوا إثر ذلك. على أن رجلاً شجاعاً من بينهم أمسك بالشبح وأخبره بأنه لن يتركه يرحل حتى تشرق الشمس، فتوسل الشبح إليه أن يتركه، وهدَّده بأنه إن لم يفعل ذلك فسوف تحل عليه اللعنة، وكان على الرجل إن شاء أن ينتصر على الشبح المخيف، أن يظل ممسكاً به بشدة إلى أن توشك الشمس على البزوغ، فإذا نجح فى هذا غيَّر الشبح من نغمته، ووافق على أن يمنح الرجل أى هبة يطلبها مثل الثروة والقوة التى لا تقهر، بشرط أن يرفع الرجل يده عن الشبح ويدعه يرحل قبل الغسق، وقد تسلَّم الإنسان المنتصر من خصمه المهول الذى إنهزم فى مشادة عنيفة مع الإنسان أربع شوكات من نوع معين علامة على نصره»[2]

ويعلق عاطف عبد الغنى على قصة الصراع هذه قائلاً «يعقوب يصارع الإله فلا يقدر عليه، فقدرة يعقوب إذاً تكافئ قدرة ذلك الإله بل وتزيد عليها .. !! إن النص الذى يجسد الإله بشراً يسلب هذا الإله قدرته على خلقة الذين جبلهم من الأرض تراباً، فأى عقل مريض

(١) الفولكلور فى العهد القديم ص ٢٣٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٧، ٢٤٨

صوَّر هذا ؟ إن التوراة تكشف دون أن تدرى عن مصدرها الأسطورى التى إستشفت منه هذه القصة» .[1]

ويعلق الخورى بولس الفغالى على إمتناع اليهود عن أكل عرق النساء قائلاً «لمس الرجل حق ورك يعقوب فانخلع . . ولذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النساء. لا نجد شيئاً فى التقليد اليهودى عن منع أكل عرق النساء. أنكون أمام عادة قديمة إرتبطت بأساطير كتلك التى تمنع الناس من أكل ساق الغزلان، لئلا يضعفوا فلا يعودون يقوون على الذهاب إلى الصيد»[2].

ويرجع جيمس فريزر عدم أكل اليهود عرق النساء بعادات هندية فيقول «أما ما يُحكى فى أن يعقوب أُصيب فى عصب معين فى فخذه أثناء صراعه مع خصمه الذى ظهر له أثناء الليل، فمن الواضح أنها محاولة لتفسير إمتناع العبريين عن أكل الجزء المقابل لهذا عند الحيوان، وكل من هذه الحكاية وتلك العادة لها ما يماثلها لدى بعض القبائل الهندية التى تسكن أمريكا الشمالية» .[3]

ج : ١- تربى يعقوب فى أحضان أبيه القديس إسحق وأمه رفقة، ولم يسافر لبلاد الإغريق ولا بلاد الهند، فماله والأساطير ؟!

٢- هل يمكن أن يعقوب الذى كلمه الرب منذ أيام قليلة يطلب منه الرجوع إلى أرضه ووعده بأنه سيكون معه «**وقال الرب ليعقوب إرجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك . فأكون معك**» (تك ٣١ : ٣) أن يذهب ويبحث عن روح النهر ليلتمس منه بركة ؟!

---

(١) أساطير التوراة ص ٣٨، ٣٩

(٢) المجموعة الكتابية – سفر التكوين ص ٣٥٠

(٣) الفولكلور فى العهد القديم ص ٢٤٦، ٢٤٧

٣- هل يمكن ليعقوب الذى أخبره خاله لابان بأن الرب ظهر له وحذره أن يتكلم معه بخير أو شر، أن يذهب ويلتمس عوناً من آلهة الأساطير ؟!

٤- عبر يعقوب بأسرته نهر يبوق الذى يقع شرق نهر الأردن، ويبلغ طوله ٥٠ ميلاً حيث ينبع بالقرب من عمان، ويتجه شمالاً ثم غرباً، حيث يصب فى نهر الأردن على بعد ١٥ ميلاً شمال البحر الميت ٠٠ لقد إعتزل يعقوب عن أسرته لكيما يختلى للصلاة وطلب المعونة الإلهية، لأنه رغم وعده له بأنه سيكون معه، إلاَّ أنه كان يخشى أخيه عيسو الذى أراد قتله من قبل « **وقال يعقوب يا إله إبراهيم وإله أبى إسحق الرب الذى قال لى أرجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك ٠ صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك ٠ فإنى بعصاى عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين ٠ نجنى من يد أخى عيسو ٠ لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين**» (تك ٣٢ : ٩ – ١١)٠

٥- لم يذكر النص صراحة أن الذى صارع يعقوب هو الله، فلماذا لا يكون ملاكاً مرسلاً من الله لرفع حالة يعقوب المعنوية المتردية، ويقول القمص تادرس يعقوب» يرى غالبية الدارسين أنه ملاك على شكل إنسان، وليس كلمة الله، لكنه يمثل الحضرة الإلهية، إذ يقول يعقوب «**لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسى**» (تك ٣٢ : ٣٠) كما قيل له «**لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت**» (تك ٣٢ : ٢٨)»[١] لقد شاء الملاك أن يُغلب من يعقوب ليسترد يعقوب ثقته بنفسه٠

٦- حتى لو كان هذا الشخص الذى صارع يعقوب هو الله ذاته، فذلك لكيما يهيئ الأذهان لقبول فكرة التجسد الإلهى، وفكرة الفداء، فإن الذى رُفِع على الصليب هو الله ذاته القوى الجبار الذى من أجل عظيم محبته ... تُصلب من أجل خلاص العالم كله، وظهر على

---

(١) تفسير سفر التكوين ص ٢٨٤، ٢٨٥

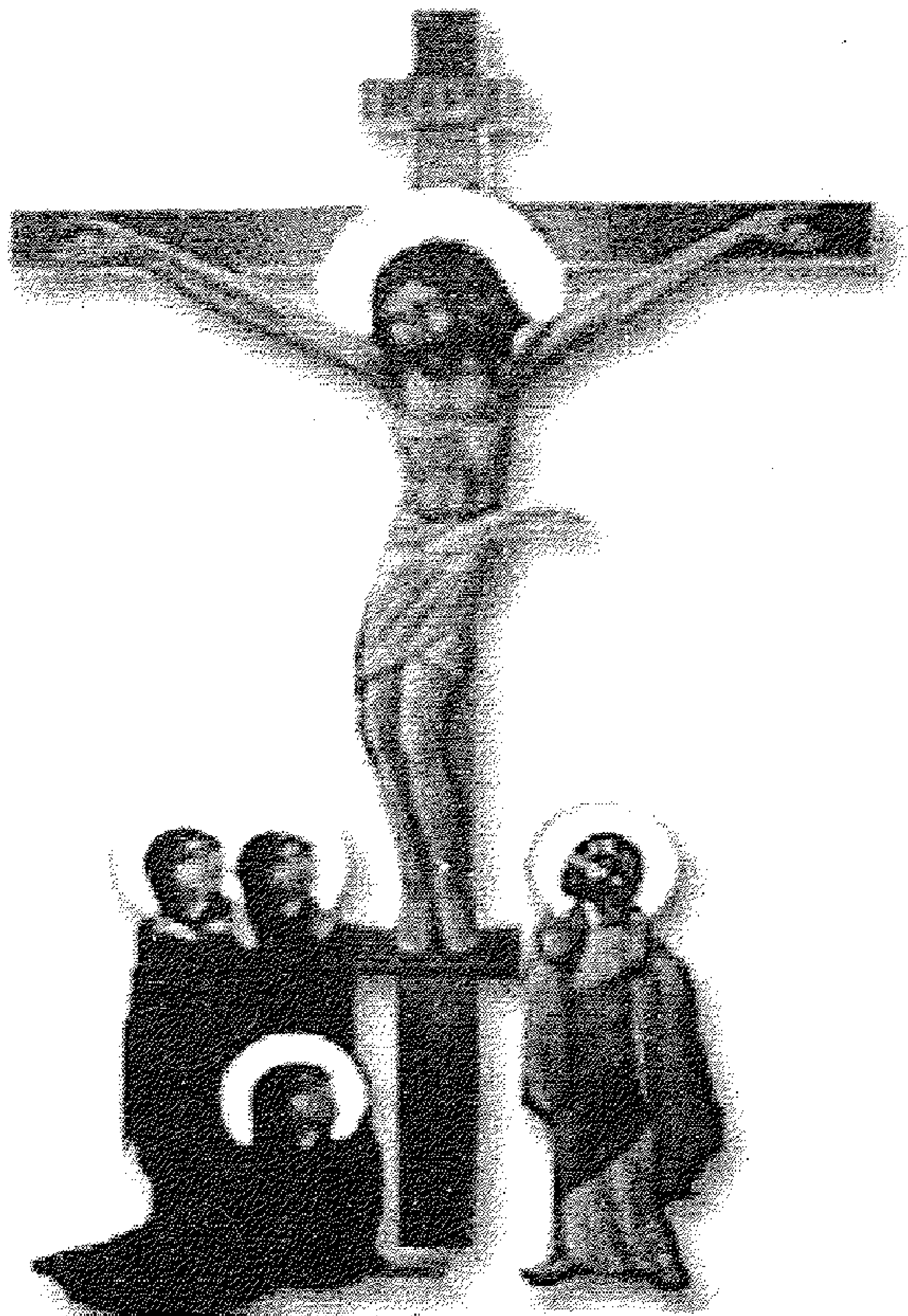
جبل الجلجثة كما لو كان مغلوباً من الأعداء، وهو القوى الذى صنع بالضعف أعظم ما هو من القوة، وفى اليوم الثالث قام منتصراً على الموت٠ وكما رأى يعقوب الله فى شكل إنسان ولم يمت، هكذا سترى البشرية الله متأنساً فى شكل إنسان بسيط ولن ترتعب، ويقول القديس أغسطينوس» الإنسان غلبَ والملاك إنهزم٠ الإنسان الغالب يمسك بالملاك ليقول : لا أطلقك إن لم تباركنى٠ ياله من سر عظيم ! فالمهزوم يقف ليبارك الغالب ! إنه منهزم لأنه أراد ذلك لكى يظهر فى الجسد ضعيفاً، وإن كان بعظمته قوياً، فقد صُلب فى ضعف وقام فى قوة (١ كو ١٣ : ٤)»[١].

٧- عامل الملاك يعقوب كصديق له، فلم يشأ أن ينطلق عنوة ويترك يعقوب، ولذلك طلب من يعقوب أن يسمح له بالإنطلاق، بينما تمسك به يعقوب أكثر طالباً أن يباركه، ويعلق هوشع النبى على هذه الحادثة قائلاً عن أبينا يعقوب «**جاهد مع الله ٠ جاهد مع الملاك وغلب ٠ بكى وإسترحمه**» (هو ١٢ : ٣، ٤) فقد جاهد يعقوب مع الله عبر الصلاة، وجاهد مع الملاك عبر الصراع، وبكى بدموع وإسترحم الله، وهذا دليل على أن صراع يعقوب لم يكن صراعاً مادياً بل صراع روحى، وكانت نتيجة بركة الله ليعقوب، وتغيير إسمه من يعقوب إلى إسرائيل «أمير الله» أو «مجاهد فى صف الله» ٠

٨- نحن لا نعرف شيئاً عن هذا الصراع الذى دار بين يعقوب وذاك الشخص السماوى، وقد دام حتى الفجر، لكننا نعرف أن يعقوب ذاته أحس بأنه أمام شخص سماوى، لأن لمسة منه خلعت فخذه، وخرج يعقوب وهو يخمع على فخذه، وربما بهذا المنظر أثار شفقة أخيه عيسو، وقد حرص اليهود فيما بعد على إخراج العرق الممتد من الورك إلى كعب الحيوان فى

(١) القمص تادرس يعقوب – تفسير سفر التكوين ص ٢٨٥

الرجل الخلفية بكل عناية، وإلاَّ يتركون الرجل بأكملها، وذلك تذكاراً لما حدث مع يعقوب أبيهم في صراعه مع الشخص السمائى·



س٣٠٤ : هل أخذ سفر التكوين فكر الهاوية من الأساطير ؟

ج : لكيما نفهم أبعاد هذا الموضوع نعرض تصوُّر السومريين والبابليين عن الهاوية (الجحيم أو العالم السفلى) :

١- الجحيم السومرى :

فى ظل الحضارة السومرية نظر الإنسان للعالم السفلى على أنه يقع أسفل الأرض التى نعيش عليها، وأطلق عليه السومريون «كيجال» أى الأسفل العظيم، والمتحكمة فيه هى الإلهة «أريشكيجال» أى سيدة الأسفل العظيم، وإلى هذا المكان يمضى جميع الموتى صالحين وطالحين، يمضون عبر فتحات فى الأرض، أو عبر القبور، فأرواح الموتى تترك الأجساد فى القبور وتنحدر للعالم السفلى، فيجدون أولاً نهر «هابور» ويبصرون ملاح النهر «هامو طابال» الذى له أربعة رؤوس كرؤوس الطير، فيحيّهم ويعبر بهم النهر حيث بوابات مدينة الموتى، وهى مدينة حصينة محاطة بسبعة جدران عالية، ولها سبع بوابات حصينة، على كل منها حراس أقوياء، فالذى يعبر هذه البوابات يتخلى عند كل بوابة عن شئ من متاعه وملابسه وزينته، حتى يمثُل فى النهاية عارياً أمام أريشيكيجال، وحولها سبعة آلهة العالم الأسفل، فيقررون وضعه فى عالم الأموات ٠ هذه هى الأسطورة السومرية، وقد وُجدت ألواحها فى مدينتى «نيبور» و «أور» وترجمها ونشرها السيد س٠ ن كريمر سنة ١٩٣٨م وفيما يلى نتعرض لمغامرة جلجامش ونزول أنكيدو للعالم الأسفل :

غرست «إنانا» شجرة «خلبو» (ربما صفصافة) على شط الفرات، ولكن الريح الجنوبية إقتلعتها، فأخذتها الإلهة «إنانا» وأعادت غرسها فى حديقتها المقدَّسة بمدينـة أوروك، وإنتظرت لكيما تكبر فتأخذ خشبها وتصنع كرسياً وسريراً، ومرت السنون، وكبرت الشجرة، فحملت «إنانا» الفأس لتقطعها، إلاَّ أنها لم تستطع لأنها رأت طائر الصاعقة (الزو) قد بنى عشه ووضع

فراخه أعلى الشجرة، وعذراء الأرض المقفرة (ليليث) التى تهيم فى البرارى ليلاً قد سكنت فى وسطها، والحيَّة إستقرت فى قاعدتها، فأخذت «إنانا» تبكى وتنتحب، فسألها أخيها «أوتو» عن سر بكائها وحزنها فقالت له : إن الشجرة التى رعيتها سكنتها الشياطين، فلا أستطيع قطعها، فأخبر «أوتو» جلجامش الذى أخذ فأسه وهوى على الحيَّة فقتلها، فهرب (زو) طائر الصاعقة حاملاً فراخه إلى الجبال، وفرت «ليليث» للأماكن الخربة، وقطع جلجامش الشجرة، ففرحت بها «إنانا» وصنعت منها كرسياً وسريراً، وصنعت من جذعها طبلاً إسمه (بكّو) ومضرباً للطبل إسمه (مكّو) وأهدتهما جلجامش، وقالت له بالطبل والمضرب تستطيع أن تنال كل ما تريد ٠

وأخذ جلجامش يقرع بكّو وبمكّو، فسبى قلوب العذارى ٠ ٠ فشكى الآباء إلى «إنانا» فأمرت «إنانا» بسقوط بكّو ومكّو فى ثقب إلى العالم الأسفل، وأراد جلجامش إستردادهما، فمد يده فلم يفلح فى الوصول إليهما، فمد رجله ففشل، فجلس على حافة العالم الأسفل يبكى وينوح ويندب حظه، فأسرع إليه «أنكيدو» قائلاً : لماذا ياسيدى تبكى ؟ وعلاّم يتوجع قلبك ؟ ٠ ٠ «بكيك» سآتيك به من العالم الأسفل» ٠ ٠ و «مكك» سأرجعه إليك من العالم الأسفل»

فزوده جلجامش ببعض الوصايا حتى ينزل للعالم السفلى ويخرج منه سالماً قائلاً :

" إذا عزمت على النزول للعالم الأسفل ٠ ٠ فإن لدى كلمة أقولها لك فاستمع لها ٠ ٠ ونصيحة أضعها أمامك فخذ بها ٠ ٠ لا تضع عليك ثياباً نظيفة، وإلاً خف إليك الأموات ٠ ٠ ولا تضمخ نفسك بالعطور الطيبة ٠ ٠ كى لا تجذبهم الرائحة فيتجمعوا حولك ٠ ٠ ولا ترمى رمحاً (عند تجوالك) فى العالم الأسفل لئلا يتكأكأ عليك من أصابهم رمحك ٠ ٠ ولا تحمل بيدك هراوة كى لا تهيم حولك الأشباح ٠ ٠ لا تضع فى قدميك صندلاً ٠ ٠ وفى العالم الأسفل لا تصرخ ولا تبك ٠ ٠ ولا تُقبّل زوجتك المحبوبة ٠ ٠ ولا تُقبّل إبنك الحبيب ٠ ٠ ولا تضرب إبنك الذى تكره ٠ ٠

حتى لا يمسك بك صراخ العالم الأسفل ٠٠ (صراخ) تلك المضطجعة «أم تنازو» تلك المضطجعة ٠٠ التى لا يغطى جسدها رداءً ولا يستر صدرها الحرام غطاء ٠٠

فلم يعط أنكيدو أذناً صاغية لمشورة سيده ٠٠ وضع عليه (حلة نظيفة) ٠٠ فهجم الأموات عليه وتصايحوا ودهن نفسه بالعطور الثمينة ٠٠ فتجمعوا لفوحانها حوله ٠٠ ورمى حربته فى العالم الأسفل ٠٠ فحاق به من (أصابتهم) حرابه ٠٠ (وأمسك) بيده هراوة ٠٠ فتراقصت أمامه الأشباح ٠٠ (وإنتعل) فى قدميه صندلاً ٠٠ (وأحدث) جلبة (فى العالم الأسفل) ٠٠ قبّل زوجته التى يحب ٠٠ وضرب زوجته التى يكره ٠٠ قبّل إبنه الذى يحب ٠٠ وضرب إبنه الذى يكره ٠٠ فأمسك به صراخ العالم الأسفل ٠٠ (صراخ) تلك المضطجعة «أم ننازو» تلك المضطجعة ٠٠ التى لا يغطى جسدها رداءً ٠٠ ولا يستر صدرها الحرام غطاء ٠٠ ومنعت عنه الصعود من عالم الأموات ٠٠ »[1] ٠

وعندما تأخر «أنكيدو» أدرك «جلجامش» ما حدث، فأسرع يشكو إلى الإله «إنليل» فأخبره إنليل بأنه لا يستطيع أن يخرق قواميس العالم السفلى، فإتجه للإله «إيا» الذى إستدعى «نرجال» البطل الصنديد وطلب منه أن يفتح ثقباً فى العالم الأسفل ليخرج منه شبح أنكيدو، وهكذا فعل «نرجال» وخرج شبح أنكيدو، فتعانق مع جلجامش الذى طلب منه أن يصف له أحوال العالم السفلى، فقال له «أنكيدو» أن جسده «تنهشه الهوام حتى غدا كالخرقة ٠ جثة مليئة بالتراب ٠٠ صرخ جلجامش ياويلاه وسقط على وجهه فى التراب» وأخبر أنكيدو صديقه جلجامش بأن حالة الإنسان فى الجحيم تتوقف على حالته الإجتماعية، فكلما زاد عدد أولاده كلما أحس بالراحة واقترب للآلهة، كما رأينا من قبل فى إجابة السؤال ١٩٠ ٠

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٢٢٢ – ٢٢٥

وعاد جلجامش إلى بيته وهو يتأمل فى الحياة والموت حتى تحوَّل من ملك إلى راهب، لا يذوق الطعام ولا يشرب ولا يعرف أمور الدنيا، ثم حلم حلماً أنه دخل فى موضـع مظلم، وأن أهلَّه كثيرة بددت هـــذه الظلمـة وقصَّ الحلم على «إنليل» الذى أخبره أنه سيموت وسيذهب للعالم الأسفل موضع الظلمة، ولكنه سيضئ هذا العالم الأسفل كالهلال، فذبل جسد جلجامش وشجبت روحه وتمدد فوق سريره، وإجتمع حوله شيوخ المدينة وعائلته، وغنى المغنون أغنية الوداع لجلجامش :

«يا من دحرت الشر لن تقوم ٠٠ يا من كنت العدل فى البلاد ستنام ولن تقوم ٠٠ الجليل الحكيم سينام ولن يقوم ٠٠ ومن إرتقى الجبال سينام ولن يقوم ٠٠ على فراش المنية القذرة سينام ولن يقوم ٠٠ على السرير ٠٠ سينام ولن يقوم ٠٠ لن يقوم بعد الآن ولن يقوم

وتقدم ملك الموت «نمتار» وإختطف روح جلجامش وخُمدت جثة جلجامش فى الفراش، وحمل «نمتار» الذى لا أيدى له ولا أرجل ولا يشرب ولا يأكل جلجامش إلى العالم الأسفل، ومعه زوجته المحبوبة، وإبنه الحبيب، ومحظيته، وموسيقاره، ونديمه، وحاجبه، وأتباع قصره، وحارسه الحبيب، وقدم أتباع جلجامش القرابين للآلهة من أجله (راجع خَزْعَل الماجدى - إنجيل سومر ص ٢٢٣ - ٢٣٤).

٢- الجحيم البابلى :

يعتبر الجحيم البابلى إمتداد للخيال السومرى، ويقول موسكاتى أن البابليين يتفقون مع السومريين فى أن «روح الإنسان بعد الموت تنفذ من القبر إلى العالم الأسفل «أرالو» Arallu وهى مدينة كبيرة يلفها الظلام والتراب، ويعيش فيها الموتى عيشة حزينة كئيبة، يشربون الماء

القذر ويأكلون التراب، ولا يمكن التخفيف من هذا البلاء إلاً بالقرابين، يقدمها أصدقاء الميت وأقرباؤه، الذين لا يزالون على قيد الحياة» (سبتنيو موسكاتى – الحضارات السامية القديمة – ترجمة د٠ السيد يعقوب بكر ص ٨٠)[١] ٠

ويقول «دولابورت» ٠ ٠ «وبعد أن يُعَد الميت أعداده الأخير، يهبط إلى الأدمو، إلى الأرض الكبيرة، مأوى الظلمات ٠ ٠ إلى البيت الذى يدخله الداخل ولا يخرج منه، وهو كما تصفه رحلة عشتار ٠ ٠ موضع من الأرض تخيم عليه الظلمات، وتحيط به أسوار سبعة، لكل منها باب واحد، والموتى قد نبتت على جوانبهم أجنحة كأجنحة الطيور، يأكلون التراب ويتغذون بالركام، هذه المملكة التى يتزعمها نرجال (عرفناه باسم كور عند السومريين) والإلهة اللاتو (وتعنى اللآت وهى مؤنث إل أو إيل) ٠ ٠ التى تحت أمرها أرواح الطاعون والأمراض التى ترعى الموت» (ك٠ دولابوت – بلاد ما بين النهرين – حضارة بابل وأشور – ترجمة مارون الخورى ص ١٩٦)[٢] ٠

وهناك أسطورتان بابليتان تلقيان الضوء على العالم السفلى، وإلهته «أريشيكيجال» وزوجها «نرجال» وهما :

أ – **أسطورة حلم الأمير** : لقد إشتاق الأمير «كومايا» لرؤية العالم الأسفل، فأخذ يقدم القرابين لأريشيكيجال ونرجال إلى أن تحققت أمنيته من خلال حلم رآه، فقد نزل إلى العالم الأسفل، حيث رأى «نمتار» وزير العدل الأسفل، يمسك بيده لبدة رجل جاث أمامه، وبيده الأخرى يمسك

---

(١) د٠ سيد القمنى – قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ص ١١٥، ١١٦

(٢) المرجع السابق ص ١١٦، ١١٧

سيفاً وزوجته «نمتارتو» التى لها رأس الـ «كوربيو» ويداه وقدماه بشريان، وإلتقى بإله الموت الذى له رأس تنين ويدان بشريتان · لقد رأى آلهة عديدة يبلغ عددها خمسة عشر إلهاً، منهم» اللوجابو» الذى له رأس أسد وأربع أيدى بشرية وقدمان، و «لوكيل ريش ليموتى» الذى له رأس طير وجناحان ويداه وقدماه بشريتان، و «خمو طابال» ملاح العالم الأسفل الذى له رأس طائر الزو أما يداه وقدماه فكانت بشرية، و «أتوكو» الشرير الذى لـه رأس أسد وقدمى طائر الزو، و «شولاع» الذى له رأس أسـد وساقى إيل، و «ماميتو» التى لها رأس عنزه ويدان وقدمان بشرية· ثم رأى «نرجال» جالساً على عرش جلالته، ومن ذراعيه ينبعث البرق، وعلى يمينه ويساره إنحنى الأنوتاكى ·

ويقول الأمير «كان العالم الأسفل مليئاً بالرعب والصمت· فمد (نرجال) يده وأمسك بجزتى وجرنى إليه · · عندما تطلعت إليه إرتعدت فرائصى · غمرتنى هيبته فوقعت على قدميه أقبلها ساجداً · · وعندما إنتصبت· تطلع إلىَّ وهز رأسه · · وصرخ فى وجهى صرخة هائلة وزأر زئيراً غاضباً كأنه العاصفة الهادرة وصولجانه فى يده، لائق بجلاله، ورَغَبَ كأفعى خبيثة · · إقترب منى قاصداً قتلى · غير أن مشاورة «إيشوم» الشفيع الذى يحفظ الأرواح ويحب الحقيقة (والعدالة) قال له : أى ملك العالم الأسفل· لا تقتل الرجل {أنقذ حياته } لتصل أخبار عظمتك إلى أنحاء الأرض· وجبروتك على الفسقة الظالمين، فهدأ غضب نرجال كبركة باردة»[1].

ثم إستيقظ الأمير من نومه، وإنطلق كالسهم هائماً فى شوارع المدينة وهو يهيل التراب على رأسه ويمضغه فى فمه، وأخذ ينذر شعبه أهل أشور أن يخشوا أريشيكيجال ونرجال ويطيعانهما·

ب – أسطورة أريشيكيجال ونرجال : ووجد نص هذه الأسطورة فى تل العمارنة فى مصر مع أسطورة أدابا، وكان النصان يستخدمان لتدريس اللغة الأكادية للطلبة

---

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٢٢٩

المصريين، وتدور الأسطورة حول نزول «نرجال» للجحيم، وكيف صار زوجاً لأريشيكيجال وملكاً للجحيم، فتقول الأسطورة :

«عندما أقام الآلهة مأدبة (فاخرة) ٠ ٠ بعثوا رسولاً عنهم ٠ ٠ لأختهم أريشيكيجال (يبلغها) ٠ ٠ إذا كنا نستطيع الهبوط إليك ٠ ٠ فإنك لا تستطيعين الصعود إلينا ٠ ٠ فهلا أرسلت من لدنك رسولاً لنعطيه نصيبك ؟ ٠ ٠ فبعثت أريشيكيجال بوزيرها «نمتار» ٠ ٠ فصعد نمتار إلى السماء العليا الأخيرة ٠ ٠ ودخل المكان على الآلهة المجتمعين ٠ ٠ فنهضوا جميعاً لتحية نمتار ٠ ٠ رسول أختهم العظيمة ٠ ٠ »[1] لقد نهض جميع الآلهة لتأدية التحية لنمتار ماعدا نرجال الذى بقى جالساً مما أغضب نمتار، وأبلغ سيدته أريشيكيجال مما جرى، فأعادت نمتار إلى الآلهة تطلب منهم تسليم الإله الذى لم يقف لرسولها لكيما تقتله، وعاد نمتار للسماء العليا فلم يعثر على نرجال، ولكن أريشيكيجال لم تهدأ وأرسلت لمجمع الآلهة تصر على تسليم «نرجال» ليدها لتقتله، فنزل مجمع الآلهة على رغبتها ٠ أما «نرجال» فراح يبكى وينوح ولجأ إلى أبيه الإله الحكيم «أيا» لينقذه من يد أريشيكيجال، فطمأنه أبوه، وأعطاه أربعة عشر عفريتاً، فمضى نرجال بقلب قوى مع عفاريته إلى بوابة الجحيم صارخاً :

" إفتح بابك أيها البواب ٠ ٠ وإرفع مزلاجه لأستطيع الدخول فأمثل أمام سيدتك ٠ ٠ أريشيكيجال، فقد أرسلت إلىَّ، فمضى البواب ٠ ٠ وقال لنمتار ٠ ٠ إن إلهاً يقف عند البوابة ٠ ٠ فهلا أتيت لفحصه ليستطيع الدخول، فمضى نمتار ٠ ٠ وعندما رآه قال مبتهجاً ٠ ٠ سيدتى إنه الإله الذى إختفى ٠ ٠ لشهور خلت من أمامى ولم يعد للظهور ٠ ٠ (فقالت له) أحضره لى، فإن سأقتله حال مثوله أمامى ٠ ٠ فمضى نمتار وقال لنرجال : أدخل يا مولاى ٠ ٠ إلى بيت إختك، ومرحباً بقدومك»[2].

(١) فراس السواح – مغامرة العقل الأولى ص ٢٣٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٣١

وما أن دخل نرجال وعفاريته، حتى إنقض على أريشيكيجال «وبداخل القصر قبض على أريشيكيجال ٠ ٠ من شعرها نازلاً بها عن عرشها ٠ ٠ إلى الأرض ليقطع رأسها ٠ ٠ (فقالت) لا تقتلنى يا أخى، فلدى حكمة أقولها لك ٠ ٠ أنصت «نرجال» وتراخت قبضتاه، بينما هى تبكى ٠ ٠ وتنتحب ٠ ٠ ستكون زوجى وأكون زوجتك٠ وسأجعل لك ملكاً ٠ ٠ وسلطاناً على العالم الأسفل الكبير٠ وسأضع بين يديك ٠ ٠ ألواح الحكمة، وتكون سيداً (معظماً) ٠ ٠ وأكون إمرأة لك، عندما سمع نرجال هذا القول ٠ ٠ رفعها إليه وقبلها ومسح دموعها»[١] ٠

ويعلق فراس السواح قائلاً «وهكذا تنتهى الأسطورة على نحو يثير الإنتباه لتشابه واضح فى الخطوط العريضة بينها وبين أسطورة «لوسيفر» فى التعاليم المسيحية٠ فكما كان نرجال إلهاً سماوياً هبط إلى الأسفل بسبب رفضه إظهار الإحترام لرسل الآلهة أريشيكيجال وتحول بذلك إلى إله فى عالم الظلام والموت، كذلك كان أمر لوسيفر الذى تحدثنا عنها تعاليم آباء الكنيسة وكيف تحوَّل من سيد الملائكة إلى إبليس سيد الشياطين»[٢] ٠

تعليق :

أوجه الخلاف بين الكتاب المقدَّس والأساطير فى موضوع لوسيفر أو الهاوية أكثر بكثير من أوجه الشبه فمثلاً :

أ - رفض نرجال تقديم الإحترام اللائق لرسول إلهة الجحيم، أما لوسيفر فقد تكبر على الله الواحد الذى خلقه٠

ب- تكرَّرت محاولات أريشيكيجال للوصول إلى نرجال لتقتله، أما العقاب الإلهى فطال لوسيفر على الفور٠

---

(١) فراس السواح - مغامرة العقل الأولى ص ٢٣٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٢

جـ- إرتعب نرجال وكان من الممكن أن تنتهى حياته نهاية مأساوية، لولا تدخل أبيه «آيا» الذى مده بالعفاريت، فصار له مركزه القوى حتى تمكن من أريشيكيجال وكاد يجهز عليها، بينما لوسيفر لم يقوَ على الصمود أمام العقاب الإلهى، وطُرد على الفور من الفردوس، وفقد مرتبته وحلت عليه اللعنة إلى الأبد.

د - لم تقوَ أريشيكيجال على إنزال العقوبة بنرجال، وكان من الممكن أن يرجع نرجال إلى سماه، أما لوسيفر فقد عجز تماماً عن الرجوع إلى مكانته الأولى.

هـ- قبل نرجال بإرادته أن يتزوج من أريشيكيجال ويصير إلهاً للجحيم، أما لوسيفر فقد هبط للهاوية رغماً عن إرادته.

و - من طالع الأساطير السابقة وأشباهها يدرك على الفور مدى الفرق الشاسع بين ما جاء فى الكتاب المقدَّس، وما جاء فى هذه الأساطير بشأن الهاوية، إنها خرافات ضد العقل والمنطق، إذ كيف يتوقف مصير الإنسان ليس على أعماله بل على حالته الإجتماعية، من له أولاد أكثر ينعم أكثر فى الجحيم ؟! وكيف تأكل الأرواح تراباً أو خبزاً وهى عارية من الأجساد ؟! وكيف يقبل العقل آلهة لها رؤوس حيوانات وأيدى وأرجل بشر ؟!.

س٣٠٥ : هل تأثر الكتاب المقدَّس بما جـاء فى الأساطير عن العالم السفلى ؟ وهل تطوَّرت فكرة الكتاب المقدَّس عن الهاوية ؟

قال النقاد أن هناك عدة أوجه تشابه بين ما جاء فى الكتاب المقدَّس والأساطير :

أ - إن الأتقياء يرتعبون من الهاوية، وهكذا إنزعج الملك حزقيا الصالح، فأطال الله حياته خمسة عشر عاماً، وهذا تأكيد على أن جزءا الإصلاح ليس فى الدار الآخرة بل على هذه الأرض، ولهذا جاءت الوصية «**إكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك**» (خر ٢٠ : ١٣) ٠ ٠ «**يا إبنى لا تنسَ شريعتى ٠ ٠ فإنها تزيدك طـول أيام سنى حياة وسلامة**» (أم ٣ : ١، ٢) ويقول الدكتور سيد القمنى «وكان أعظم عقاب ربانى يلحق بإنسان، هو أن يموت، حتى أن الله ذاته كثيراً ما كان يلجأ إلى هذا السلاح السريع المفعول لإنزال عقابه على العصاة، فيميتهم ليذهبوا إلى عالم تحت الأرض (الهاوية) أما الإنسان المخلص ليهوه، فكان يهوه يزيد فى سنى عمره وفى حياته الدنيوية الأرضية ٠ فالتوراة تحكى {**وكان عير بكر يهوذا شريراً فى عينى الآب فأماته الرب** } (تك ٣٨ : ٧) وهذا {**أونان ٠ أفسد على الأرض ٠ ٠ فقبح فى عينى الرب ما فعله فأماته أيضاً** } (تك ٣٨ : ٨ - ١٠) ٠ وذاك الملـك التقى الورع (حزقيا) يخبر النبى أشعياء بقرب موعد موته، ويرجوه أن يتوسط لدى الرب يهوه، وأن يُذكّر (يهوه) بأفضاله عليه، فينقل أشعياء الرسالة ليهوه، ويتلقى الرد {**أذهب وقل لحزقيا هكذا يقول الرب إله داود أبيك ٠ قد سمعت صلاتك ٠ قد رأيت دموعك ٠ وهآنذا أُضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة** } (أش ٣٨ : ٥) لذلك فإن {**مخافة الرب تزيد الأيام ٠ أما سنو الشرير فتُقصَر** } (أم ١٠ : ٢٧) لأن شيول تساوى بين الجميع»[١]٠

ب- الهاوية مكان الرعبة كما جاءت فى الأساطير، وهكذا وصفها أيوب الصديق «**قبل أن أذهب ولا أعود ٠ إلى أرض ظلمة وظل الموت ٠ أرض ظلام مثل دُجى ظل الموت وبلا ترتيب وأشراقها كالدجى**» (أى ١٠ : ٢١، ٢٢)٠

---

(١) قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ص ١٨٣

جـ - الهاوية فى العالم الأسفل كما جاءت فى الأساطير، وهكذا جاء وصفها فى سفر التكوين، فقيل عن يعقوب «**فأبى أن يتعزى وقال إنى أنزل إبنى نائحاً إلى الهاوية**» (تك ٣٧ : ٣٥) وقيل عن الملاك الساقط «**لكنك إنحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب**» (أش ١٤ : ١٥)٠

د - الهاوية أرض الصمت والسكوت فى الأساطير لذلك طلب جلجامش من أنكيدو أن لا يحدث صوتاً، وهكذا جاء وصفها فى سفر المزامير «**لولا أن الرب معينى لسكنت نفسى سريعاً أرض السكوت**» (مز ٩٤ : ١٧) «**ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكوت**» (مز ١١٥ : ١٧)٠

هـ- يقول فراس السواح أن الهاوية لا تخضع لسيطرة يهوه» لكننا نعلم مؤكداً أن هذا العالم لا يقع تحت سيطرة يهوه، وأن الأموات هناك لا يعبدونه، ولا يسبحون بحمده ٠ ففى المزمور ٦ نجد صاحب المزمور يطلب من الإله أن يخلصه من الموت ليطيل من حمده له وشكره على نعمه، ويذكّره بأن أهل العالم الآخر لا يسبحون له {**عد يارب ٠ نج نفسى ٠ خلصنى من أجل رحمتك ٠ لأنه ليس فى الموت ذكْرك ٠ فى الهاوية من يحمدك** } (مز ٦ : ٤، ٥)[1]٠

و - يقول فراس السواح أن الكتاب المقدَّس يشابه الأساطير فى سيطرة القوى العمياء على الهاوية «ويحدثنا سفر الجامعة عن سيطرة القوى العمياء على شيئول وعن ضرورة تزود

(١) مغامرة العقل الأولى ص ٢٣٩

الإنسان بما يستطيع من هذه الحياة لأن بعدها يأتي النسيان · فنقرأ فى الإصحاح التاسع كلمات تشبه إلى حد بعيد كلمات فتاة الحانة إلى جلجامش **{أذهب كل خبزك بفرح وأشرب خمرك بقلب طيب · لتكن ثيابك فى كل حين بيضاء · · إلتذ عيشاً مع المرأة التى أحببتها · · لأن ذلك نصيبك فى الحياة وفى تعبك الذى تتعبه تحت الشمس· كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا إختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنـت ذاهـب إليها }** (جا ٩ : ٧ – ١٠)[١] ·

ز – يرى فراس السواح أن فكرة الهاوية فى العهد القديم مرت بثـلاث مراحل :

المرحلة الأولى : تميز الهاوية بالسكوت المطبق، وهذه الفكرة تتمشى مع فكر موسى النبى الذى أدان بآراء «إخناتون» الذى أنهى عبادة «آتون» التى تميزت بالتركيز على الحياة الأخرى·

المرحلة الثانية : عندما إستقر الشعب اليهوى فى أرض كنعان «وتسربت للدين معتقدات الفلسطينيين والكنعانيين والآراميين، وبدأت فكرة العالم الأسفل بالتوضيح أكثر فأكثر لتأخذ شكلاً قريباً من معتقدات السومريين والبابليين»[٢]·

المرحلة الثالثة : وهى فترة السبى البابلى «وهناك إحتك المسبيون بالديانة الزارادشتية – عند جيرانهم الفرس – التى تؤكد على الحياة الأخرى تأكيداً مطلقاً، فيوضح اللاهوت الزرادشتى بكل دقة وتفصيل حياة العالم الآخر، فبعد الإنتصار النهائى «لاهورامزدا» الإله الممثل للقوة الخيرة والضياء والنظام على «أهريمان» الإله الممثل لقوى الشر والظلام والفوضى · يتوَّج أهورامزدا إلهاً واحداً أحداً مطلقاً على الأكوان، وتبعث الأموات من مرقدها إلى يوم الحساب، فيوضع أمام

---

(١) مغامرة العقل الأولى ص ٢٣٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٠

كل إنسان ميزانه الذى يزن حسناته وسيئاته، فمن زادت حسناته فإلى نعيم دائم ومن كثرت سيئاته إلى جحيم مقيم· وبعد المحاكمة يمشى كل واحد على درب يوصله للجنان وتحته تتوقد ألسنة اللهيب· فأما الظالمون فيضيق الدرب بهم حتى يعدو كالشعرة، وأما المفلحون فيتسع لهم فيسيرو الهوينا سالمين» [1].

ج : ١- يجب النظر إلى موضوع الموت فى العهد القديم فى ظل الإعتبارات الآتية:

أ - تمثل الحياة على الأرض الفترة المتاحة لتوبة الإنسان، فطالما قلب الإنسان ينبض بالحياة فباب التوبة مفتوح أمامه · أما بعد الموت فباب التوبة يغلق تماماً، ولذلك عندما أمات الله عير بن يهوذا وشقيقه أونان فمعنى هذا أن باب التوبة أُغلق أمامها بسبب شرهما·

ب- عندما كـان يموت الإنسان سواء كان شريراً أو صالحاً كان يذهب للجحيم، حيث ملك الشيطان على جميع أنفس البشر من آدم وحتى إتمام الفداء على عود الصليب، فكان الجميع بعد الموت يدخلون إلى سجن الجحيم، حتى الأبرار، لأن إبليس تسلط على كـل بنى البشر الذين أخطأوا على شبه معصية آدم، ولذلك دعى الكتاب المقدَّس الجحيـم بأرض الظلمة والصمت والسكوت والكف عن التسـبيح · · إلخ·

جـ- بعد السقوط عاش الإنسان ظلمة الخطية، وطمس الشيطان ذهنه، فعجز عن إدراك الأمور الأخروية، فعامله الله على قدر مستواه هذا، وجعل البركات المادية وطول سنى الحياة على الأرض مكافأة لطاعته وتنفيذه الوصايا، ولذلك قرن وصية إكرام الوالدين بالعمر الطويل، وقرن تنفيذ الوصايا الإلهية بالبركات المادية، فمن سمع صوت الرب يأكل دسم الأرض، ومن أبى وتمرد بالسيف يُؤكل «**يأتى عليك جميع هذه البركات إذا سمعت لصوت الرب**

(١) مغامرة العقل الأولى ص ٢٤٠

إلهك • مباركاً تكون فى المدينة ومباركاً تكون فى الحقل • ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك نتاج بقرك وإناث غنمك • مباركة تكون سلتك ومعجنك» (تث ٢٨ : ٢ – ٥)•

٢- رأت حكمة الله الكشف عن صورة العالم الآخر شيئاً فشيئاً : فمثلا الإعلان عن السماء جاء شيئاً فشيئاً، وجاءت قمة الإعلان فى السفر الأخير من الكتاب المقدَّس، ومع ذلك فإن السماء مازالت فى نطاق ما لم تره عين وما لم تسمع به إذن وما لم يخطر على قلب بشر، وهذا ما نلاحظه أيضاً فى الإعلان عن ذات الله الواحد فى الجوهر المثلث الأقانيم، فنجد فى العهد القديم إشارات لمَ يدركها الإنسان، إلى أن أستعلن الثالوث بعد التجسد الإلهى عندما رأينا الإبن، وتلامسنا مع الروح القدس•

٣- الكتاب المقدَّس كله وحدة واحدة : وقد أوضح داود النبى فى القرن العاشر قبل الميلاد بأن الهاوية ليست هى نهاية المطاف للأبرار، ولذلك قال :

أ - **«لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية • لن تدع تقيك يرى فساداً»** (مز ١٦ : ١٠)•

ب- **«يارب أصعدت من الهاوية نفسى أحييتنى من بين الهابطين فى الجب»** (مز ٣٠ : ٣)•

جـ- **«لأن رحمتك عظيمة نحوى وقد نجيب نفسى من الهاوية السفلى»** (مز ٨٦ : ١٣)•

د - رنم بنى قورح **« أنما الله يفدى نفسى من يد الهاوية لأنه يأخذنى»** (مز ٤٩ : ١٥)•

هـ- قال هوشع النبى فى القرن الثامن قبل الميلاد «**من يد الهاوية أفديهم من الموت أخلصهم . أين أوباؤك يا موت أين شوكتك ياهاوية . تختفى الندامة من عينى**» (هو ١٣ : ١٤).

و - أوضح دانيال النبى الصورة أكثر عندما قال «**وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدى**» (دا ١٢ : ٢).

ز - أوضح العهد الجديد صورة المجئ الثانى والدينونة، والإنتقال من الفردوس للملكوت، ومن الجحيم إلى جهنم النار بصورة أوسع وأشمل.

٤- إن كانت الهاوية تحت سلطان إبليس، فإن إبليس ومملكته فى داخل دائرة الضبط الإلهى، فالله هو ضابط الكل والمتحكم فى كل الأمور، ولذلك القول بأن الهاوية لا تخضع لسلطان الله قول خاطئ، وتجعل الله غير كلى القدرة والسلطان، فيتسلط على أمور دون الأخرى.

٥- هناك بعض الأمور التى ذكرها النقاد والكتاب المقدَّس برئ منها، مثل قولهم بوزن السيئات بالحسنات، فالكتاب لم يعلم بأن الحسنات يذهبن السيئات، وكذلك المشى على درب للعبور للجنة وتحته تتوقد ألسنة اللهب، ويتسع هذا الدرب للطالحين، ويضيق للظالمين حتى يصير مثل الشعر، فهذا فكر غير كتابى وثقافة غير مسيحية.

س٣٠٦ : هل أخذ سفر التكوين قصة يوسف من الأساطير والروايات الشعبية ؟

يرى الخورى بولس الفغالى أن قصة يوسف مع إمرأة فوطيفار مقتبسة من أسطورة أنفو (إنوبيس) وباطا (باتا) المصرية، فقد أستعبد أنفو أخيه الأصغر باطا

، وفى يوم غاب أنفو عن بيته، فحاولت زوجته أن تسقط أخيه باطا فى الخطية، ولكن باطا رفض وهرب من البيت تاركاً معطفه، فإتهمته بمحاولة التغرير بها، فترك مصر وهرب إلى لبنان، وهناك مات، ولكنه قام ثانية وجاء وملك على مصر (راجع المدخل إلى الكتاب المقدَّس جـ ١ ص ٤٢٦)٠

ونفس الفكرة قال بها «جيمس هنرى برستيد» فقال «ومن الحقائق المدهشة أن هذه الحادثة التى توَّجت القصة كلها بتاج الفخار، مستقاة من قصة مصرية قديمة شعبية كانت - لا بد - قد إنتشرت فى فلسطين الكنعانية حيث سمع بها ذلك الكاتب الموهوب الذى ألف قصة يوسف، وهذه القصة المصرية تعرف الآن عادة بقصة الأخوين»(١)٠

ويعرض «جيمس ريتشارد» **أسطورة الأخوين** «أنوبيس» Anubis الأخ الأكبر و «باتا» Bata شقيقه الأصغر، وهما من أسماء الآلهة المصرية، وكان باتا الشاب القاصر يعيش مع أخيه وزوجته، وكان باتا طيباً وناضجاً فلذلك كانت فيه قوة الإله، وكان يقوم بأعمال الرعى والحقل، وينام فى الحظيرة مع الماشية، وفى ذات يوم خرج باتا مع أخيه ليحرثا الأرض ويزرعانها، فلم تكفى البذور التى معهما، فأرسله أنوبيس للمنزل ليحضر بعض البذور، وعندما وصل باتا المنزل وجد زوجة أخيه تُمشط شعرها، فطلب منها البذور فقالت له : إذهب وإفتح الصومعة وخذ ما تريد٠ لا تجعلنى أترك تمشيط شعرى دون أن ينتهى، فذهب باتا وأخذ ثلاثة أكياس من القمح وكيسين من الشعير، ورأته زوجة أخيه فأعجبت بقوته، وأرادت أن تعرفه كما تعرف المرأة رجلها، فأمسكت به وأغرته بأنها ستصنع له ملابس رقيقة، فصارا باتا كالفهد الهائج حتى إنها إرتعبت، وصرخ فيها : أنظرى الآن - أنت لى كأم، وزوجك لى كوالد لأنه - كونه أكبر منى - هو الذى تولى تربيتى ٠ ما هذه الجريمة الكبرى التى تتلفظين بها ؟ ٠ ٠ لا تتلفظين بها

(١) ترجمة د٠ سليم حسن - فجر الضمير ص ٢٨٣

إليّ مرة أخرى · سوف لا أرويها إلى أى شخص، وسوف لا أدعها تخرج من فمى إلى أى رجل، وعاد باتا إلى الحقل ليعمل مع أخيه·

وفى المساء عندما عاد «أنوبيس» تظاهرت زوجته بالمرض، وادَّعت بأن باتا قد إعتدى عليها بالضرب، لأنه أراد أن يزنى معها، بالرغم من أنها نصحته قائله : ألستُ أنا أمك ؟ أليس أخوك الأكبر بمثابه أب لك ؟ ولكنه ضربها حتى لا تخبر زوجها برغبته الشريرة، وقالت له : إن تركته يعيش بيننا فسوف أقتل نفسى، فصار أنوبيس كالفهد وشحذ رمحه، وتربص لأخيه خلف باب الحظيرة حتى يقتله، ولكن عندما جاء باتا أخبرته إحدى البقرات بخطة أنوبيس قائلة : إن أخاك الأكبر واقف ينتظرك حاملاً رمحه ليقتلك ! إبتعد عنه، فألقى باتا ما يحمله على الأرض وفرَّ هارباً·

ثم صلى باتا لرع – حور – أختى قائلاً «ياسيدى الطيب إنك أنت التى تميز الشرير من البار !» فسمع «رع» صلاته وجعل فاصلاً كبيراً من الماء بينه وبين أنوبيس، وكانت هذه المياه مملوءة بالتماسيح، ووقف كل أخ فى إتجاه الآخر يفصلهما بحيرة التماسيح، وكان الأخ الأكبر ثائراً لأنه يريد أن يصل إلى شقيقه الأصغر ليقتله، فقال باتا لأخيه «إنتظر هنا حتى الفجر، وحينما يظهر قرص الشمس سوف أتحاكم معك فى حضرته، وسوف يُسلَم الشر إلى الخير، لأنى سوف لا أعيش معك أبداً، سوف لا أكون فى مكان تكون فيه · سأذهب إلى وادى الأرز» ·

وفى الفجر تجادل باتا مع شقيقه الأكبر أنوبيس وأوضح له الحقيقة، ثم أخذ سكيناً وقطع عضو تذكيره، وألقاه فى الماء، فإبتلعته سمكة الشال وصار ينزف، فحزن عليه أنوبيس وعجز عن إنقاذه، ثم رحل باتا إلى وادى الأرز، وعاد أنوبيس ليقتل زوجته ويلقى بها إلى الكلاب،

ويجلس حزيناً على أخيه الأصغر باتا (راجع جيمس ريتشارد - ترجمة د٠ عبد الحميد زايد - نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم جـ ١ ص ٩٧ - ١٠٠)٠

ويرى «زينون كوسيدوفسكى» أن قصة يوسف ما هى إلاّ **رواية شعبية منمقة بروح الأساطير** فيقول «إنتشرت قصة يوسف منذ زمـن بعيد إنتشاراً واسعاً، وحققت شهرة كبيرة، ودخلت ضمن روايات الشعوب التى وجدت فى التوراة منهلاً لتخيلاتها، ولا غرابة فى الأمر، فهى قصة شعبية عادية ذات مضمون حساس مليئة بالمغامرات الخارقة ومزينة بظرف الخرافة ٠ بل ويمكن القول أنها منمّقة بروح الأساطير التاريخية الشعرية، وإستجابت عبرتها الأخلاقية للمتطلبات الروحية للإنسان البسيط المحروم المتعطش دائماً للعدالة ٠ ٠ لقد كان الرعاة العبرانيون القدماء مؤلفو قصة يوسف، إناساً ذوى طباع قاسية وكثيرى الخيال»(١)٠

ويرى الدكتور سيد القمنى أن **ما سجله سفر التكوين عن حلم فرعون هو إمتداد للخيال الأسطورى الكنعانى** الذى يقدس الرقم سبعة، فيقول» أغلبية الأراضى التـى كانـت تعتمـد فـى ريها على الأمطار والمياه الجوفية، ويشير (جوردون) إلى أنه لم يكن هناك شئ أبعث للرعب فى نفوس الكنعانيين مما أسموه بالسنوات العجاف إذا تلاحقت، وقد جاء فى الأساطير المكتشفة فى أوغاريت أنها تستمر سبع سنوات، يليها سنوات سبع أخرى كلها خيرات وهكذا دواليك ٠ ٠ ولنا أن نعلق هنا بأن الأمر لم يكن يسير فى حقيقته على هذا المنوال، إنما هو الخيال الأسطورى المشبّع بتقديس الرقم (٧) وغنى عن الإيضاح أن ما جاء فى قصة يوسف بالكتاب المقدّس، يشير إشارة واضحة إلى الأثر الكنعانى فى العقائد اليهودية»(٢) ٠

---

(١) ترجمة د٠ محمد مخلوف - الأسطورة والحقيقة فى القصص التوراتية ص ٨١، ٨٢

(٢) الأسطورة والتراث ص ٧٩، ٨٠

ويرى كمال الصليبى أن **قصة يوسف مأخوذة من خرافة الإله آساف** فى الجزيرة العربية، وذلك للتشابه اللغوى بين الأسمين، وأيضاً لأن معنى إسم يوسف يزيد وهناك عدة قرى بهذه التسمية فيقول «إعتدنا فى الفصول السابقة على أن يكون هناك قدر من الخرافة فى كل قصة من قصص التوراة، فهل هناك شئ من الخرافة فى قصة يوسف ؟ بل هل كانت هناك قصة مماثلة لقصة يوسف تروى عن إله من آلهة شبه الجزيرة العربية، ربما كان الإله المشهور آساف (ء سف) وهو الإله الذى بقى بين العرب من يعبد صنمه حتى مجئ الإسلام ؟ ليس هناك ما يمنع من أن يكون إسم يوسف (بالعبرية أيضاً يوسف) هو ذاته إسم آساف من الناحية اللغوية ٠٠ ويقابل إسم يوسف بالعربية إسم يزيد، والإسم هذا يفيد المعنى ذاته الذى يفيده إسم يوسف بالعبرية، ولعل المدعو أصلاً يوسف، ثم آساف، كان يُدعى أيضاً يزيد ٠ وهناك قرية بسراة عسير مازالت تحتفظ بإسم آل يوسف (ءل يوسف، أى الإله يوسف) وهناك ما لا يقل عن خمس قرى، وهى أيضاً من عسير، مازالت تحتفظ بإسم آل يزيد ٠٠ ومن هذه قرية آل يزيد التى تقع بمنطقة بيشة، فى جوار قريتى أل عُقَبة وآل غريبة، وقد سبق أن هاتين القريتين مازالتا تحتفظان الأولى بإسم الإله يعقوب، وإله العقب والنسل الصالح، والثانية بإسم ربقة أى الإلهة رفقة، وهى إلهة الخصوبة العائلية والحيلة النسائية»(١) ٠

ويرى جيمس فريزر أن **القدح الذى كان يتفاءل به يوسف ما هو إلاً عادة وثنية**، فيقول «نحن نقرأ أن الفيلسوف «أزيدورس» الذى كان من أتباع المدرسة الأفلاطونية الحديثة، تقابل مع إمرأة متديّنة كانت تمتلك مقدرة غريبة على التكهن٠ وقد تعودت هذه المرأة أن تصب ماءاً رائقاً فى قدح زجاجى، وتتنبأ من خلال ما يترأى لها فى المياه بالحوادث التى ستحدث فى المستقبل، وقد كان التكهن عن طريق النظر إلى الماء يعد نوعاً من أنواع التكهن، وقد أطلق عليه الإغريق إسم «هيدرومانتيان» وفى بعض الأحيان كان يوضع فى الماء حجر كريم من نوع معين

(١) خبايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص ١٦٨، ١٦٩

لكـى يستحضر عـن طريقـه صوُر الآلهـة ٠ وقد قيل أن الملك «تومان» كان يتكهن عن طريق الآلهة التى كانت تبدو له فى الماء، وأنه كان يستخدم قدحاً لهذا الغرض»[١].

ج : ١- عندما ترجم د٠ سليم حسن رأى برستيد، وترجم د٠ عبد الحميد زايد رأى جيمس ريتشارد على أن قصة يوسف مقتبسة من أسطـورة الأخوين المصرية، وعندما ترجم د٠ محمد مخلوف رأى كوسيدوفسكى على أن قصة يوسف هى رواية شعبية منمَّقة بروح الأساطير، لم يعلق أحد منهم على هذه الآراء، فهل هم يوافقون عليها ؟! ٠ ٠ وكيف يوافقون عليها وهى ضد القرآن الذى يعتقدون به، وقد أفرد القرآن لقصة يوسف سورة خاصة رقم (١٢) ؟! هل يخالفون إيمانهم فى مقابل نقل الهجوم الغربى على الكتاب المقدَّس ؟! وإن لم يوافقوا على مثل هذه الآراء فلماذا لم يعلّقون عليها ولو بملاحظة بسيطة فى الهامش ويدافعون عن إيمانهم ؟!!

٢- ما أبعد الفرق بين أسطورة الأخوين الخرافية، بما فيها من تعدد للآلهة، وبتر لأعضاء الإنسان ٠ ٠ إلخ وبين قصة يوسف وواقعيتها ؟!!

٣- زينون كوسيدوفسكى الذى قال أن قصة يوسف قصة شعبية، فى موضع آخر من كتابه يقول أنها قد ترجع إلى حقيقة تاريخية» لكن هل هى من نتاج الخيال فقط ؟ ألا تكون تأسَّست إنطلاقاً من شئ ما، كان قد حدث فعلاً، فالمعروف أن الحوادث التاريخية تأخذ فى التقاليد الشعبية صيغة الأسطورة أحياناً لدرجة يصعب معها التفريق بين الحقيقة والخيال، قد تكون قصة يوسف أسطورية، ولكن ذلك لا ينفى إمكانية أن يكون أحد فروع العبرانيين قد قطن فعلاً فى مصر»[٢] كما يقول أيضاً «ليس من المستبعد أيضاً أن تكون القصة التوراتية صدى

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم جـ ٢ ص ٢٥٠

(٢) ترجمة د٠ محمد مخلوف – الأسطورة والحقيقة فى القصص التوراتية ص ٨٣

لحادثة تاريخية. وأن يكون أحد العبرانيين إسمه يوسف، وقد وصل فعلاً إلى منصب عالٍ في قصر فرعون، ولاحقاً تكونت أسطورة حول شخصيته نسجها العبرانيون متفاخرين بأجدادهم المشهورين»[1].

وفي موضع ثالث يؤكد على حقيقة قصة يوسف كقصة تاريخية، بل ويشيد بالقصة كما جاءت في سفر التكوين فيقول «أكثر ما يدهش في القصة التوراتية هو الدقة التاريخية .. مراسيم دفن يعقوب ويوسف، فقد حُنط جسداهما خلال أربعين يوماً، أما المومياء فوضعت في نعش خشبي. وها هو هيرودوت يكتب أن عملية التحنيط كانت تستمر أربعين يوماً في مصر، وتؤكد ذلك أيضاً نصوص البردي التي إكتشفت في مقابر الملوك والقادة.

لنتذكر أنه قد حُلِق ليوسف قبل تقديمه لفرعون. إن هذا التفصيل الذي يتبادر للذهن أنه صغير ومحشور في النص، له أهمية كبيرة، لأنه يدل مرة أخرى على معرفة الإسرائيليين الجيدة بالعادات المصرية، ففي مصر لم يكن يُسمح لأحد بإطالة لحيته، فقد كانت هذه الميزة تخص فرعون فقط، فرعون الذي كان يلتحي بلحية مستعارة، أما يوسف ولكونه عبرانياً، فقد كان في الأغلب ملتحياً، ولذلك حُلِق له بناء على العادة المتبعة في القصر.

وكذلك الحال بالنسبة لمراسيم تعيين يوسف وكيلاً لفرعون، فتلك المراسيم الإحتفالية جرت حسب التقليد الموصوف في البردي والصور المكتشفة في المدائن، فالقائد الجديد كان يتسلم من يد فرعون شخصياً هدايا تناسب تسميته السامية ومنصبه الرفيع : طوقاً ثميناً للرقبة، وثياباً ثمينة وإضافة إلى ذلك زواجه ذات أصل رفيع وخلال الإحتفالات كان القائد يأخذ عربات القصر المذهبة يركبها ويسير بها وراء عربة فرعون مباشرة .. ففرعون أطلق على يوسف إسم صفنات فعنيح الذي يعني «الإله يقول : يحيا» وإسم زوجته أسنات أي تابعة

(١) ترجمة د. محمد مخلوف – الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية ص ٨٩

الإلهة نت (ونت إلهة مقدَّسة فى دلتا النيل) أما فوطى فارع فهو إسم محرَّف من فا – دى – فا – رع، ويعنى الممنوح من الإله رع، وفى النهاية من المجدى أن نضيف أن قصة يوسف تعطى صورة واضحة فى الطبوغرافيا المصرية · فالتفاصيل المذكورة تسمح بالإستدلال بسهولة على موقع أرض جاسام وتحدد بواسطة العوامل المساعدة فى أية عاصمة عاش يوسف·

مختصر القول : لقد صمدت المادة التى حيكت منها القصة المصرية، تماماً أمام إمتحان البحوث العلمية الحديثة، **ومن العبث اليوم التشكيك بوجود يوسف كشخصية تاريخية، لكن من العبث أيضاً التفكير فى أن قصته ولدت فى مكان آخر غير مصر** [وهذا يعتبر ضد رأى كمال الصليبى] لقد كان مؤلفو قصة يوسف إناساً يعرفون البلاد بشكل لا يدع مجالاً للشك فى أنهم عاشوا هناك أى فى مصر فترة طويلة من الزمن · · »[١].

٤- شهدت الآثار المصرية على السنين العجاف، فهناك نصاً منقوشاً على صخرة فـى جزيـرة سهيل بالقرب من الشلال الأول · · وجاء من ضمن ترجمته» أنا فى غم على العرش العظيم وأولئك الذين فى القصر كانت قلوبهم فى حزن من شئ عظيم جداً، طالما أن النيل لم يأت فى عهدى لمدة سبع سنوات، الحبوب ناقصة، جفت الفواكه، وكل شئ يأكلونه أصبح ناقصاً، سرق كل رجل زميله، تحركوا بدون تقدم إلى (الأمام) · بكى الأطفال، إنتظر الشاب، قلب الكهول فى حزن، إنحنت سيقانهم، قبعوا على الأرض، ثُنيت أذرعهم · رجال الحاشية الملكية فـى فاقة · أُغلقت دور العبادة والمقاصر (لا) تضم (شيئاً ما عدا) الهواء، وكل (شئ) أصبح فارغاً»[٢].

---

(١) ترجمة د· محمد مخلوف – الأسطورة والحقيقة فى القصص التوراتية ص ٨٧ - ٨٩

(٢) ترجمة د· عبد الحميد زايد – نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ص ١١٤

كما وجد فى مقبرة «ألقاب» التى تم إكتشافها كتابة توضح أنه كان فى مصر مجاعة رهيبة حدثت فى فترة حكمه، وأن الحاكم قام بتوزيع الغلال التى سبق وخُزنت فى أوقات الخير والسعة، ووجد فى منطقة شكيم قبراً كان يُعرف بقبر يوسف، وعندما فتح هذا القبر وجدت به جثة محنطة بطريقة قدماء المصريين، وبجوارها سيف من النوع الذى كان يستخدمه كبار رجال الدولة فى مصر (راجع جون ألدر – ترجمة د٠ عزت زكى – الأحجار تتكلم ص ٥٩، ٦٠)٠

٥- عاش يوسف الصديق قبل عصر الشريعة، فلم يكن معروفاً حينذاك خطأ التفاؤل والتشاؤم، فلا يمكن تطبيق قانون قبل حدوثه، ولا يمكن أن نحكم على يوسف بشريعة موسى التى جاءت بعده، عندما قال الكتاب « **لا يوجد فيك ٠٠ لا عانف ولا متفائل**» (تث ١٨ : ١١)٠



تطلق كلمة «أبو كريفا» Apocrypha على الأسفار المزيفة التى تنسب زوراً لأشخاص لامعين فى الكتاب المقدَّس وهم لم يكتبوها، وذلك بهدف إضفاء أهمية خاصة لهذه الأسفار، فسفر أخنوخ لم يكتبه أخنوخ، ولا كتب نوح السفر المسمى بإسمه، ولا إبراهيم، وهلم جرا ٠٠ وفى البداية كان المقصود بكتب أبو كريفا الكتب المخفية القاصرة على مجموعة معينة، فليس للعامة الإطلاع عليها، فالمعنى اللغوى لأبو كريفا هو «خفى - غامض - مبهم - عويص» فهذه الكتب تعتبر صدى للفكر الغنوسى الذى يعتقد بأن المعرفة قاصرة على مجموعة خاصة متميزة، وليست مُباحة للجميع، وقد ساعدت الغنوسية بتعاليمها السرية ومذاهبها المتعددة على ترجمة وإنتشار مثل هذه الأسفار، هذا من جانب، ومن جانب آخر شغف الكثيرون بمعرفة الأسرار المخفية ٠ أما فى العصر المسيحى الأول فقد أطلقت لفظة «أبو كريفا» على الأسفار غير القانونية، أى التى كُتبت بجهد بشرى بدون أى تدخل إلهى (راجع دائرة المعارف الكتابية جـ ١ ص ٣٨ - ٤٠)٠

ويقول القس عبد المسيح بسيط أبو الخير «كان اليونانيون القدماء هم الذين إستخدموها (لفظة أبو كريفا) حيث كان عندهم نوعان من المعرفة : النوع الأول يشمل عقائد وطقوساً عامة لكل الناس٠ أما النوع الثانى فكان يشمل عقائد وطقوساً غامضة عويصة لا يفهمها إلاَّ فئة متميزة خاصة، ولذلك بقيت مخفية عن العامة٠ ثم أُطلقت كلمة «أبو كريفا» فى العصور المسيحية على بعض الكتابات غير القانونية فى العهد القديم، وكذلك فى العهد الجديد، وبخاصة

الكتابات التى تشتمل على «رؤى» تتعلق بالمستقبل والإنتصار النهائى لملكوت الله ٠٠ إلخ إذ أنها أمور تسمو عن فكر البشر وحكمة المطلعين»(١)

وكُتبت أسفار أبوكريفا خلال الفترة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادى، باللغة العبرانية أو الآرامية أو اليونانية، بمجهود بشرى محض بدون أى تدخل من الوحى الإلهى، بدليل ما فاضت به هذه الكتب من أخطاء، وهرطقات، ومبالغات، وخيالات، وخرافات، وأساطير، دون أن يقصد الكاتب هذا، فقد إستوحى الكاتب أفكاره من الأسفار المقدَّسة، وعالجها بالطريقة التى تصوَّرها، فحذف القليل منها، وأضاف الكثير والكثير، فمثلاً تحكى «رؤيا باروخ» عـن رفعـه واجتيازه السماوات السبع ثـم رحيله إلى الجحيم، وتحكى «رؤيا موسى» (التى يرجع تاريخها إلى القرن الثالث إلى الثانى قبل الميلاد) تاريخ موسى ممزوجاً بالأساطير ومقسَّماً إلى خمسين يوبيلاً، وفى العربية توجد ثلاث ترجمات لهذه الرؤيا، ويحكى سفر «وصايا الآباء الأثنى عشر» عن نبؤات أبناء يعقوب الأثنى عشر لأبنائهم، ويعكس سفر «وصية موسى ليشوع» (ويدعى إنتقال موسى) القلق الذى كان ينتاب الطقوس قبل بشارة السيد المسيح خلال الفترة من ٧ – ٣٠م، والحنين للخلاص من الإستعمار الرومانى، ويحكى سفر «وصية ابراهيم» عن قصة أصطورية لموت إبراهيم، وتشمل مزامير سليمان ثمانية عشر مزموراً يرجع تاريخها إلى الفترة من ٦٩ – ٤٧ ق٠م، وتمتزج السياسة بالأمور الروحية فى هذه المزامير (راجع الأب جورج سابا – على عتبة الكتاب المقدَّس ص ٢١٧ – ٢١٩) ولذلك رفضت الكنيسة مثل هذه الأسفار، ولم توافق على ضم أى منها إلى الأسفار القانونية الموحى بها من الله، وقسم البعض هذه الكتب كالتالى :

---

(١) أبو كريفا العهد الجديد – كيف كُتبت ؟ ولماذا رفضتها الكنيسة ؟ جـ ١ ص ٤٩

١- **أسفار أدبية وتاريخية** : مثل الأسفار التى تناولت نشأة العالم وحياة آدم وحواء، وقصة شيث، وسفر اليوبيلات، وسفر أحيكار، وسفر حزقيال السرى، وسفر جانيز وجامبرز، وسفر يوسف وأرسينيا٠

٢- **أسفار رؤيا** : مثل رؤيا آدم، ورؤيا إبراهيم، ورؤيا باروخ، ويصف فيها الكتّاب النصرة النهائية التى سيحرزها الله على المخالفين٠

٣- **مواثيق عهد** : وهى بمثابة عظات تشجع الورثة الشرعيين للآباء البطاركة، مثل ميثاق عهد آدم، وميثاق عهد إبراهيم، وميثاق عهد البطاركة الإثنى عشر، وميثاق عهد موسى، وميثاق عهد سليمان٠

٤- **مزامير وأناشيد** : مثل مزامير وأناشيد سليمان، ومزامير البحر الميت، ويضيفون إليها المزمور ١٥١، وصلوات عزرا ومنسى، وكلاهما معترف به من كنيستنا الأرثوذكسية٠

٥- **رسائل وأقوال** : مثل رسالة أرستياس وأرميا، وسفر صعود أشعياء، وسفر إستشهاده٠

٦- **كتب حكمة** : يشرح فيها الكاتب كيف يعيش الإنسان حكيماً فى هذا العالم٠

٧- **كتب تكهنات العرافين**

٨- **سفر ياشر**

(راجع د٠ إبراهيم سالم الطرزى ٠ أبيجرافيا وأبو كريفا العهد القديم – الكتاب الأول – ص ٢٧ – ٢٩)٠

كما أن هناك تقسيمات أخرى لأسفار أبو كريفـا، فمثلاً يقسمها البعض إلى :

١- **كتب تاريخية** : مثل كتاب آدم وحواء، وكتاب اليوبيلات الذى يعلق على ما جاء فى سفر التكوين، فقد أرسل الله ملاكه لموسى أعلمه أسرار الخليقة، وكتاب عهود البطاركة إبراهيم وإسحق ويعقوب، وكتاب عهد إبراهيم الذى يصف بالتفصيل كيف إهتدى إبراهيم للديانة اليهودية، وكتاب عهد الإثنى عشر بطريركاً أولاد يعقوب، وكتاب حياة أو إعترافات أسينات زوجة يوسف الصديق، وكتاب عهد أيوب الذى صاغ حياة أيوب فى أسلوب خرافى، وكتاب نوح الذى وصف حياة نوح وتوبيخاته لأبنائه • وكتاب توبة يانيس ومميرس الساحران المصريان •• إلخ•

٢- **كتب نبوية أو تاريخية** : مثل كتاب أخنوخ الذى وَصف بأنه مُنِح مواهب تفوق مواهب البشر، لكتاب أسرار أخنوخ الذى يصف صعود أخنوخ للسماء الأولى بواسطة ملاكين، حيث وجد بحراً يموج بالثلج والجليد، ثم صعد للسماء الثانية، فوجد الملائكة الذى عصوا الله مسجونين ومعذبين، وفى السماء الثالثة رأى الفردوس وشجرة الحياة حيث يستريح الله عندها وهو فى طريقه للجنة، وهناك رأى أربعة جداول تَفيض بالشهد، واللبن، والزيت، والخمر، حيث تصب هذه الجداول فى الجنة، وقال الملاكان لأخنوخ أن هذا الفردوس مُعَد للذين يجتنبون الأثم ويعملون الحق، ثم صعد أخنوخ إلى الطرف الشمالى من السماء فرأى طريقاً مستوحشاً، إسودت جوانبه بالظلمة، بينما إضطرمت به النيران، ومع ذلك يشتد فيه البرد والجليد، وقد أُعدَّ هذا المكان للأشرار الذين يظلمون الفقير ويسرقون ويقتلون ويكذبون ويحسدون •• ثم سار أخنوخ إلى السماء، فشاهد مجرى الشمس والقمر، وسمع أغانى شجية من مرتلين يعزفون على آلات موسيقية • ثم صعد أخنوخ للسماء الخامسة فرأى طغمة العصاة الذين هبط رفقاؤهم للسماء الثانية• ثم صعد أخنوخ للسماء السادسة، فوجد الملائكة الذى يقبضون على صولجان الطبيعة ومجارى النجوم، ويسجلون أعمال الناس، وأخيراً وصل أخنوخ للسماء السابعة حيث سبحت العين فى جمال الله الجالس على عرشه، فركع لله ساجداً، وتقدم الملاك ميخائيل بأمر

إلهى، فخلع عنه الرداء الأرضى، ومسحه بالزيت المقدَّس، وختم عليه بحلة المجد الإلهى ٠٠ إلخ٠

ويدخل ضمن هذه المجموعة الثانية سفر صعود أشعياء، ورؤيا موسى، ورؤيا عزرا، ورؤيا إلياس، ورؤيا صفنيا، ورؤيا زرادشت، وكتاب شيث، وصلاة يوسف، والداد وميداد، ومزامير سليمان، ومراثى أيوب ٠٠ إلخ٠

٣- **أسفار تهذيبية** : مثل كتب موسى السحرية التى كُتبت على ورق البردى باللغة الإغريقية، وعُثر عليها فى مصر (راجع صموئيل القمص ميخائيل - الأسفار الأبو كريفا ص ٧ - ٢٦) ولعلنا نتمكن من الإطلاع على بعضها فى المستقبل إن أرادت نعمة الله وعشنا٠

س٣٠٧ : كيف وصف سفر آدم حياة آدم وحواء بعد السقوط والطرد من الفردوس ؟ وما هى المتاعب والحروب الشيطانية التى قاساها آدم وحواء، وما هى محاولاتهما المتكررة للإنتحار ؟ وكيف قتل قايين هابيل ؟

ج : دعنا ياصديقى نتناول سفر آدم بإختصار شديد، وهو يتكون من تسعة وسبعين إصحاحاً، كما جاء فى الترجمة المصرية الأثيوبية :

كان شمال جنة عدن بحراً ماءه رائق وصافى حتى أن الناظر يرى أعماق الأرض، وإذا إغتسل انسان فى هذا البحر فإنه يصير أبيضاً نقياً، ولهذا فإن الصالحين متى قامت أرواحهم فى

اليوم الأخير وعادت إلى أجسادهم وإغتسلوا فى هذا البحر فإنهم يتوبون عن خطاياهم، ولذلك لم يضع الله آدم بعد طرده من الجنة على حافة هذا البحر لئلا يغتسل فيمسح التعدى الذى إقترفه٠

وكان جنوب جنة عدن تفوح منها رائحة الأشجار الزكية، ولذلك لم يطرد الله آدم إلى هذا الإتجاه، حتى لا يتعزى بهذه الرائحة وينسى تعديه، ولكن الله طرد آدم وحواء فى إتجاه الغرب ليعيش فى كهف الكنوز، فعقب السقوط سار آدم وحواء فى جنة عدن تجاه البوابة دون أن يعلما أنهما سائران، وما أن رآيا الأرض أمامهما ممتدة قفرة مُغطاة بالحصى والرمل حتى إرتعبا وسقطا على وجهيهما، فتراءف الله عليهما وأرسل لهما كلمته (يتحدث الكاتب عن كلمة الله مرة بالمذكر ومرات كثيرة بالمؤنث) فأقامهما، وأخبره الله أنه سيرسل كلمته بعد خمسة أيام ونصف ليخلصهما، وعندما سأل آدم عن المعنى المقصود بالخمسة أيام ونصف فأخبره الله أن كلمته سيأتى للعالم بعد خمسة آلاف وخمسمائة، وعندما رأى آدم وحواء الكاروب الغاضب العابس يمسك بسيف نار متقلب إرتعب وظن أن الكاروب سيقتلهما فسقطا مغشياً عليهما ولكن الله طمأنهما ووعدهما بأنه سيرسل كلمته ويخلصهما (الإصحاح ١ – ٣)٠

ونزل آدم وحواء بتأن إلى كهف الكنوز المُظلم، ولم يرد أن يدخله، ولكنه لئلا يُحسب متعدياً مرة أخرى دخل إلى كهف الكنوز كما أمره الله بهذا، وعندما وقف يصلى ورأى سقف الكهف الصخرى يمنعه عن رؤية السموات فصرخ قارعاً صدره وسقط كميت، فجلست حواء بجواره تبكيه، ثم وقفت تصلى وتطلب من الإله أن يقيم زوجها أو يقبض روحها معه، وصرخت حواء بمرارة وسقطت كميتة بجوار زوجها آدم (الإصحاح ٤، ٥)٠

فأرسل الله كلمته فأقامهما، وعاتبهما الله على تعديهما برغبتهما الخاصة طمعاً في الألوهية والعظمة، فسقطا كما سقط الشيطان من قبل الذى نشد الألوهية لنفسه ولم يحفظ إيمانه، فلما سمع آدم وحواء بكيا ونشجا، وقال آدم للإله أن الحيوانات كانت تطيعه فى الجنة أما الآن فإنها ستحاول إلتهامه، فأمر الإله الحيوانات والطيور وكل ما يتحرك على الأرض أن يكونوا أليفين مع آدم وحواء، بإستثناء الحيَّة التى لم تحضر أمام الإله لغضبـه منهـا (الإصحاح ٦، ٧)٠

وعندما إشتكى آدم للإله أنه لم يعد يرى الملائكة ٠ كما كان فى الجنة، فأخبره الله أن طبيعته المُشرقة قد سحبت منه بسبب تعديه (الإصحاح ٨)٠

وخرج آدم وحواء من كنز الكهوف وإتجها إلى بوابة الجنة، فوجدا الماء الذى ينبع من تحت جذور شجرة الحياة ليروى الجنة وينقسم إلى أربعة أنهار، فعاد آدم إلى حزنه وصراخه مُوبخاً حواء :

لماذا جلبت عليَّ وعلى نفسك وعلى ذريتنا كثيراً جداً من الكوارث والعقوبات ؟ فصرخت حواء بمرارة، وفى مرارة صراخهما سقطا آدم وحواء فى الماء وأرادا أن يفقدا الحياة، ولكن الله الرحيم أرسل ملاكه وأخرجهما من الماء وحملهما إلى شاطئ البحر مثل الموتى، وصعد الملاك يخبر الله بما كان، فأرسل الله كلمته إلى آدم وحواء وأقامهما من الموت٠

وعندما قام آدم من موته قال لله : عندما كنا فى الجنة لم نكن نحتاج أو نهتم بهذا الماء،

فقال له الله : عندما كنتما تحت وصايتى فى الجنة لم تعرفوا الماء، لكن الآن لا نفع لكم بدون الماء الذى به تغسلون أجسادكم وتجعلونها تنمو٠

فصرخ آدم وحواء صرخة مرة، وتوسل آدم لله أن يرجع إلى الجنة، فقال الله له : لقد أعطيتك وعداً، فعندما يكتمل هذا الوعد (بعد خمسة آلاف وخمسمائة عام) سوف أعيدك ثانية إلى الجنة (الإصحاح ٩، ١٠)٠

وشعر آدم وحواء بأنهما يحترقان من العطش والحرارة والحزن فقال آدم لحواء : لن نشرب من هذا الماء حتى إن كنا سنموت٠

ودخل الإثنان كهف الكنوز، وغشتهما الظلمة، فلم يعد يرى أحدهما الآخر، فقرع آدم صدره هو وحواء، وظلوا ينوحون طوال الليل وضرب آدم نفسه وألقى بنفسه على الأرض، وتحسَّست حواء طريقها بيديها حتى وصلت إلى آدم فوجدته بلا حراك فظلت بجواره خائفة ومرتعبة من الظلام فأتت كلمة الله فى الظلام وأقامت آدم من موته، وعندما قال آدم لله : لماذا إلتفَّ حولنا الظلام ؟ لماذا أبتليتنا بهذا ؟ فأوضح له الله أن الذى يتعدى وصيته يدخل فى الظلام، كما حدث مع الملاك الذى سقط من السموات إلى الأرض، وقال الله لآدم : هذا الليل قد خدعك، إنه لن يدوم إلى الأبد، بل فقط لمدة أثنتى عشر ساعة، ثم يعود ضوء الصباح، فلا تقل أن هذا الظلام طويل، ولا تقل إنى أبليتك به ٠٠ لقد أوصيتك وحذرتك من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر وأنت سقطت، فاللوم يقع عليك وحدك ٠٠ لقد صنعتُ الليل ليرتاح فيه البشر من عملهم، ولتخرج الحيوانات بالليل لتبحث عن طعامها (الإصحاح ١١ – ١٣)٠

فقال آدم : يارب خذ روحى ولا تدعنى أرى هذا الظلام مرة أخرى، أو إنقلنى لمكان آخر لا ظلام فيه٠

فقال له الله : سأنقلك من الظلام بعد إكتمال عهدى، عندما أخلصك وأعيدك ثانية إلى الجنة إلى بيت النور ٠٠ عندما أنزل من السموات وأصبح جسداً من نسلك، وآخذ على نفسى نفس العلة التى تعانى أنت منها، حينئذ فإن الظلام الذى يغلفك فى هذا الكهف سوف يُغلفنى فى القبر٠

فصرخ آدم وحواء وندموا بسبب ما سيتحمله الإله من أجل خلاصهم، وظل الإثنان واقفان فى الكهف يتضرعان ويصرخان حتى بزغ الصباح، وعندما أشرقت «الشمس» خرج آدم من كهف الكنوز ورأى أشعة الشمس المتوهجة، فخاف وإرتعب، وظن إن الشمس هى الإله الذى يريد قتله، فصرخ وقرع صدره وسقط على الأرض وقال : يارب لا تصيبنى ولا تفنينى ولا حتى تأخذ حياتى من على الأرض. فأتت إليه كلمة الله وقالت له : ياآدم .. إنهض على قدميك، هذه الشمس ليست إله، لكنها خُلقت لتعطى نور النهار .. أنا الإله الذى أراحك بالليل (الإصحاح١٤ – ١٦).

ثم قصد آدم وحواء البوابة الغربية للجنة، فرأيا الحيَّة التى أصحبت شيطاناً تزحف على بطنها وتلعق التراب، وبعد أن كان شكلها وسيماً صار قبيحاً، حتى أن الحيوانات كانت تهرب منها، ولا تشرب من الماء الذى تشرب منه هذه الحيَّة، وعندما رأت الحيَّة آدم وحواء نفخت رأسها ووقفت على ذيلها ونظرت إليهما بعيون دموية حمراء، وإنقضت على حواء لتقتلها، فصرخ آدم بقلب محترق من أجل حواء، وأمسك بذيل الحيَّة التى إلتفتت إليه بغضب قائلة : يا آدم بسببك أنت وحواء أنا أسعى على بطنى، ثم إنقضت عليهما وعصرتهما تريد قتلهما، ولكن الإله الرحيم أرسل ملاكاً فألقى بالحيَّة بعيداً عن آدم وحواء، وأقبلت كلمة الله تقول للحيَّة : فى المرة الأولى جعلتكِ تسعين على بطنك، أما الآن فإنى أُجردك من الكلام فتصيرين صامتة، وبأمر الإله هبت الرياح وحملت الحيَّة فطوحت بها على شاطئ البحر فى الهند، فقرع آدم صدره وسقط على الأرض مثل الجثة، فجاءت كلمة الله وأقامته، وتلقى آدم وعداً بأن الحيَّة لن تقترب إليه ثانية، ولكن آدم ظل يصرخ طالباً من الله أن ينقلهما إلى مكان آخر لا تقدر الحية أن تأتى فيه قائلاً : لآنى أخاف أن تجد الحيَّة خادمتك حواء وحدها وتقتلها، لأن عيناها شريرة ومخيفة، فأكد

الله لآدم الوعد ثانية بأنه لن يترك الحيَّة توؤذيهما، فسجد آدم وحواء لله وشكراه وسبحاه لأنه أنقذهما من الموت (الإصحاح ١٧ – ٢٠)٠

ومضى آدم وحواء يتجولان حتى وصلا إلى جبلٍ عالٍ مواجه للبوابة الغربية للجنة، فلفحتهما حرارة الشمس، فصرخا، وألقى آدم بنفسه من قمة الجبل فتمزَّق جسده ونزف كثيراً حتى إقترب من الموت، فألقت حواء بنفسها خلفه فتمزَّق جسدها، فتراءف الله عليهما وأرسل كلمته فأقامهما قائلاً : يا آدم، كل هذه التعاسة التى جبلتها على نفسك، لن يكون لها أى تأثير على قرارى، ولن تغير عهدى بالخمسة آلاف والخمسمائة عام، فقال آدم للإإله قد يبستُ من الحرارة وخارت قواى فلا أريد أن أعيش فى هذا العالم ٠ ولا أعرف متى تأخذنى حتى أستريح، عندما كنتُ فى الجنة لم أُعانى من الحرارة ولا الوهن ولا التجوال ولا الخوف، فقال له الإله : طالما تحفظ وصاياى فإن نورى ونعمتى سوف تستقر عليك، ولكن إن تعديت وصاياى تأتى عليكَ هذه المحن ٠٠ إننى سوف أتحمل عنك كل هذه المحن حتى أخلصك ٠ عندئذ تقوى آدم وحواء وأقاما مذبحاً وأخذا الدم الذى نزف منهما وقدماه على المذبح، وصليا الصلاة الربانية، فأتت كلمة الإله وقالت : يا آدم كما أرقتَ دمك لذا سأريق دمى عندما أصبح جسداً من ذريتك ٠ وكما متَ يا آدم سأموت أنا أيضاً، وأوصى الله آدم قائلاً : يا آدم لا تقتل نفسك مثل ذلك مرة ثانية بإلقاء نفسك من الجبل، وصنعت كلمة الله ميثاق عهد مع آدم وباركته وأراحته (الإصحاح ٢١ – ٢٥)٠

وعاد آدم وحواء إلى كهف الكنوز ولكن الحزن الثقيل أصابهما، فصرخا للإله ليرسل إليهما الشمس حتى تخلصهما من الظلام، فقالت كلمة الله : يا آدم إن جلبتُ لك الشمس دائماً فإن الأيام والساعات والسنوات ستتوقف، والعهد الذى أقمته معك (وسيتحقق بعد ٥٥٠٠ سنة) لن يتحقق قط، وقال الإله لآدم : كن صبوراً وأدخل الكهف لأن الظلام الذى تخاف منه سيمكث إثنى عشر ساعة فقط، فسجد آدم وحواء لله وإستراح قلباهما، ومع هذا فإنهما دخلا الكهف

والدموع تنساب من عيونهما، ووقفا يصليان ويتضرعان بينما حل الظلام عليهما (الإصحاح ٢٦)٠

وعندما رأى الشيطان آدم وحواء يصليان جمع جيوشه ووضع عرشه بالقرب من فتحة الكهف وأظهر نوراً عظيماً، وبدأت جيوش الشيطان تُسبّح، فخرج آدم وحواء من الكهف وإنحنيا أمام الشيطان، ولكن آدم تشكك وقال لحواء : هذا الجيش الواقف لماذا لا يريد أن يدخل كهفنا ؟ ولماذا لا يقولون لنا لماذا جاءوا إلى هنا ؟ ووقف آدم يتضرع للإله بقلب محترق يسأله : يارب، هل هناك إله آخر فى العالم بجانبك ؟ فأرسل الإله ملاكاً أخبر آدم بالحقيقة وأن الشيطان وجيوشه جاءوا ليخدعوه مرة ثانية٠ وأمسك الملاك بالشيطان وأحضره أمام آدم وحواء اللذان خافا جداً عندما رأياه (الإصحاح ٢٧)٠

وفى الصباح إتجه آدم وحواء صوب الجنة فظهر لهما الشيطان وجيشه على شكل سحابة، فظنا أنهم ملائكة،، وأخبر الشيطان آدم بأنه ملاك، وقاده إلى البحر الرائق ليستحم هو وحواء، وعندما وصلا إلى الجبل العالى شمال الجنة أراد الشيطان أن يطرحهما من عليه، ولكن الله لعن الشيطان فهرب مع جيوشه، ووقف آدم وحواء يصرخان ويطلبان الصفح من الله٠

وطلب آدم من الله أن يعطيه شيئاً مما فى الجنة، فأمر الله ميخائيل فأحضر لآدم عصى ذهبية من البحر الهندى لتضئ له فى الليل، وأمر جبرائيل فأحضر لآدم إثنى عشر رطلاً من البخور ذو الرائحة الحلوة، وأمر الله روفائيل فأحضر له ثلاثة أرطال من المر ليريحه من حزنه، وقال الله لآدم إنه عندما يتجسد سيحضرون له ذهباً علامة على الملك وبخوراً علامة على الألوهية، ومراً علامة على المعاناة والموت (الإصحاح ٢٨ - ٣١)٠

ودعى آدم حواء للذهاب إلى البحر الذى ألقيا بأنفسهما فيه من قبل، وطلب منها أن تنزل فى الماء ولا تخرج منه حتى نهاية ثلاثين يوماً وفعل هو كذلك، وأخذا يتضرعان للإله

ليرجعهما للجنة أو ينقلهما إلى أرض أخرى، ولكن الشيطان ظهر لحواء على شكل ملاك وأقنع حواء بالخروج من الماء ليتوجها بالنور، فخرجت فرحة وإتجهت لآدم الذى بمجرد أن رآها صرخ وغطس فى الماء، فأتت كلمة الله وأنقذته من الغرق، وفهمت حواء أن الذى ظهر لها هو الشيطان وليس الملاك، وعادا إلى الكهف، وكان لهما ٤٣ يوماً منذ طردهما من الجنة وهما لا يأكلان ولا يشربان حتى هزلت أجسادهما وجفت من العطش والجوع، وتضرعا للإله ليعطيهما ما يأكلانه، فأمر الله الكاروبيم أن يعطيهما بعضاً من ثمار التين، فأعطاهما تينتان كلٍ منهما فى حجم البطيخة الحمراء، ولكن آدم خشى أن يأكل هذه التينة، لئلا يعصى الله ثانية، فصلى للإله (الذى خلق الحيوانات فى الساعة الأولى من صباح الجمعة، وخلق الإنسان فى الساعة الثالثة من نفس اليوم، وقد عصاه آدم فى الساعة السادسة من يوم الجمعة، وطُرد من الجنة فى الساعة التاسعة من نفس اليوم) ليعطيهما من ثمار شجرة الحياة، فقالت كلمة الله : يا آدم إنك لن تأخذ من ثمار شجرة الحياة إلاَّ بعد إكتمال الخمسة آلاف وخمسمائة عام، فكل من ثمرة شجرة التين، وأراد آدم أن يأكل مع حواء من ثمرتى شجرة التين، ولكنه خشى من وقوع مكروه لهما، فصرخ آدم وتضرع للإله ليشبعه من الجوع بدون الأكل من التينة، فقال كلمة الله : يا آدم لماذا لم يكن لديك هذه الخشية وهذا الإهتمام قبل السقوط ؟ ٠٠ فوضع آدم التينة على العصى الذهبية، ووضعت حواء التينة الأخرى على البخور، وظلا واقفان صائمان طوال الليلة ٠ وفى الصباح إنصرف آدم وحواء للمكان الذى ينساب منه الماء إلى أربعة رؤوس وتضرعا للإله ليرويهما من ماء الحياة، فقالت كلمة الله لآدم فى اليوم الذى سأنزل فيه إلى الجحيم وأكسر بوابات النحاس وممالك الحديد ويسيل دمى على رأسك فى الجلجثة سيكون دمى هو ماء الحياة بالنسبة لك، فعادا آدم وحواء إلى كهف الكنوز (الإصحاح ٣٢ – ٤٢)٠

وعندما عاد آدم وحواء إلى كهف الكنوز وجدا الشيطان قد أشعل النيران ليحرق الكهف، ولكن الإله أرسل ملاكه لحراسة الكهف من النيران التى ظلت مشتعلة من الظهر وحتى صباح اليوم التالى، والشيطان يلقى عليها بالأشجار، حتى جاءت كلمة الله وطردت الشيطان، ولم يقدر آدم وحواء على دخول الكهف بسبب شدة الحرارة، فتضرع آدم للإله الذى أخبره بأنه بعد أن يموت (آدم) سيذهب للجحيم حيث نار الشيطان المُحرِقة، ولن ينجو منها حتى مجئ الكلمة الذى سينقله إلى موضع الراحة، وأمر الله النار فإنشقت وصنعت طريقاً لآدم للعبور إلى الكهف، وما أن بدأ آدم وحواء فى العبور، حتى نفخ الشيطان فى النار مثل الزوبعة، فإحترقت قمصان الجلد التى يرتدونها وشاط جسديهما، فصرخ آدم لله الذى أرسل ملاكه وأوقف النار وقال الإله لآدم : أنظر إلى حب الشيطان الذى دعاك للإلوهية والعظمة وهوذا يريد أن يحرقك ويفنيك، وقال الإله لحواء : أنظرى إلى الشيطان الذى وعدكما بأن تنفتح أعينكما عندما تأكلان من الشجرة، وهوذا ناره تحرقكما٠

ودخل آدم وحواء إلى الكهف وهما يرتجفان، ولم يقدرا أن يناما فى الكهف بسبب حرارة لهيب النار فخرجا منه، وذهبا إلى قمة الهضبة التى بجوار الجنة وناما هناك، فدعى الشيطان جنوده وجعلهم يحملون صخرة ضخمة ويلقون بها على آدم وحواء ليقتلونهما ولا يرثا مع نسلهما الملكوت، بل يرجع (الشيطان) هو وجنوده لهذا الملكوت، ولكن الإله أمر الصخرة فأخذت شكل قبة، وإهتزت الأرض لسقوط الصخرة، وإستيقظ آدم منزعجاً مع حواء وأخذ يتضرع لله ليعرف ماذا جرى، فعلم أن الشيطان كان ينوى قتله ولكن الله خلصه، وأخبره الإله بأنه عندما يتجسد سوف يُحرّض الشيطان اليهود ليقتلوه وينزل فى الصخرة (القبر) لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ يقوم بعدها من الموت، وهكذا ظل آدم وحواء داخل تجويف الصخرة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ حتى جفت أجسادهم وإضطربت قلوبهم وعيونهم من الصراخ، ثم فَتحت فتحة فى الصخرة وخرج منها آدم وحواء (الإصحاح ٤٣ – ٤٩)٠

ثم إنطلق آدم وحواء إلى الكهف وتضرعا للإله طوال اليوم ليكسوهما من عريهما بعد إحتراق قمصان الجلد فأشارت عليهما كلمة الله بأن يذهبا إلى شاطئ النهر فيجدان جلود أغنام بعد أن أكلت الأسود الجثث فيصنعان منها أقمصة، فأسرع الشيطان ليلقى بهذه الجلود فى البحر أو يحرقها بالنار فربطته كلمة الله بجوار الجلود حتى رآه آدم وحواء بشكله المخيف، ثم أطلقه الإله من قيوده، وأرسل الإله ملاكه فحاك الأقمصة بواسطة الأشواك، ثم بأمر الإله إختفت الأشواك وصارت كخيط واحد، ولبس آدم وحواء الأقمصة، وقال آدم لحواء عندما نتغطى بجلد الحيوانات نلبس علامة الموت، فكما مات أصحاب هذه الجلود سنموت نحن ونزول ٠

وتمشى آدم وحواء غرب الكهف ليستكشفا المكان فكمن لهما الشيطان على شكل أسدان مفترسان وهجما على آدم وحواء فصرخا للإله، فجاءت كلمة الإله وأنقذتهما، ثم عاد آدم وحواء للكهف وظلا يصليان طوال الليل، وفى الصباح إنطلقا للناحية الجنوبية للجنة، وحاولا التسلل للجنة، فهجم عليهما الكاروبيم بسيف النار المتوهج فسقطا على وجهيهما كالأموات فنزلت ملائكة من السماء وأقبلت كلمة الله وأقامتهما من موتهما فطلب آدم مـن الملائكة أن تسأل الإله ليرده إلى الجنة، فقالت الملائكة : يا آدم أنت أطعت الشيطان وتجاهلت كلمة الإله ٠٠ لقد أراد الشيطان من قبل أن يغرينا لكننا لم نستجب له، فجمع جيوشه وصنع معنا حرباً، فلم نقوى عليه إلاً بقوة الإله، وقذفنا به من السموات، فصار سرور عظيم فى السموات، أما هو فقد صار ظلمة، ورفع الملائكة آدم وحواء من الجبل المجاور للجنة بالأناشيد والترانيم ووصلوا بهم إلى كهف الكنوز، فجاء الشيطان ووقف خارج الكهف وهو فى خجل، ودعـى آدم، فخرج إليه ظناً أنه أحد الملائكة، وعندما سأله آدم قائلاً : من أنت ؟ أعلن الشيطان عن ذاته أنه هو الذى أخفى نفسه فى الجنة وأسقطهما وبذلك صار ملكاً عليهما، وأن بيته فى النار المُحرِقة، وإنه سيدفعهما للنار ليعيشا فيها، فصرخ آدم وتضرع للإله مع حواء ليبعد الشيطان عنهما، ومازال يصليان

ليل نهار حتى صعدت صلاتهما مثل لهب من نار · أما الشيطان فقد جمع جيوشه وهجم على آدم وحواء وضربوهما ضرباً مبرحاً حتى ماتا، فأتت كلمة الله وأقامتهما، وعاتب آدم الإله : أين كنت أنت يا إلهى حتى يعاقبوننى بمثل هذه اللكمات ؟ يارب بسبب أننى تعديت قليلاً، فأنت قد عاقبتنى بشدة، خلصنى يارب من بين يديه أو إخرج روحى من جسدى فقال لهما الإلـه : لـو كانـت لكـم هـذه الصلوات مـن البداية، ما وصلتم لهذه المتاعب (الإصحاح ٥٠ – ٥٩)·

ثم ظهر الشيطان لآدم بشكل نورانى، وأقنع آدم وحواء أنه هو الإنسان الأول الذى خلقه الله قبلهما وأوقع عليه سباتاً وأخرج من جنبه آدم، وأن الإله أمره أن يأتى إليهما ليصحبهما ليأكلا من شجرة الحياة، ويشربا من ماء السلام، ويكسوهما حلة من النور، ويردهما إلى حالتهما السابقة، وإنهمرت دموع الشيطان مُقنعاً إياهما أنهما أولاده، فرَّق له آدم وحواء وسمعا كلامه المعسول وذهبا معه، فجاءت كلمة الإله ولعنت الشيطان، وقال الإله لآدم : هذا هو أبو الحيل الشريرة الذى أخرجكما من جنة السرور، فسجد آدم وحواء للإله وسبحاه وظلا يصليان حتى الصباح·

فأخذ الشيطان التينتان ودفنهما خارج الكهف، ولكن الإله أنبتهما شجرتين محملتين بالثمار، فخزى الشيطان، ودعى الإله آدم وحواء للفرح بالشجرتين وأن يستظلا بظلهما، وحذرهما من الأكل من ثمارهما، فحفظ آدم الوصية، ثم حوَّل الله الشجرتان إلى تينتان كما كانتا أولاً، وسمح لهما الإله بالأكل منهما، ولأن آدم وحواء خشيا من الأكل لئلا يحترق جوفاهما ولم يعرفا كيف يأكلان، أرسل الله ملاكه الذى أقنع آدم وحواء بالأكل من التينة، فأكل آدم وحواء، وبعد الأكل عادت التينة سليمة كما كانت ·

وفى الصباح ذهب آدم مع حواء لجدول المياه جنوب الجنة وشربا فإنتعشت أجسادهما، وأرشدت كلمة الله آدم وحواء إلى أرض التربة السوداء حيث القمح والتين، فمضيا وجمعا كومة من القمح وإذ خارت قواهما ناما، فجاء الشيطان وأحرق القمح، وأفرغ وعاء الماء، فإستيقظ آدم وأسف لما حدث، وعادا إلى أسفل الجبل فإلتقاهما الشيطان وأعوانه على شكل ملائكة يسبحون الإله، وخدعوهما ودعوهما لحقل آخر من الحنطة ونبع ماء، ولكن أولئك الشياطين أتاهوهما ثمانية أيام حتى سقط الإثنان مثل الموتى.

فأرسل الإله كلمته وأقامهما، وأمر الإله ملائكته أن يحملوا آدم وحواء إلى حقل القمح الأول فوجدا القمح كما كان قبل أن يحرق، ودلو الماء، وشجرة عليها منّاً، وأنذر الإله الشيطان حتى لا يدمر حقل القمح ثانية، فأخذ آدم من القمح وأصعد تقدمة للإله الذى سرَّ بها وقال لآدم وحواء : حيث أنكما قد عملتما هذه التقدمة، فإنى سوف أعملها بجسدى عندما أنزل على الأرض لأخلصكما، وسوف أجعلها تقدمة دائمة للمغفرة، وأرسل الإله ناراً مضيئة على تقدمة آدم وحواء، فابتهج آدم، وقرَّر تقديم هذه التقدمة ثلاث مرات أسبوعياً أيام الأربعاء والجمعة والأحد، فأعلمه الإله أن الأربعاء والجمعة سيمثلان يومى الألم بالنسبه له، ويوم الأحد سيمثل قيامته، وبينما كان آدم يقدم تقدمته على المذبح طعنه الشيطان بحجر حاد فى جنبه فسقط على الأرض وإنبثق منه دم وماء، وصرخت حواء، فأرسل الإله كلمته وأقامه وقال له : إكمل تقدمتك .. هكذا سيحدث لى على الأرض عندما أُثقب وينساب الدم والماء من جانبى، وشفى الإله آدم، فعاد مع حواء إلى كهف الكنوز (الإصحاح ٦٠ – ٦٩).

ثم إتخذ الشيطان مع إثنان من أعوانه شكل الملائكة ميخائيل وجبرائيل وروفائيل الذين أحضروا لآدم من قبل عصى الذهب والبخور والمر، وأقنع الشيطان آدم بأن يحلف ويعقد معه عهداً، فقال آدم لا أعرف أن أحلف أو أوعد، فوضع الشيطان يده فى يد آدم ودعاه للقول : «كما يحيا الإله عاقلاً متحدثاً، الذى رفع النجوم فى السموات وأسس الأرض الصلبة على المياه،

وخلقنى ٠٠ لن أكسر وعدى ولن أنكر كلمتى» عندئذ طلب الشيطان من آدم أن يتزوج بحواء لينجب أطفالاً، ولكن آدم قال : هل أرتكب الفسق مع لحمى ومع عظامى، هل أنا أُخطيء لنفسى حتى يدمرنى الإله وليمحونى من على وجه الأرض ؟ وعرف آدم أن الثلاثة الذين أمامه هم شياطين وليسوا ملائكة، فقال لهم : أغربوا عنى، أنتم ملعونون من ألإله، ففرَّت الشياطين، وشعر آدم بالندم فوقف يصلى لمدة أربعين يوماً وهو صائم حتى سقط على الأرض، فأرسل الإله كلمته وأقامته وعاتبته : يا آدم لماذا أقسمت بإسمى ولماذا عملت إتفاقاً مع الشيطان مرة أخرة ؟ ٠٠ فطلب آدم المغفرة من الإله، فصفح عنه ٠ فإستراح آدم وخرج من الكهف مع حواء، وذهبا إلى نهر المياه يستمتعا بالطبيعة٠

فإتخذ الشيطان مع عشرة من أعوانه شكل العذارى اللاتى قدمنَّ لآدم وحواء التحية، وتعجب آدم لجمالهن وسألهن : هل هناك، تحتنا عالم آخر بمثل تلك المخلوقات الجميلة ؟ فأقنعن العذارى آدم وحواء أنهن يعشنَ مع أزواجهن وينجبن الأطفال وبذلك تتزايد أعدادهم، ثم إنصرف الشياطين، ولكن نار الخطيئة وقعت على آدم، فنهض يصلى ويسأل الإله المشورة، قائلاً إن لم تسمح لنا بالزواج ففرق بيننا، أو خلصنا من الشهوات الحيوانية، ولو فرَّقت حواء عنى فإن الشيطان سيخدعنا ويدمر قلوبنا، فاستحسن الإله ما فكر فيه آدم، وسمح لهما بالزواج، فقدم آدم عصا الذهب كهدية زواج لحواء وأعطاها البخور والمر، وظلا يصليان لمدة أربعين يوماً، ثم تزوجا بعدها، وفى ساعة ولادة حواء شارفت على الموتِ فحزن آدم جداً وصرخ للإله فخلصها، وفرح آدم بخلاص حواء، وقد أنجبت توأم هما «قايين» ومعنى إسمه «الكاره» وإخته «لولوا» ومعناها الجميلة، وفعلاً كانت أجمل من أمها حـواء، وبعد أربعين يوماً قدم آدم تقدمة عن إبنه قايين، وبعد ثمانين يوماً قدم تقدمة أخرى عن إبنته لولوا ٠

وبعد أن فُطم قايين ولولوا أنجبت حواء توأم آخر هما «هابيل» وإخته «إكليا»٠ وشبَّ قايين قاسى القلب، متسلط على أخيه، لا يشارك فى تقديم التقدمات مع أبويه للإله، بينما كان هابيل طيب القلب يفرح بتقديم التقدمات للإله، فظهر الشيطان له وهدَّده بالقتل، كما ظهـر لقايين وأقنعه أن والديه يحبان هابيل أكثر منه، وإنهما سيزوجانه من أخت قايين الجميلة «لولوا» بينما يتركان «أكليا» غير الجميلة له٠

وقدم هابيل تقدمة من ثمار الزرع فقبلت منه لقلبه الخير وجسده النقى، بينما قدم قايين أصغر خرافه، فرفض الإله تقدمته لكبريائه وأفكاره الخاطئة، فإغتاظ قايين، وحفز الشيطان قايين، فضرب أمه ولعنها لأنها تريد أن تزوج لولوا الجميلة لهابيل، فهدأته أمه وأرسلته للحقل، وحزن آدم ولم يعلق بكلمة، ثم دعى آدم ولديه لتقديم تقدمات للإله فنزلت نار إلهية وإلتهمت تقدمة هابيل التى قدمها من القمح بقلب متواضع، ورُفضت تقدمة قايين التى قدمها من الأغنام بكبرياء، فإغتاظ قايين وإستدرج أخاه إلى الحقل بحجة أن يريه الأشجار والثمار والنباتات الخضراء ويبارك الخراف، وأخذ معه عصا بحجة الحيوانات البرية، وفى الطريق إنهار عليه ضرباً، فقال هابيل له : ياأخى ترفق بى، بالصدر الذى رضعناه ٠٠ لا تضربنى حتى الموت بتلك العصا، وإن أردت قتلى فإقتلنى بحجر كبير، فحمل قايين حجراً كبيراً وهشم به رأس أخيه، وحاول قايين ثلاث مرات أن يحفر حفرة، ويوارى أخيه التراب، ولكن الأرض لفظته، وغضب الإله من قايين، ولعن الأرض بسببه لكن لم يلعنه هو، فقد صار مرتجفاً ومرتعشاً دائماً، ومع هذا فإنه وضع سبع عقوبات لمن يقتله، ولم يجد قايين راحة فى أى مكان، وكان عمر هابيل حينذاك خمسة عشر عاماً ونصف، وقايين يكبره بسنتين (راجع د٠ إبراهيم سالم الطرزى – أبيجرافيا وأبو كريفا العهد القديم ٠ الكتاب الأول ص ٣١ – ٨٨)٠

تعليق :

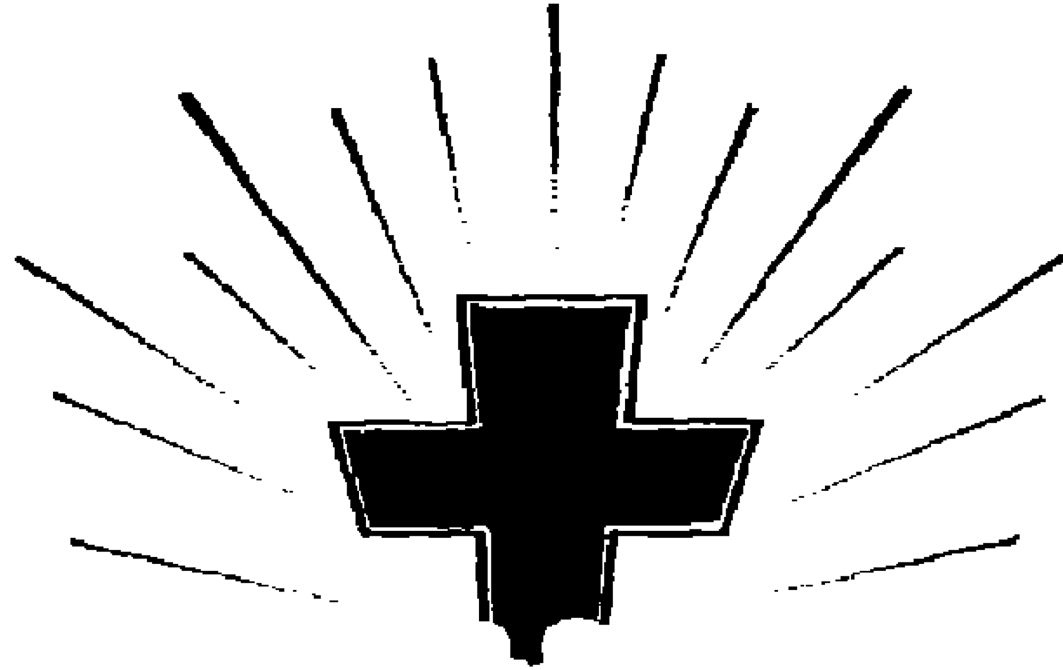
حقيقة أن أى إنسان، لديه أقل القليل من التميّز، ويقرأ هذه الخرافات وذاك الخيال الواسع، يستحيل عليه أن يصدق ويؤمن أن هذا الكلام كلام الله المعصوم من أى خطأ أو شائبة · فقط قد يتلذذ الإنسان بقراءة مثل هذه المؤلفات بغرض التسلية والفكاهة والاطلاع على الأدب القديم، وهو يدرك تماماً أن هذه ما هى إلاَّ أساطير جمعت من الخيال الجامح والخرافات، ولذلك لا يستحق الأمر منا التفصيل والتقييم والحكم فى جزئياته ·· فقط ياصديقى ألتمس صلواتك لكيما يعيننى الرب إلهنا لقطع أكبر شوط ممكن فى هذا المشوار الطويل ·

ولإلهنا المجد دائماً أبدياً آمين

الاسكندرية فى ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٧م

١٢ هاتور ١٧٢٤ ش

عيد رئيس الملائكة الجليل ميخائيل



فهرس الجزء الثالث

الصفحة

فهرس الجزء الرابع

صفحة

ملاحظة :

ورد أسماء كثير من المراجع فى الحواشى، وحيث أن الكتاب القادم يكمل هذا الكتاب وشقيقه الأكبر، فيما يخص سفر التكوين، فإن شاءت نعمة الرب وعشنا سنورد مراجع الكتب الثلاث دفعة واحدة فى الكتاب القادم٠


الثمن :
٧٫٥٠